مجلة مجمع اللغة العربية الأردني

العدد (٣١)
ذو القعدة ١٤٠٦ هـ - ربيع الثاني ١٤٠٧ هـ

السنة العاشرة
تموز - كانون أول ١٩٨٦ م

No (31)
Tho Al-qa'dah/406-
-Rabi, Al-Thany 1407 H.

Vol. X
July-December 1986 A.D

http://abbassa.wordpress.com تحميل كتب

هيئة تحرير المجلة :

رئيس التحرير : الأستاذ عبد الكريم خليفة
رئيس المجمع

الأعضاء :

الأستاذ محمود السمرة – نائب رئيس المجمع
الأستاذ سعيد التل
الأستاذ محمود ابراهيم
الأستاذ عبد الرحمن بشناق
الأستاذ قنديل شاكر
الأستاذ عبد المجيد نصير
الأستاذ احسان عباس
الأستاذ عبد اللطيف عربيات
الأستاذ عبد العزيز الدوري
الأستاذ ابراهيم زيد الكيلاني

فهرس العدد (٣١) لعام ١٩٨٦

أولاً : البحوث ٧

١ – مع الصحف للأستاذ الدكتور ابراهيم السامرائي ٩–٢٨

٢ – ظاهرة «بجد كفت» بين العربية واللغات السامية– دراسة مقارنة للدكتور اسماعيل عمايرة ٢٩–٥٢

٣ – منهج في دراسة الأدب، للدكتور جاسر أبو صفية ٥٣–٧٨

٤ – الطير وعالمه في الشعر الجاهلي للدكتور عبد القادر الرباعي ٧٩–١٢٠

٥ – الاتباع في اللغة للدكتور علي حسن البواب ١٢١–١٤٨

٦ – وقائع مؤتمر مجمع اللغة العربية بالقاهرة في دورته الثانية والخمسين للدكتور عدنان الخطيب ١٤٩–١٩٠

٧ – شكري فيصل المتذوق الأمهر، مقاربته للأدب، للدكتور عبد النبي اصطيف ١٩١–٢١٢

ثانياً: مع الكتب ٢١٣

معجم شعراء أساس البلاغة، للأستاذ عرفان عبد الباقي الأشقر ٢١٥–٢٥٠

ثالثاً: تعليقات ومناقشات ومطارحات: ٢٥١

المعجمي الدبلوماسي، ابراهيم القطان، للدكتور عبد الهادي التازي ٢٥٣–٢٦٢

مصطلحات الاتصال الجماهيري في اللغة العربية، تعريب أم تغريب؟ للدكتور عصام سليمان موسى، جامعة اليرموك. ٢٦٣–٢٧٤

رابعاً: أخبار مجمعية

رابعاً: أخبار مجمعية ٢٧٥

صندوق الاستثمار لمجمع اللغة العربية ٢٧٧

ندوة اتحاد المجامع اللغوية العلمية العربية ٢٧٩

مجمعيان راحلان ٢٨١-٢٨٨

الاستاذ الدكتور محمد أحمد سليمان في ذمة الله ....

الأستاذ الدكتور حسنى سبح ....

رئيس مجمع اللغة العربية بدمشق، في ذمة الله

أعضاء جدد في المجمع ٢٨٩

مناقشة رسائل دكتوراة وماجستير ٢٩٠-٢٩١

من منشورات مجمع اللغة العربية الأردني ٢٩٢-٢٩٣

اولاً : البحوث

مع الصحــف

للأستاذ الدكتور ابراهيم السامرائي
عضو المجمع

وردت «الصحف» في لغة التنزيل وأريد بها كل شيء مكتوب على رقوق أو عسب أو لخاف: كما كان الأمر في «الصحف» التي احتفظ بها بعد رسول الله- ﷺ- في بيت حفصة، وهي التي اتخذ عثمان- رضي الله عنه- أصول المصاحف في «جمعه» المعروف المشهور الذي اضطلع به جلّة من الصحابة من كتاب الوحي وغيرهم فانتهوا الى ما انتهوا إليه في استقرائهم واختيارهم واستحسانهم وجمعهم. و «للصحف» في لغة التنزيل العزيز حضور وافٍ، فقد جاء في قوله تعالى «واذا الصحف نُشِرت»[1] كما ورد في قوله تعالى: «صُحف ابراهيم وموسى»[2].

و «الصحيفة» و «الصحف» شيء عرفه العرب قبل الاسلام، وصحيفة «المتلمس» الشاعر الجاهلي وخبره مع الشاعر طرفة بن العبد والقصة مشهورة معروفة في أدبنا القديم «الجاهلي».

وجاء الاسلام وأقبل المسلمون على لغة التنزيل يدرسونها ويقفون على معانيها وما أخذوا به من أسرارها فكان علمٌ، وكان منهج في الدرس والتلقّي، وكان من ذلك أن هُرِع أهل العناية الى الأعراب يستفتونهم ويأخذون عنهم، حتى اذا عادوا بذخائر لغوية وأدبية تتصل بالعربية والعرب وأيامهم» وأخبارهم تصدروا لهذا الدرس الذي شقي به طلاب العلم، فكان مما يُحمَد عليه طلاب العلم أن يكون علمهم مأخوذاً عن شيخ من اولئك المشايخ النحارير يسمعون عنهم فيروون ما سمعوا، فكان درس وكانت «أمالٍ» يمليها «الجهابذة» الأعلام، وكانت رواية وقراءة.

وكان أن درجت أفواج من طلاب العلم على هذا السنن فأخذوا واستوعبوا ثم صنفوا الكتب ثم غَبَرَ دهرٌ فخلف بعد اولئك «طلاّب جُدد لم يكن لهم أن يسمعوا كثيراً على

---

(١) ١٠ سورة التكوير.
(٢) ١٩ سورة الاعلى.

الشيوخ. ولم يُتحَ لهم أن يقصدوا بوادي الأعراب. يأخذون عن أهلها، ولكنهم تعجلوا المسيرة، ووجدوا أن طريق الأوائل مضن عسير، فلم يكن منهم إلا أن «عمدوا» الى «صحف» المتقدمين ورسائلهم ومصنفاتهم يقرأونها فيفيدون منها. وكان لا بد أن يعرض لهؤلاء في درسهم وقراءتهم الخطأ بسبب من التشابه في رسم الحروف، وبسبب ما يكون من «الاعجام» و «الاهمال»، وبسبب ما يعرض من الخطأ الذي مردّه الأبنية الصرفية والموقع النحوي الاعرابي للكلمة في موضعها. ومن هنا كان هذا «الخطأ» الذي يتصل بالرسم و «الاعجام» و «الاهمال» قد أخذ اسمه من مادة «صحف» فكانوا يأخذون العلم من «الصحف» و «الكتب»، ولم يسمعوه من شيخ رواية ودراية. وصار هذا الذي لم ينل العلم عن طريقه الذي درج عليه المتقدمون من أهل العلم «مصحّفا»، أي مرتكباً للتصحيف وهو الخطأ. وقديماً قالوا: لا يؤخذ العلم من «صُحُفي»، وهو الذي عوّل على «الصحف في تلقّيه للعلم، وقد ذمّوا «المصحّف» بتشديد الحاء ونبزوه، ومن هنا نفهم قول أبي نواس في رثائه لخلف الأحمر:

أودَى جماعُ مُذ أودَى خَلَفْ
من لا يُعدّ العلم إلاّ ما عَرَفْ
قَلَيذمٌ من العَيالِم الخُسُفْ
كنّا متى نشاء منه نغترفْ
روايةً لا تُجتنى من «الصُحُفْ»[1]

أقول: هذه نبذة تاريخية موجزة تتصل بـ «الصحف» وما كان من أمرها لدى الدارسين الأوائل.

ثم جاء عصرنا فكانت «صحف» جديدة، وهي غير «الكتب» القديمة، ولكنها مظانّ جديدة فيها «الخبر» و «الرأي»، وما يعرض في البلد من شؤون اجتماعية واقتصادية وسياسية و «علمية»، وهي ليست خاصة بالبلد الذي تحرّر فيه، وإنما تنفتح على بلاد فسيحة الأرجاء من أقاليم الدنيا. انك تجد فيها ما يتصل ببلدك كما تجد فيه ما يتصل ببلدان العالم المعمور.

---

(١) الديوان

وقد كان لنا «صحف» نحن العرب منذ اوائل هذا القرن، ولما كنا في أعقاب القرن المنصرم واوائل هذا القرن من الأمم المغلوبة على أمرها، المتأخرة في مسيرتها عن غيرها من الأمم المتقدمة، ولما كنا أيضاً قد انقطعنا عن تاريخنا الثقافي وحضارتنا العريقة أقول: لما كنا بتلك الأحوال من التأخر والتخلف، صرنا نتطلع الى العالم المتقدم وكان من جرّاء ذلك أن كانت صحفنا في تلك الأحقاب معتمدة على ما ترفده به صحف العالم المتقدم ولا سيما ما كان من حضارة الغرب.

أقول: وكما أفادت لغتنا العربية في أعقاب القرن الماضي وأوائل هذا القرن مما حفلت به اللغات الغربية استعانةً بذلك الوافد الدخيل، على التقرب من متطلبات العصر، كان ذلك الدخيل في الوقت نفسه مما حمل الضيم على العربية.

وقد كنت وقفت على لغة الصحف وقفة طويلة وكتبت في أساليب الصحفيين التي جنحت بالعربية المعاصرة الى لغة خاصة ذات سمات خاصة هي «لغة الصحف ولا يعنيني هنا أن أشير الى أنها لغة لم تتصف بسلامة المبنى والمعنى، وأنها تجاوزت في طرائقها المشهورة من قواعد العربية نحواً وصرفاً.

لم أرد الى شيء من هذا على أنه موجود فيها، ولكني أقول: انها نمط خاص في التطور التاريخي» لهذه اللغة.

وقد حفزني الأمر الى أن أعود الى هذه اللغة عودة أخرى وذلك لأني، وقد وجدت نفسي في بلاد المغرب الأقصى، وفي حاضرته الرباط، وأنا اقرأ الصحف المغربية، مضطرٌ الى أن أقف على هذه اللغة التي استغربت من أمرها مسائل، وها أنذا أعرض لهذه «الغرائب» «النوادر»[٣]:

١ - قرأت في صحيفة «الاتحاد الاشتراكي»[٤] المؤرخة في اليوم الثالث من تموز (جويلية) ما يأتي:

عقبَ انسحابه المفاجيء من مؤتمر القمة الافريقي التاسع عشر الذي انعقد في

---

(٣) قلت: «النوادر» وأريد بها ما أراد القدماء بالنوادر التي كانت ألفاظاً غريبة.

(٤) صحيفة يومية مغربية.

أديس أبابا عاصمة أثيوبيا، وعودته من جولة في بعض بلدان المشرق العربي، صرح الرئيس معمر القذافي بأن ليبيا قامت بواجبها تجاه الصحراء العربية» وأنه لم يعد هنا أي مشكل أو خلاف بين المغرب وليبيا، وإنما المشكل هو المشكل القومي العربي أي مواجهة الخطر الصهيوني.

أقول: في هذا الذي ذكرته من كلام «المحرِّر» في الصحيفة المشار اليها شيء، يجانب المشهور من القاعدة النحوية، وهو «عود الضمير على متأخر عنه» ليس الى توجيهه أو تأويله من سبيل، وتلك قاعدة ادركناها ونحن صبية شُداة. وأنت ترى ان الضمير في «انسحابه» وهي الكلمة الثانية، ثم الضمير الآخر في «عودته» يعود على «الرئيس. في قوله: «صرح الرئيس معمر القذافي». وهذه عربية ملحونة، وذلك لأن بناء الجملة على هذه الصفة الأعجمية شيء لا نعرفه في عربيتنا الفصيحة، وربما صعب عليك أن تجده في الألسن الدارجة. ان تجاوز هذه القاعدة النحوية يقدح في جمال العبارة وحسن أدائها، ومن هنا كان أغلب ما اشتمل عليه علم النحو من فوائد شيئاً يتصل الوفاء به بالبيان العربي في صفائه وسماحته وفطرته.

زلا أريد أن أترك عبارة هذه الصحيفة مكتفياً بمسألة «عود الضمير على المتأخر» بل أتجاوز ذلك الى شيء آخر ظهر في هذه العربية المعاصرة ومنها عربية «الصحف»، وذلك كقول «المحرر» نفسه في هذا الذي أثبتناه من كلامه:

«.... وأنه لم يعد هناك أي مشكل؟

أقول: ان قول المعربين في عصرنا: إنه لم يعد» هو شيء من الدخيل الوافد من اللغات الغربية وأظن ان الأصل الفرنسي هو الذي جاء بهذا الأسلوب المولّد الدخيل، فهو من غير شك من قول الفرنسيين:

.«il n'est plus»

وقد يستغرب القارىء هذا ويحمله مني على الادعاء او الخيال الكاذب، فأقول: لم نعرف نفي الفعل «يعود» بـ «لم» لإرادة هذا المعنى في أساليبنا العربية الفصيحة، وذلك لان المعنى: «ان الشيء غير مُشكل، أو لم يَبقَ في الأمر مشكل»، فلم يؤلَف في العربية استخدام الفعل «يعود» لإرادة هذا الضرب من نفي الشيء.

ثم أقول: واستعمال «المشكل» شيء جميل في عربية اخواننا أهل الشمالي الافريقي، والكلمة في بنائها على اسم الفاعل من العربية الفصيحة القديمة، وذلك لان «المشكل» ما أشكل أمره ومعناه وما يتصل به، ولذلك عرفنا من أسماء الكتب «تأويل مشكل القرآن» و «تأويل مشكل الحديث» من مصنفات ابن قتيبة وغيرها من أسماء الكتب.

غير أن المشارقة من العرب بنو كلمة جديدة مؤنثة هي «المشكلة» وكأنهم وضعوه ليقابلوا بها «Problem».

هذا شيء من تاريخ هذه الكلمة المفيدة.

٢ - وقرأت في هذه الصحيفة أيضاً قول المحرِّر نفسه:

«.... فعلى مَدَى خمسة ايام حلّل دارسو اللغات بمعناها الواسع لغة التواصل الأُدبي والسينمائي والمسرحي والاذاعي والتلفزي ولغة الإشهار ...».

اقول: لقد جاءت الكلمات في صورتها الأعجمية مع شيء من التغيير في الاصوات حيناً، وفي الأبنية، أو في كليهما حيناً آخر. ان التعريب على هذا النحو شيء حسن، وقديماً درج الاوائل على هذا السنن الواضح. غير أني أقول: ان «التلفزة» على هذا الوزن توحي بالمصدر، وليس الآلة او الأداة اي ما يسمى «الجهاز» في عربيتنا المعاصرة، ولعل الذي جنح الى استعمال «التِّلفاز» كان ألصق باللسان العربي، وذلك لان «تِلفاز» وهو «تِفعال» نظير التمثال» و «التِجفاف» في كلام العرب. هذه مسألة يسيرة مفيدة يكون فيها العود الى الأصول أكثر فائدة وأجلّ عائدة.

وفي هذه العبارة التي أثبتها من الصحيفة شيء آخر، وهو «لغة الإشهار». أقول: وقد يقف المشارقة أمام هذه الكلمة ولا يتّجه منها لهم شيء في القراءة الأولى حتى اذا أطالوا النظر وعرفوا من سياقها شيئاً أدركوا ان لغة «الإشهار» هي لغة الإعلام، وهي عندهم تقابل الكلمة الفرنسية «Publicité» وترجمة الكلمة الأجنبية هذه تطابق «الاشهار» أكثر من كلمة «الإعلام».

وهذه من سمات هذه العربية الصحفية في أقاليم البلاد العربية الافريقية، ومثل هذه السمات اللغوية الخاصة بهذه الأقاليم الشيء الكثير.(٥)

٣ — وقرأت في هذه الصحيفة أيضاً:

... وانحصر «تدخل» البروفيسور «كالفان» حول تطبيقات السيميولوجية المتعدّدة..

أقول: والكلام على محاضرة علمية في «السيميولوجيا»، وهي شيء من مواد علوم اللغة في هذا العصر، يراد بها العلم الذي يعني الاتصال بوسائل مختلفة منها الكلمة ومنها الإشارة ومنها الحركة وأشياء أخرى.

وليس من وَكدي أن أعرض لهذا الذي يشقى به الغربيون مما يتصل باللغة كالسيميولوجية والبنيوية وغير ذلك، ولكني أريد ان أقف القارىء على شيء من الدخيل الجديد في العربية المعاصرة، ولا سيما في أقاليم الشمالي الإفريقي، تلك العربية التي ينظر الناطقون بها الى لسان آخر هو الفرنسية يستوحونها ويفيدون منها.

ومن هذا ما جاء في العبارة التي اقتطعتها من «الصحيفة» في خبر «المحاضرة» التي كانت في «السيميولوجيا» وهو قوله:

و «انحصر تدخُّل البروفيسور...»

أقول: قد يقرأ أهل المشرق مثلاً. هذا فلا يهتدون الى «التدخل» وما المراد به، وقد يمر به أحدهم فلا يصل منه الى شيء. غير أن العارفين باللغة الفرنسية أو ممن اتصلوا بالفرنسيين يدركون أن «التدخل» هو «خطاب» أو «تعليق» أو نحو هذا، يشارك به مُحاضِر في مؤتمر أو ندوة أو ملتقى، وقد يكون «التدخّل» شيئاً غير موجز بل يكون خطاباً أو بحثاً.

وقد تسأل: وكيف أخذ اخواننا المغاربة والجزائريون هذا، والجواب: أنهم ترجموا به

---

(٥) لقد عرض الى طائفة من هذه المولدات المستشرق الفرنسي شارل بلا في كتابه «العربية الحيّة».

الكلمة الفرنسية « intervention » ، وهذه الكلمة في الفرنسية من الفعل « intervenir » ويفيد التدخّل أو الدخول ، فقد يتدخل الرجل بين جماعة ويشاركهم ، ويتدخل الشيء في شيء آخر .

أقول ان الترجمة دقيقة ، ولكنها ولّدت غرابة واستغلاقاً وذلك لان « التدخل » في العربية لم يُؤلف استعماله على هذا النحو ، وان كان من الجائز ان يقول الرجل : قد « تدخّلت » في مناقشة الرأي الذي أبداه المحاضر . وعلى ذلك لا يمكن لقارىء في المشرق ان يفهم « التدخل » في الصحيفة على أي وجه إن لم يكن يدرك ما للكلمة الفرنسية من أثر .

وقد ترجموا الكلمة الفرنسية المذكورة أيضاً بـ « التداخل » وربما قرأت « المداخلة » فقد تقرأ في أسلوب اخواننا أهل الشمالي الافريقي تنبيه عريف الندوة الى الحاضرين قائلاً : ينبغي ان تكون « المداخلات » موجزة(٦) .

وليس أمر هذا الجديد المولّد الدخيل غريباً في هذه العربية الإقليمية فهو كثير قد يتجاوز الحصر .

وفي هذه العربية شيء آخر ، فاذا كنا في المشرق العربي نلتزم بمصطلح « العمل » لما يقوم به العامل في المصنع والموظف في الوظيفة وغيرهما ، فان إخواننا في الشمال الافريقي قد اتخذوا « الشغل » مصطلحاً لهم فيقال عندهم مثلاً : الاتحاد العام للشغل . وأقرأ مثل هذا في « الصحيفة » نفسها .

٤ – انتصار الكونفدرالية الديمقراطية للشغل .

و « الشغل » هنا هو « العمل » ، والأمر متصل بـ « العمال » . ولا أريد ان أقف على « الكونفدرالية » التي تعني لوناً من الاتحاد على نظام خاص يعرفه أهل هذا الفن في السياسة والاجتماع ، ولكني أقول :

---

(٦) ولو أردنا ان نستقري هذا الدخيل الذي حفلت به هذه العربية الأقليمية لكان لنا من ذلك الكثير ، ولكني أرى ان « اذكّر » بشيء ألفه المشارقة في هذه العربية ، وربما استعاروه من اخواننا في الشمال الافريقي وهو لفظ « الأطر » أو « الإطارات » جمعاً

ان أهل الحاجة من أصحاب الاختصاصات قد عرّبوا المصطلح الأجنبي بيسر وخفّة دون ضجة او جعجعة أو السؤال من المجامع اللغوية، فأخذوا المصطلح الاجنبي وكسعوه بالياء المشددة مع التاء على طريقة المصدر الصناعي كالمادية والمثالية والنوعية والكمية وغيرها، فقالوا الديمقراطية والارستقراطية والفدرالية والكونفدرالية وغير ذلك، ولم ينتظروا رأي أهل الصنعة من أعضاء مجامع اللغة، وحسناً فعلوا.

أقول هذا لأني أحسّ ان اصحابنا أعضاء المجامع قد يتجاوزون الحدود، فيكثرون المناقشة ويظلون في خلاف طويل في أمر مصطلحات سلاح الطيران مثلاً،وقد اصطلح عليها أهل الاختصاص من الضباط العاملين في هذا الميدان ليقابلوا بها المصطلح في اللغة الانكليزية، وهم أعرف بها وبحقائقها، ولكننا في المجامع لا نقرهم على صنيعهم بيسر، فيبدأ مع خبرائهم العسكريين جدل طويل لم يكن إلا عبثاً لا طائل وراءه.

وقد يحسن أعضاء المجامع صنعاً لو أنهم اقتصروا على التنبيه على ما في هذا المصطلح من تجاوز على قواعد اللغة في أبنيتها واشتقاقها. اننا نعلم ان هذه المصطلحات موافقة أو قريبة احياناً مما سُمّي المصطلح «الموحّد» في «المعجم الموحّد» الذي قام به الخبراء العسكريون في الجامعة العربية منذ سنين.

لو أن أصحابنا أدركوا صنيع اليهود في أرضنا المحتلة في المصطلح الجديد لعلموا أنهم اهتدوا الى الطريق أمام هذه المئات من الآلاف من المصطلحات العلمية في العلم الجديد. لقد أدخل اليهود المصطلح الجديد من اللغات الغربية ولا سيما الانكليزية ولم يغيّروا فيه شيئاً، وذلك لأنهم مدركون أن لغتهم قديمة ناقصة لا نحوي الا القدر القليل من الكلم القديم.

ان تلكؤ المجمعيين العرب في الاتفاق على المصطلح الجديد دفع بأهل الاختصاصات الى أن يتخذ كل فريق منهم مصطلحاً له فكان من ذلك أن وقعوا في خطأ لغوي لم يكونوا على علم به ذلك ان العربية على سعتها وسماحتها لا تقبل ما خولف فيها وجوه القياس في أبنيتها وصيغها.

ووجه المخالفة ان الفعل من «استبيان» هو «استبان» وهذا الفعل لا يمكن ان يكون مصدره إلا «استبانة» مثل «استقامة» والفعل «استقام».

أقول: لو وُجد في العربية الفعل «استبيَنَ» مثل «استَحسَن» لكان «الاستبيان» بناءً صحيحاً، ولكن معجمات العربية لم تثبت هذا. غير أني أميل الى شيء آخر أذهب فيه الى وجود هذا الفعل، أو أني أسعى إلى إحداثه بسبب شيوع «الاستبيان» الذي ما أراني أدفعه بقولي: إنه بناء لا وجود له في معجمات العربية، ذلك أن أهل الرأي في العلوم الاجتماعية قد درجوا عليه وشاع في استعمالهم شيوعاً عجيباً، وهم يقابلون به الكلمة الأعجمية (questionnair). ولو أنك واجهتهم بالخطأ، وأن هذا المصدر مما لم تشر إليه المعجمات، ما استجابوا اليك ورفضوا البديل له وهو «الاستطلاع» مثلاً.

أقول: اذا كان هذا هو وجه الأمر فهلا نبحث في العربية لنجد وجهاً يعين على إحداث الفعل «استبيَنَ» الذي تحوّل الى «استبان». إن إحداثه يندرج في باب الاحتفاظ بالأصل قبل «الاعلال». ويؤيدنا في هذا ان العربية أعلّت الكثير من الكلم، واحتفظت بطائفة على أصولها ومن ذلك ما جاء في بنات الياء من الأفعال:

قالوا: «استَغيَلَ» الشجر بمعنى التفّ على الأصل، ولم يقولوا: «استغالَ»، ومثله «أغيَلَ» الشجر، على الأصل ولم يقولوا: أغال.

وقالوا «استَفيَلَ» الجَمَلُ ولم يقولوا: استفال.

وقالوا: «أغيَمَت» السماء على الأصل كما قالوا: أغامَت بمعنى غيَّمَتْ.

وقالوا: «أغيَلَت» المرأة بمعنى ارضعت طفلها «الغَيْل» وهو لبنها وهي حامل. كما قالوا: «أغالَت» و «استغيَلَت»، وهي «مُغيل» بالمدّ و «مُغيل» بالياء المكسورة.

هذا شيء من الأفعال من بنات الياء مما كان حقه « لإعلال»، فقد ورد مُعَلاًّ كما ورد على الأصل.

فأما ما جاء من بنات الواو من الأفعال فهو كثير ومنه:

«أجوَدَ» و «أجادَ» الرجل، اذا كان ذا دابّة «جواد أو فرس جواد، وكذلك «استجادَ». و «استجوَبَ» و «استجابَ» وكل منهما بمعنى، فقولنا «استجابَ» معروف، فأمّا «استجوَبَ» فمعناه استفهم وطلب الجواب.

وقالوا: «استصوَبَ» و «استصابَ».

وقالوا: «استحوَذَ» ولم يقولوا: استحاذَ».

وقالوا: «حوِرَ» و «عَوِرَ»، ولم يقولوا فيهما: «حار» و «عارَ».

أقول: اذا كان هذا ما هو معروف في العربية، أليس لنا أن نحدث أصل «استبانَ» ونعيده إلى الوجود وهو «استَبْيَنَ»، لنقول بصواب «استِبيان» التي لم نجد وسيلة الى دفعها وحملها على الخطأ، لشيوعها وإصرار القوم على استعمالها. غير أني أود ان يفهم القارىء أني لا أجوّز الخطأ بحجة الشيوع بل إني ادفع الخطأ وأرفضه، ولا سيما ذلك الذي يهدم أصلاً من أصول العربية.

وقد انتهيت مما وقفت عليه في صحيفة «الاتحاد الاشتراكي» المغربية، غير اني وجدت ان من الخير أن أمضي في هذه اللغة الصحفية التي حفلت بالجديد الغريب كثيراً ولنقف قليلا على جملة من الكلم المجموع فأقرأ فيها مثلاً:

«.... الانتهاكات والخروقات في انتخاب اللجان الثنائية بقطاع الصحة».

ومن المفيد أن أقف على الكلم المجموع في لغة صحف هذه الأيام فقد كثر حتى غدا شيئاً يسترعي النظر.

أقول: ان هذه الجموع هي في الأعم الأغلب جموع لمصادر، وليس في جمع المصدر من ضير فقد ورد شيء منه في العربية، لقد جمع «الخير» على «خيرات» في لغة التنزيل كما في قوله تعالى: «وأوحينا إليهم فعل الخيرات» ٧٣ سورة الأنبياء.

وليس لنا ان نقول: ان كلمة «خير» ليست من المصادر فقد استعملت في العربية استعمالاً كثيراً على المصدرية. وقد سهل في العربية جمع المصدر، وهو من أسماء المعنى في الأصل، حين تحوّل به المعربون الى اسم من أسماء الذات، فاذا قيل: «لقاءات» أو «نزاعات» فكأنهم أرادوا ما يكون في «اللقاء» أو «» النزاع» من أحداث، وما يتصل بذلك، فكان ذلك مسوغاً لجمعهما.

ومثل هذا. «الانتهاكات» التي وردت في عبارة الصحيفة التي أثبتناها.

غير ان ورود هذا الكلم المجموع في صحفنا قد تأتي بسبب من الترجمة. فقد قالوا

« النجاحات » وأرادوا بالكلمة جمع الاسم وليس المصدر ، أي ما تمَّ النجاح فيه من الأعمال والمنجزات .

وهذا من غير شك يومىء الى ان المحرر العربي قد نظر الى الكلمة الاجنبية وهي Succes وهي مجموعة في الفرنسية دائماً مختومة بعلامة الجمع ، وكذلك في الانكليزية ، فلما نقلها الى العربية جعلها جمعاً .

ولنقف على « خروقات » بمعنى « الانتهاكات » وهي من « خَرْق » وقد جمعت على « خروق » بعد تحولها الى الاسمية وابتعادها عن المصدرية . غير ان « المحرر » لم يشعر بجمعها هذا فأراد أن يؤكد الجمع فصار الى « جمع الجمع » فقال « خروقات » . إن باب جمع الجمع مقيّد محدود ، وليس لنا أن نتسع فيه ، فقد قالوا : رجالات ، ولم يريدوا بها الجمع الكثير بل أرادوا القلّة وأدنى العدد ، وذلك ان « الرجالات » تعني الجماعة القليلة من الرؤساء والوجهاء والأعيان ، وليس الكثير الكثير من « الرجال » . ومثل هذا « البيوتات » ، و« البيوت » جمع « بيت » وهو معروف فأما « البيوتات » وهي جمع الجمع فالمراد بها جملة قليلة من « البيوت » أو الأُسر ذات الوجاهة ، وقالوا : « بيوتات » قريش كبني هاشم وبني أمية وأسر أخرى .

وقرأت بأُخَرة في حديث من أحاديث الصحف خصص للعمارة الحديثة فكان فيها ما أنا مثبته : ان « المعمار » الحديث يقوم على « تقنيات » العصر المعقد .... » .

وإطلاق « المعمار » على « العمارة » جهل بالعربية ، وذلك لأن « المعمار » من الفاظ المبالغة كالمِطعان والمِطعام ونحو ذلك ، وليس فيه شيء من المصدرية أو نحوه . وقد عرف « المعمار » شهرة لطائفة من الرجال ومنهم « ابن المعمار » البغدادي .(٧)

ولما كان الكلام على مادة « عمر » وجدت ان المناسبة تدعو الى الوقوف على « الاستعمار » الذي صار من مصطلح العصر ودلالته علمية فنية تاريخية يطول الحديث عنها .

---

(٧) وهو ابو محمد عبد الله بن اسماعيل الأسدي البغدادي ، جلال الدين ابن المعمار ، كاتب أديب ، لغث بالفليسوف ، له شعر ، من أهل بغداد توفي بالحلة سنة ٧٤٢هـ . انظر الأعلام للزركلي ٤ / ١٩٨

أقول: ان هذه الدلالة جديدة، وليس من ضير ان نعطي هذه المعاني لكلمة «الاستعمار». وهذا يعني ان من طرائق توليد المصطلح أن تؤخذ الكلمة ذات الدلالة الخاصة القديمة وتعطى دلالة اصطلاحية جديدة.

ان كلمة «استعمر» في معناها القديم وثيقة الصلة بكلمة «عَمَرَ» فقد ورد في لغة التنزيل قوله تعالى: هو أنشأكم من الأرض واستعمركم فيها» ٦١ سورة هود. ومن غير شك ان ارادة الجديد لكلمة «استعمار» كانت بقصد ان تكون الكلمة ذات دلالة اصطلاحية خاصة.

ولنعد الى عبارة الصحيفة التي أثبتناها لنقف على «التقنيات» فنقول:

شاء المعنيون بالتعريب الحريصون على العربية أن يكون المصطلح بكلم عربي، وهو عندهم ألصق بالعربية من حيث أنها لغة عامرة تشتمل على الفوائد الجمة، ومن اجل ذلك كانوا مدفوعين الى أن يكون المصطلح الجديد كلمة عربية، ولا يصار الى الكلمة الأجنبية إلا اضطراراً.

لقد ارادوا بـ «التقنيات» "Les technologies"، وتشبثوا بمادة عربية وهي «تِقْن» بكسر التاء، وتفيد الرجل العارف الماهر في الصنعة والعمل.
أقول: ولا يمكن ان تكون «التقنيات» تعريباً للكلمة الأجنبية والقاف فيها يقابل الكاف. هذا غير صحيح لان «التقن» بمعنى الماهر الصنّاع هو من الفعل «تقن» الذي جاء منه «أتقنَ». وعلى هذا لا يمكن ان يكون هذا المصطلح العربي مؤديا ما تؤديه «التكنولوجيا». وكأن المعربين لم يهتدوا الى وجه «التقنيات» وصيغتها وذلك ان منهم من ينطقها بتشديد النون، ومنهم من يخفف النون.

ثم ما لبث ان كان هذا المصطلح العربي من الكلم المهجور، فقلما نبصره في الكتب وغيرها من مصادر العلم. وعادت «التكنولوجيا» وكأن المعربين رضوا بها فجعلوها معرَّبة على صيغتها ولم يغيّروا فيها شيئاً.

واذا كانوا قد قبلوا «التكنولوجيا»[٨] ولم يغيروا فيها شيئاً، فقد قبلوا مواد كثيرة نجدها

(٨) أليس دليلاً على أنها عُربت دخول الالف واللام عليها «التكنولوجيا» نظير الديمقراطية والارستقراطية وغيرهما.

في الصحف وغيرها فما زلنا نرى في «التلفاز» الكثير من ذلك كقولهم في المصطلح السينمائي «سيناريو»، كما نجد «الأوتوستراد»، و «الاستاد» القومي لكرة القدم، ولو أردنا ان نعرض لهذا لطال بنا الكلام.

وشيء آخر في لغة الصحف يتسم بالجدّة والطرافة، وهذه الجدّة هي توليد دلالة جديدة ومنها:

١ - «اننا نقرأ في صحف هذه الأيام: ان السلطة الحاكمة قد «تحفَّظَت» على رئيس النقابة الفلانية و «التحفّظ» هنا لا يتصل بمادة «حفظ» ذلك ان المراد بـ «التحفظ» السجن أو نحو ذلك.

٢ - ونقرأ في صحف هذه الأيام: ينبغي «ترشيد» الاستهلاك.

أقول: و«الترشيد» مصدر الفعل المضاعف «رشَّد»، ولا بد أن يكون في «الترشيد» شيء من «الرُّشد» وما يتصل بهذه الدلالة. غير ان المراد بـ «ترشيد الاستهلاك» هو «تقليل» الاستهلاك».

وكأن معنى «التقليل» في استهلاك الغذاء قد يثير في النفوس ما يسوء ولذلك يحسن التعمية في هذا الشأن، والايماء إليه بشيء ضدّه تقريباً.

٣ - ونقرأ أيضاً ما يشبه هذا من حيث «الايماء» الى المعنى المقصود وهو قولهم: لجأت السلطات الى «تحريك» الأسعار.

أقول: و «التحريك» مصدر للفعل «حرَّك»، ولكن هذا «التحريك» لا يعني صراحة معنى الحركة، بل انه يعني «رفع الاسعار»، ولما كان «رفع» الأسعار مما يمكن أن يثير الجمهور ويزعجه، لجأ أهل الرأي الى الاستعانة بضرب من التعمية والايماء فقالوا: «تحريك» الأسعار هَرَباً مما تؤدي إليه كلمة «رفع».

٤ - ونقرأ أيضاً:

ان جهات عدّة قد عملت على «احتواء» حركة التمرّد في صفوف فصائل المنظمة: والمراد بـ «الاحتواء» هنا السيطرة والغلبة والوصول الى حل في الأزمة مثلاً.

أقول: وإعطاء «الاحتواء» هذه الدلالة هو شيء جديد عرفناه في لغة الصحف. وأصل «الاحتواء» معروف يقال: احتوى الكتاب عدة أبواب مثلاً، بمعنى اشتملَ على.

أقول: إن جملة هذه «المجازات» والاستعمالات قد استقريته من الصحف في بلدان المغرب العربي بأقاليمه الثلاثة (تونس والجزائر والمغرب). وقد يكون مفيداً جداً أن أعرض لشيء آخر مما وقفت عليه في صحف المشرق العربي. ولا أريد أن أخصَّ بلداً بعينه، فهي في جملتها تميل الى التوحُّد، وليس من خصوصية خاصة في هذا البلد أو ذاك.

ولا بدّ من الاشارة الى أن لغة الصحف في المشرق العربي كما هي في المغرب تتميز في أنها:

١ — تزخر بالتعابير الجديدة، والمجازات الجديدة، وكله مأخوذ من اللغات الغربية. وهذا الذي يأتي من هذه المصادر قد يوافق العربية بوجه من الوجوه على سبيل التوسع والاستعارة، وقد يكون مجافياً للعربية، بعيداً عنها، ولكننا ألفناه.

إن هذه المولّدات من الألفاظ والتعابير والمجازات والجمل كثيرة، وقد يكون منها كتاب برأسه، أو قل: معجم جديد يشتمل على ما في الصحف وغيرها.

٢ — ان الذي نجده في الصحف يبتعد احياناً عن نحو العربية وأبنيتها. وسنعرض لجملة ذلك فنقول:(٩)

١ — يجب أن تتصرف الدولتان الأعظم ازاء بعضهما على نحو أفضل..

أقول: ان فيما جاء في الصحيفة اليومية في خبر «الدولتان الأعظم» مالا تسيغه العربية فإن كلمة «الاعظم» هي الصفة المفيدة للتفصيل، وهي محلّاة باداة التعريف، وفي هذه الحال لا بد من المطابقة بين الصفة والموصوف، فكان ينبغي أن يقال: «الدولتان العظميان» والمطابقة ما كان منها في التذكير والتأنيث.

---

(٩) هذه نماذج قليلة من كثير غيرها لم أدخله في هذا الموجز، ومن أجل ذلك أعفيت نفسي من التزام ترتيبها معجمياً على نمط من الأنماط، بل سأعرضها كما وقعت لي وأنا اقرأ الصحف في هذه الأيام.

وقد تعرف سبب ارتكاب هذا التجاوز اذا ادركت ان صاحب هذا الأسلوب قد نقل ما قرأه في الصحف الاجنبية الغربية ولا سيما ما كان منها باللغة الانكليزية، وفيها أن الصفة في هذا المقام تبقى على حالها.

٢ – وأقرأ قولهم:

وما زال علينا أن نقف في وجه المؤامرات...

أقول: ان الكاتب الصحفي مترجماً كان أم غير مترجم غير ملمّ بالعربية، ولعله مثله في تلك اللغات الأعجمية، ثم إنه لا يعرف من العربية إلا الأشتات التي تلقفها في المرحلتين: الاعدادية والتوجيهية، وتلك بضاعة مزجاة.

انه في هذه العبارة يستعمل «ما زال» ولا يأتي لها بخبر تتم به الفائدة. ولا أعرض لكلمة «المؤامرات»، وهي جديدة، بمعنى الأحابيل التي يحوكها رجال السياسة وغيرهم في سلوكهم لتحقيق ما يبتغون.

أقول: ان في العربية ما يعين على استحداث هذا الجديد، ذلك ان في مادة «أمر»[١٠] شيء يصار به الى هذا.

٣ – وجاء في صحيفة من صحفنا الأردنية قول أحدهم:

«.... وانبّه على قلمي أن يترك الزمن الرديء...»

أقول: هذا أسلوب لا نجده إلا لدى المتساهلين بالعربية من كتاب العهد الجديد. وقد أقول: أن ليس في العربية من ضير في هذا، ولكن لو كان هذا الكاتب قد وصل الى هذا الجديد بيقظة وادراك ومعرفة بالأصول والفروع.

ان استعمال «على» مع «التنبيه» يشير الى الهفوات والغلطات، ومن هنا ورد في اسماء كتبهم:

١ – التنبيه على حدوث التصحيف لأبي احمد العسكري.

---

(١٠) ومن ذلك ما ورد في الآية الكريمة: ﴿قال يا موسى ان المَلأ ليأتمرون بك ليقتلوك﴾، ٢٠ سورة القصص». وجاءت «المؤامرة» في النصوص العباسية بمعنى ما يقدمه الرجل الى الأمير والحاكم من طلب يلتمس فيه قضاء حق له، وهي «العريضة» في العربية المعاصرة.

٢ – التنبيه على أغاليط الرواة لحمزة الاصفهاني .

ولو عدلنا عن استعمال «على» مع «التنبيه» الى حرف الجر «إلى» لكان ذلك دالاً على غير الخطأ والغلط ، كأن يقال : التنبيه الى عمل البر والاحسان ، مثلاً .

ان استعمال «على» في كثير من مجالات القول مؤذن بالشرّ والأذى والاستيلاء(١١) .

٤ – ونقرأ ايضاً قولهم كثيراً :

«.... وأكد الرئيس فلان على عروبة لبنان ... »

أقول : استعمال «أكد» على هذا النحو ، وهي تصل الى مدخولها باستعمال «على» ليس من العربية ، والفعل متعد في العربية ، وكان ينبغي ان يقال :

«أكد الرئيس فلان عروبة لبنان ... »

وهذا التجاوز على المألوف من العربية كان بسبب ان الكلام كثير في اللغات الغربية ولا سيما الانكليزية والفرنسية ، والفعل في هاتين اللغتين يصل الى مدخوله بالحرف «على» .

٥ – ونقرأ ايضاً قول أحدهم :

«ان ما يدور على البوابة الشرقية من معارك .... »

أقول : و«البوّابة» من الخطأ الذي استحدثناه ، وليس فينا حاجة الى توليد «البوّابة» التي هي في الأصل مؤنث «بوّاب» وهو «الآذن» القديم الذي يلزم باب الأمير او الوزير أو غيرهما ، فالبّواب صاحب الباب كالجزّار والنجّار والحدّاد ، وحرفته «البوابة» كالنجارة والحدادة .

---

(١١) ذكر هذا الاستاذ الدكتور مصطفى جواد في كتابه «المباحث اللغوية في العراق» ص ٤٣ – ٤٤ وأشار الى جملة كبيرة من الافعال ومنها : قالوا : جرى على فلان أمر (اي ان فيه ضرراً) وكذلك اعانه وأعان عليه ، ومال عليه ، واضطغن عليه ، وتنادر عليه ، وقال تعالى «وارسل عليهم طيراً أبابيل ترميهم بحجارة من سجيل» ووجَبَ عليه ، وضرب عليه ضريبة ، واعتدى عليه ، وانتقد عليه قوله ، واخذ عليه شيئاً ، ودسّ عليه ، وتجنىّ عليه ، وكذب عليه ، واختلق عليه ، ونمّ عليه ، وعَتب عليه ، وتقوّل عليه ، وغير هذا كثير .

أقول : ومن هنا نفهم ان اللغويين النقاد عابوا على ابي تمام مطلع قصيدته :

«على مثلها من أربُع وملاعب» ..... فقالوا : المطلع غير موافق لان الشاعر يمدح فلا يستحسن منه استعمال على الذي يؤذن بالشرّ ، ومن هنا أخل الشاعر بمقتضى الحال .

وابن البواب من أشهر الخطاطين البغداديين في عصر الدولة العباسية. ولسنا ننكر توليد الكلم الجديد، ذلك ان الحياة المعاصرة تفرض علينا إحداث آلاف المصطلحات في كل باب من ابواب المعرفة الجديدة.

٦ – ونقرأ ايضاً قولهم:

«اتحدت الحكومات الغربية في عملياتها ضد الارهاب....».

أقول: و«الضدّ» في العربية هو المِثل، والمخالف ضدّ، وكلمات «الاضداد» شيء آخر، وهو ان الكلمة تعني شيئاً وضده معاً كقولهم: الجَون للأسود والابيض. ومثل هذا كثير. وهي هنا نعت، ولا تكون غير نعت، وقد تأتي للجمع، قال تعالى:

﴿ويكون عليهم ضدّاً﴾ ٨٢ سورة مريم

أما نحن اليوم فانحرفنا بالكلمة الى استعمال جديد يبعدها عن النعت فتكون مصدراً كما في الجملة المثبتة.

٧ – ونقرأ في الصحف ونسمع في الاذاعات قولهم:

«..... وأتت الحرائق على كل شيء: البيوت، الأسواق، المحلات العامة والحقول».

أقول: ان استعمال «الواو» للعطف في آخر هذه الكلمات شيء لا تعرفه العربية والصواب إثبات الواو بين المعطوفات واحداً بعد آخر. وليس هذا الجديد إلا بسبب ما ألفوه في اللغات الغربية.

٨ – ونقرأ أيضاً:

«لقد سعت السلطات الى تمرير هذه المسألة في الدوائر المسؤولة...»

أقول: و«التمرير» مصدر الفعل «مرّر» الذي ولّده المعاصرون ليقابلوا نظيره في اللغات الغربية، وليس في العربية شيء من هذا وليس فينا حاجة إليه، وفي العربية الكثير مما يؤدي معنى «التمرير» كالتعدية وغيرها.

٩ – ونقرأ قولهم:

«... وحدث هذا في إطار التوجّه الجديد للمؤسسة من خلال ما بدا من الحلول ....».

أقول: «الإطار» في حيز هذه الجملة من الاستعارة الجديدة من اللغات الغربية ولا ينصرف الإطار في العربية الى غير معناه الحقيقي.

ثم إن استعمال «من خلال»[1] التي شاعت شيوعاً عجيباً من الاستعارة الجديدة ايضا، وليس فيها شيء من معنى الظرفية الذي كان لها في العربية. وكأنها في الاستعمال الجديد تفيد ما تفيده لام الجر التي هي للتعليل والسبب، فكان ينبغي أن يقال:

«وحدث هذا في اطار التوجه للمؤسسة لما بدا من الحلول».

وقد جدّ في العربية المعاصرة مما نلحظه في الصحف الكثيرة مما يلتزم في مادة «التربية الرياضية»، فأنت تقرأ مجازات جديدة مما تساهل فيها أصحابها، وليس لنا أن نحملها على الخطأ، ومن ذلك:

أ – الكلية الجامعية تقيم صاعقة تنشيطية بكرة القدم.
ب – فريقا الأردن والسعودية يقصان «شريط» البطولة.
ج – البطولة «الكروية» لأمانة العاصمة، والفريق الكروي فيها...
د – التقى الفريق السعودي ونظيره «الاماراتي»....

ومن المعلوم ان «الاماراتي» اختصار لفريق دولة الامارات العربية المتحدة لكرة القدم!!

وقد نختم هذا الموجز بإيراد هذه الغرائب التي نجدها، وهي اما توليد جديد، وإما وجه من وجوه القول لم نألفه، ومن ذلك:

التوتر، التشنج، ساعة الصفر، المناخ الأدبي، الصناعة الدجاجية، الهدوء الحذر،

التشرذم، التقوقع، التحجر، الاستقطاب، التمحور، التصعيد وكثير غيره.[١٢]

خاتمة:

ما كان لي أن أذهب في استقرائي هذا الى الاستيفاء، ولكني آثرت هذه الاشتات مما هو مني على طرف الثمام كما قيل. ولكني قصدت أيضاً من إثبات هذه النماذج الى أن أقول: ان الحاجة الى وضع معجم جديد للعربية المعاصرة وحدها شيء تفرضه الضرورة القائمة، ثم إن عملاً كهذا مما ينبغي ان يكون لننتهي في تاريخ العربية الى استجلاء معالمها طوال العصور.

---

(١٢) اذا كان لنا ان نقبل هذا الجديد على أنه لغة معاصرة بشرط خلوه من التجاوز على سنن العربية، فإننا نقيّده بسياق خاص، ذلك أنه لا يجوز أن يدخل هذا الجديد مثلاً في خطبة في صلاة الجمعة. ألا نرى أنه من غير الحسن ما وقفت عليه من هذا، فقد كان لي ان سمعت من أحد الخطباء الجدد قوله في خطبة الجمعة «الاكثرية الساحقة» وعبارة المعاصرين «فلان يذرف دموع التماسيح» ذلك ان كليهما مترجم عن لغة أعجمية. واذا جاز لكتّاب الصحف وجماعة الأدب الحديث ان يستعملوا هذا او نظائره، فلا يجوز ان يتخطى هذا الجديد الوافد هذه المناسبات فيكون شيعاً في خطبة الجمعة مثلاً.

ظاهرة «بجد كفت» بين العربيّة واللغات السّاميّة – دراسة مقارنة

د. إسماعيل أحمد عمايرة
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلاميّة

تطالعنا بعض المعاجم العربيّة بطائفةٍ من الألفاظ التي تحمل، ولا يفرق بينها سوى أنّ حروفها تتلوّن فتنطق على وجهين، فيقال: غَدَفَ وَجَذَفَ وجَدَفَ بمعنى واحد، مع فارق واحد الى اللفظ، وهو أنّ الجيم قد تبادلت مع الغين في غدف وجدف، وأنّ الدال قد تبادلت مع الذال في جَدَف وجَذَف. وقد عُولجت هذه الألفاظ في المعاجم على أنّ كلاًّ منها مادة لغويّة مستقلّة. وعلى هذا فإن صلةَ قرابة كل من هذه المواد بالأخرى هي صلة القرابة التي تجمع بين المترادفات اللغوية. وتشير بعض هذه المعاجم – كلسان العرب لابن منظور – إلى صلة أوثق بين بعض هذه المواد؛ فهي لهجات قبائل مختلفة، وما ينطق بالتاء (غتّ) ينطق بالثاء في لهجة أخرى (غثّ) وهكذا مما سيتضح لاحقاً بشيء من التفصيل. فالفرق – إذن – على هذا الرأي لا يتجاوز أن يكون كما يحصل اليوم في نطق رجل من القاهرة لكلمة «جميل» مثلا، فإذا اتجهت من القاهرة صوب الشام وجدت أن الجيم قد عُطِّشت في الأردن وفلسطين. فإذا حللت بدمشق وبيروت وجدت أنّ نطقها قد ازداد تعطيشاً حتى قاربت الشين، أو قل أصبحت شيناً مجهورة في كثير من أحوال نطقها. فالكلمة واحدة ولكن حرف الجيم فيها قد تلوّن نطقه.

وفي العبريّة والآراميّة والسريانيّة نجد أنّ صوت الكاف من كلمة «ملك» مثلاً يتلوّن؛ فهي في بعض استعمالات هذه الكلمة كاف، وفي بعضها الآخر خاء. وقل مثل ذلك في مجموعة الأحرف التي يجمعها قولك «بجد كفت» كما سنبيّن.

ومما لا شك فيه أنّ العربيّة قبل الإسلام قد مرّت بأطوار عديدة، يُنبيك عن طرف منها تلك الفروق المتفاوتة التي تُلمس بين لغة النقوش القديمة، وبينها وبين الشعر الجاهلي ولغة القرآن الكريم. وقد تمكّن علم الساميات من الوقوف على جوانب من هذا التطوّر فما تزال العربيّة تحتفظ بمعالم منه تمثّل الصورة القديمة وما آلت إليه؛ ففي العربيّة صيغة أَفْعَلَ، مثل: أَكْرَمَ وأراق وأعطى... ويقرِّر علمُ الساميّات أن هذه الصيغة قد تطّورت عن صيغةٍ اخرى أقدم منها، وهي: هَفْعَلَ بالهاء ويقابلها بالعبريّة هِفعيل. ولم يعد من هذه الصيغه هَفْعَلَ سوى بقايا قليلة نحو: هراق، وهَراد، وهنار – وهي لغات في: أراق، وأراد، وأنار. فهل لنا أن نلتمس تفسيراً ساميًا(١) – في ضوء ظاهرة ساميّة مقرّرة، هي ظاهرة «بجد كفت» – للكلمات العربيّة التي تتعاور فيها الدّال مع الذّال، والجيم مع الغين، والكاف مع الخاء، والتاء مع الثاء.

ولنبدأ بالتعريف بظاهرة «بجد كفت» وعلاقتها بالأبجديّة العبريّة، والآراميّة، والسريانيّة، وما عسى أن يُلقي هذا من ضوء على الحروف العربيّة، ثم نتحدث عن بعض الألفاظ العربيّة التي يبدو أنّ ثمة وجهاً من الشّبه يجمع بينها وبين هذه الظاهرة السّامية، ونرى من خلال الموازنة والتحليل: هل يمكن أن يُلتمس تفسير للظاهرة العربيّة في ضوء «بجد كفت»؟ وبتعبير آخر: هل لنا أن نقدّر أنّ قواعد هذه الظاهرة الساميّة كانت ذات يوم سارية المفعول على اللغة العربيّة ثمّ دَرَسَت فبقيت بعض معالمها شاخصة في أشباه: غَتّ، وغَثّ، وجذف، وجدف...؟
فما هي ظاهرة «بجد كفت»؟

ثمّة أحرف ستة في العبريّة، والآرامية، والسريانيّة، تنطق على طريقتين متباينتين. وهذه الأُحرف هي التي يجمع بينها قولك: «بجد كفت». وهي ظاهرة معروفة مُقرّرة في هذه اللّغات. أمّا فَرْقُ النطق بين هاتين الطريقتين فهو أنّك في الطريقة الأُولى تنطق هذه الحروف على نحو ما تُنطق عليه في العربيّة، ما عدا الجيم، فهي تُنطق كنطق أهل القاهرة لها، والفاء، وتنطق كنطق الإنجليز لحرف P.

---

(١) انظر: بروكلمان (١٩١٦) ص ١٢٤، ونولدكه (١٩٦٣) ص ٢٨، وفيشر ص ٩٠، ١١٩

وتمييزاً لطريقة النطق هذه فقد عمد العبريون والآراميون إلى وضع نقطة داخل الحرف ، هكذا :

בּ = ب ، גּ = ج ، דּ = د ، כּ = ك ، פּ = ف ، תּ = ت

وأمّا السّريان فوضعوا نقطة فوق كلّ حرف من هذه الأحرف على النحو الآتي :

ܒ݁ = ب ، ܓ݁ = ج ، ܕ݁ = د ، ܟ݁ = ك ، ܦ݁ = ف ، ܬ݁ = ت

وأمّا الطريقة الثانية فيترتّب عليها أن تنطق الباء كما ينطق حرف (V) بالإنجليزيّة ، ولا نظير لهذا في العربيّة . وأمّا الجيم فتصبح غيناً ، والدال ذالاً ، والكاف خاء ، والـ P تصبح فاء ، والتاء تصبح ثاء .

وتمييزاً لهذه الطريقة عن سابقتها أُهملت النقطة التي توضع على كل حرف من هذه الأحرف في الخط العبري والآرامي . أمّا في الخط السرياني فكانوا يضعون لذلك نقطة تحت الحرف . ولا يلتزمون بذلك إلّا عند تحسّب اللبس بين التلفّظ بالطريقة الأولى ويسمّونها قوشايا ܩܘܫܝܐ أي : القاسي (التلفّظ القاسي) ، والطريقة الثانية وتسمى روكاخا ، أي : التلفظ اللّين .(1)

وقد تكون علّة التخفّف من الالتزام بهذه النُقَط – سواء ما كان منها تحت الحرف أو فوقه – أنّهم لو التزموا بها لوقعوا في لبس آخر ، وهو ازدواجيّة وظيفة النقطة ؛ فهي تدلّ على هذا الذي رأينا ، وعلى أشياء أخرى ، فهي التي تَميز عندهم الدال من الراء ، إذْ الحرفان لهما رسم واحد هو : ܪ فإذا أُعجم من أعلى فهو راء (ܪ) ، واذا أُعجم من أسفل فهو دال (ܕ) . وقد تختلط بالحركات في النظام الشرقي النسطوري ، إذ يُعتمد فيه

(1) يقابل كلمة « قوشايا » كلمة قاسٍ ، مع ملاحظة أنّ الشين السريانيّة تقابلها السين العربيّة . فمصطلحا : القاسي واللين هما ترجمة حرفيّة عن الأصل السرياني . وقد ترجم نولدكه ص ١٥ هذين المصطلحين ترجمة حرفيّة إلى الألمانيّة . فعبّر عن اللين بـ weich والقاسي بـ hart . وانظر بروكلمان (١٩٨١) ص ١٠ حيث ترجم قوشايا بـ Verhartung وروكاخا بـ Erweichung . ومن الباحثين من يعبّر عن المصطلح الأول بـ « الشديد » (Stops) وعن المصطلح الثاني بـ « الرّخو » (Spirants) .

این صفحه در اصل مجله ناقص بوده است

این صفحه در اصل مجله ناقص بوده است

حرف الراء، إذن، واحد، ولكنّ نطقه يتلوّن وفقاً لقواعد محدّدة، ولا يصح أن نعتبر هذه الألوان المتعددة لنطق الراء حروفاً متباينة، لأنّه لا يترتب على اختلافها فرق في المعنى.

وهذه هي حال حروف الظاهرة الساميّة «بجد كفت» حين تُنطق على لونها الآخر: «بغذ خفث» إذ كل حرف من أحرف المقولة الثانية هو لون من ألوان تصويت المقولة الأولى. فكلمة مَلْكا ܡܠܟܐ السريانية – أي: ملك – يتلوّن فيها صوت الكاف – في ضوء قواعد محدّدة – ليصبح (خ)، فيقال حال الإضافة ܡܠܟ مِليخ. وبذا كان لزاماً أن نتنبّه إلى أنّ هذه الأحرف اللينة التي تنقلب إليها أحرف «بجد كفت» لا تُعَدُّ في تلك اللغات حروفاً مستقلة (فونيمات = Phonemes)، وليس لها رموز كتابيّة خاصة في أبجديّاتها؛ وإنّما تُعَدّ تنوّعاتٍ موقعيّة[1] (ألفونات = allophones) أي تحققات متنوّعة لتلك الأصوات في بيئات صوتية محدّدة.

ولا بأس من ذكر الضوابط التي تميز بين نطق الحرف على نحو ما جاء عليه في المقولة الأولى، أي ما يسمونه بالنطق القاسي لهذه الأحرف – وما جاء عليه في المقولة الثانية أي النطق اللين على حد تعبير السّريان. وفيما يأتي ذكر لأظهر هذه الضوابط مشفوعة بموازنة ما يحصل في العبريّة والسريانيّة بنظيره مما يحصل في العربيّة.

أ – تنطق حروف «بجد كفت» شديدة في الحالات الآتية:

١ – إذا وقع أحدها في أول الكلمة كحرف الباء من كلمة ܒܠܥ بِلَاع السريانيّة أو בְּלַע الآراميّة أو בָּלַע العبريّة ومعناها بلع أو افترس

٢ – إذا توسط أحدها في الكلمة وقد سبقه حرف ساكن، كحرف الكاف في مَلْكا الآراميّة מַלְכָּא (أي: الملك) وفي السريانيّة ܡܠܟܘܬܐ (مَلْكوتا (أي:

---

(١) يفترض علماء الساميّات أنّ هذا التنوّع الموقعي – على النحو الذي جاء في المقولتين السالفتين – هو ما كانت عليه اللغة العبريّة القديمة. أمّا اللغة العبريّة الحديثة فلا ينطبق عليها هذا تمام الانطباق. ولنأخذ مثلاً على ذلك، فإن تحوّل الصوت «ج» بالنطق القاهري – وهو النطق القاسي – إلى النطق اللين، وهو «غ» لا وجود له في العبريّة الحديثة. ولا يخفى أنّ العبريّة الحديثة متأثّرة بلغات اليهود المعاصرين الأصلية. انظر ربحي كمال (١٩٧٨) ص ٧٨.

ملكوت أو مملكة) وفي العبريّة מַסְגֵּר مَسْجير (أي: صانع أقفال). وينبغي أن يكون هذا الساكن الذي سبق حروف «بجد كفت» ليس هو الحرف الأول في الكلمة، وإلّا كانت ليّنة كما سنبيّن.

٣ – إذا شدّد أحدها. ويأتي التشديد في العبريّة على وجهين:

– صوتيّ: ويعني النقطَ دلالةً على أن حروف «بجد كفت» تنطق نطقاً قاسياً (شديداً) ليس ليّناً (رخواً)، فتنطق الكاف على هذا كافاً وليس خاء.

ومن أمثلته מִסְגָּד (أي: مسجد) و מִגְדָּל (أي: بُرج) و מִשְׁפָּחָה (أسرة)، و מֶרְכָּב (مَركب)

– وصرفيّ: ويعني النقط دلالةً على شِدَّة نطق الحرف، أي تضعيفه وإدغامه، نحو: יִתֵּן (يعطي)، אַתָּה (أنتَ). ومن أمثلة ذلك في السريانيّة ܡܩܕܫ (مُقدَّس)

وتنطق هذه الحروف ليِّنة في الحالات الآتية:

١ – إذا كان أحدها في أوّل كلمةٍ وقد اتصل نطق هذه الكلمة بكلمة سابقةٍ منتهية بحرف ساكن مُستترٍ ישרו בָאֶרֶץ فقد انتهت الكلمة الأولى بواو ساكنة، وبدأت الأولى بحرف الباء وهو من حروف «بجد كفت»، إلّا أنّ اتصال الكلام قد أتاح أن تظل الباء بدون الشدّة الخفيفة أي التي تغير نطق الحرف إلى (V) فظل الحرف ينطق هنا (V). هذا في العبريّة. ولننظر الى مثال آخر من السريانيّة حيث يقال: ܪܘܚܐ ܒܝܫܬܐ روحا بيشتا (أي: الروح الشريرة) فقد انتهت الكلمة الأولى بألف ساكنة؛ وهذا ما جعل الباء في أوّل الكلمة التي تليها. (بيشتا) تنطق (V)

٢ – إذا سُبق الحرف من هذه الأحرف بساكن فالأصل أن هذا الحرف ينطق قاسياً كما بيّنّا – واستثناء من هذه القاعدة فإنّ السّاكن الذي يسبق، إن كان أوّل حرف في الكلمة فإنّ الحرف من هذه الحروف ينطق ليّناً.

أمّا تفسير ذلك فهو أنّ الحرف الساكن اذا جاء أوّل الكلمة فلا بدّ من تحريكه حركة خفيفة يسمّيها السّريان والعبريون نصف حركة أو سكوناً متحركاً שְׁוָא נָע ، فنظير السكون المتحرك ما نجده في حروف القلقلة في العربيّة (قطب جد) إذا كانت ساكنة، فإنها تُقَلْقَل عن السكون بما يشبه الحركة.

وتحريك الساكن الأول تحريكاً خفيفاً ظاهرة عامة في اللغات السّاميّة؛ وذلك لأن النظام الصوتي في اللغات السامية يكره أن يلتقي صامتان في أوّل الكلمة، ولذا كانت العربيّة تُدخل صوتاً مكسوراً على كلمة (بن) مثلاً لتصبح (ابن) وهذا ما حدث في (انفعل). فتفادياً للبدء بنون ساكنة تتلوها فاء أدخلت همزة الوصل التي تمثّل صوتاً قصيراً مكسوراً. والأمثلة كثيرة في العربيّة، منها: إدخال همزة الوصل على أوّل فعل الأمر، فيقال: اضْرِب. ولو التفت إلى العبريّة والسريانيّة لوجدت الأمثلة لا تنحصر في ما ذكرنا، بل تتجاوزه إلى غير ذلك من الظواهر؛ ففعل الأمر إذا أسند إلى ياء المخاطبة أو واو الجماعة في العبريّة فإنه يشكّل أوّله بكسرة قصيرة (e) وكان الأصل فيه أنّه ساكن، وقد جاءت هذه الكسرة لتفصل بين الساكنين، وبهذا خالفت العربيّة العبريّة.

- فالعربيّة تحاشياً لالتقاء ساكنين في أول الكلمة بدأت بمتحرك مكسور (ممثلاً في همزة الوصل) أي بمكسور ثم ساكن فساكن[1]
- أما العبريّة ففصلت بين الساكنين بإقحام كسرة قصيرة بينها فأصبحت البداية هكذا: ساكن فمكسور فساكن. انظر مثلاً فاء الفعل المضارع المسند إلى ياء المخاطبة وواو الجماعة فيما يأتي:

תִּשְׁכְּנִי «تسكنين» ولفظها «تِشْكِني»

תִּשְׁכְּנוּ «تسكنون» ولفظها «تِشْكِنو»

إنّ فاء الفعل هي الشين الساكنة (שְׁ) وقد سبقها تاء المضارعة (תִּ)، فلما حُذفت تاء المضارعة وبُني الفعل للأمر متصلاً بهذين الضميرين أصبحت الشين الساكنة

(١) انظر حول نظام المقاطع ماكتبه بروكلمان (١٩١٦) ص ٤٦ وجان كانتينو ص ١٩١، والعاني ص ١٣١

في أوّل الكلمة، ولما كان البدء بساكن لا يصحّ التزموا بكسرها هكذا:
שִׁכְנִי و שִׁכְנוּ (شِخْني وشِخْنو) ومعناهما: اسكني، واسكنوا.

وهذا ما يحصل في السّريانيّة أيضاً. انظر مثلاً كيف تكون فاء الفعل المضارع مسكّنة في ܢܶܟ݂ܬܽܘܒ نِخْتوبْ (يَكتب) (الحرف الأول النون وهو حرف المضارعة وتقابله الياء في يكتبُ وأمّا الحرف الثاني وهو الخاء – أي الكاف في صورتها اللينة – فهو فاء الفعل) ثم أصبحت فاء الفعل مكسورة كسرة قصيرة تشبه القلقلة في العربيّة حين صيغ منه الأمر هكذا:
ܟ݁ܬܽܘܒ كِتوبْ أي: اكتب.

والظاهرة واردة في الحبشيّة والأكاديّة أيضاً، فهي ظاهرة ساميّة مطّردة[1].

٣ – إذا سُبق أحد أحرف «بجد كفت» الواقع في أوّل الكلمة بأداة اتصلت به، نحو: גְּנֻבְתִי יוֹם וּגְנֻבְתִי לָיְלָה مسروقة النهار ومسروقة الليل «جِنُبْتي[2] يوم أو جِنُبْتي لَيْلا»، ونحو הִיא מְתוּקָה כִּדְבַשׁ هي حلوة كالعسل «هي مَتُوقّ كِدْبَشْ»[3]. ولعلّنا نلاحظ أنّ الجيم (ג) التي وقعت في أوّل كلمة من الجملة الأولى قد جاءت مشدّدة ولّما سبقت بواو العطف (וּ) في الكلمة الثالثة وهي نفس الكلمة الأولى حُذفت منها النقطة، وهي علامة التشديد.

هذا في العبريّة، ولّننظر إلى ما يماثله في السريانيّة
הִיא מְתוּקָה כִּדְבַשׁ وفتح فمه وعلّمهم «وَفتَحْ لِفومِيه والِيفْ إنونْ». لاحظ أنّ حرف الفاء (ܦ) لما سُبق بالواو (ܘ) في الكلمة الأولى، وباللام (ܠ) في الكلمة الثانية فقد وُضعت النقطة تحت الحرف – وهي علامة عدم التشديد في السريانية – ولولا ذلك لكانت النقطة فوق الحرف – وهي عندئذٍ علامة التشديد.

---

(١) انظر بروكلمان (١٩١٦) ص ٨٧
(٢) مشتقة من الأصل גנב «جنب» ويقابله في العربيّة خَنَبَ، والخنّاب هو السارق.
(٣) الكاف للتشبيه ويقابل «دبش» في العربيّة الدّبس وهو عسل التّمر.
انظر ابن منظور (دبس)

٤ – ولو اتصلت أداةٌ بكلمةٍ ثانيها حرف من حروف « بجد كفت » وأوّلها ساكن فإن هذه الأداة سيترتب عليها تليين حروف « بجد كفت » ولولا الأداة لنطقت قاسية انظر مثلاً من السريانية :

ܗܘ ܡܛܘܠ ܕܫܦܪ ܒܗ ܝܡܢܘܬܗ

هو قَتل فَرِحاً بإيمانه

هُوْ مِيطول دَشْفِرْ بَهْ يِمانوثِه

والشاهد في هذا أنّ الدال (ܕ) قد دخلت على كلمة أولها حرف ساكن وهو الشين (ܫ) والثاني من حروف « بجد كفت » وهو هنا حرف الفاء (ܦ) في كلمة (ܫܦܪ) ولو كان قاسياً لنطق به كما ينطق حرف (P) وقد كُسِرَ حرف الفاء بعد أن كان ساكناً تخلّصاً من التقاء الساكنين.

٥ – وظاهرة التقاء الساكنين التي تقتضي تحريك أحدهما في اللغات الساميّة هي التي تفسّر لنا السبب في أنّ حروف « بجد كفت » إذا جاء أحدها بعد حرفين ساكنين – كما هي الحال في الباء من كلمة ܡܥܪܒܐ « مَعْرِبا » (أي : المغرب) – فإنّها تنطق ليّنة . (أي : ب : V) وكان الأصل فيها أن تكون باء قاسية لأن ما قبلها الأصل فيه أنّه ساكن ، وقد كسر بكسرة خفيفة لأنه سُبق بساكن ، وكان المخرج من التقاء الساكنين كسر ثانيهما[1] وهو هنا الراء ، وهذا ما سوّغ نطق الباء ليّنة .

ولا تنطبق هذه القاعدة على نحو ܒܝܫܬܐ (السيئة) « بيشْتا » . فحرف التاء (ܬ) جاء مسبوقاً بمقطع مغلق مكوّن من ياء المدّ والشين الساكنة ، وتعليل هذا أنّ الصوت الأوّل من هذين الصوتين حرفُ مدّ فعُومل على أنّه حركة كسر مشبعة لحرف

(١) يُتخلّص من التقاء الساكنين في العربيّة بتحريك أوّلهما وليس الثاني ، مثل : « قالتِ امرأة العزيز » ، مِنَ اللّه ... الخ . وثمّة فرق آخر بين العربيّة وشقيقتيها السريانية والعبريّة ، وهو أنّ العربيّة قد تسمح بالتقاء الساكنين على تفصيل يذكره اللغويون ، ومن ذلك جواز التقاء ساكنين في آخر الكلمة ، نحو : هنْدْ ودعْدْ ورغْدْ ... أما هاتان اللغتان فتتخلصان منهما كما رأينا . إلّا أن بعض اللهجات العربيّة تضيق ذرعاً بالتقاء الساكنين دائماً فتراها تحرك فتقول : دَعِد وهِنِد كما في بلاد الشام أو دَعُد ورَغُد كما في العراق .

الباء الذي قبله، ولذا لم يلتق ساكنان، وإنّما التقى صوت مدّ طويل (أي حركة) بساكن وهو الشين، فظلّ حرف الشين على سكونه دون كسر على نحو قواعد التقاء الساكنين. ولذا جاء حرف التاء، وهو من حروف «بجد كفت»، قاسياً لأنّه سُبق بساكن.

حسبنا من القواعد التي تضبط هذه الحروف - لِيْناً وقَسْوة - ما ذُكر[1]. ولنلتفت الآن إلى ما قد يلوح في العربيّة من أمثلة تستدعي النظر، لنرى: هل لهذه الظاهرة «بجد كفت» من بصمات في عربيّة الأمس وعربيّة اليوم.

ولننظر إلى الكيفيّة التي تأتي عليها أحرف «بجد كفت»: هل تتبادل هذه الأصوات مع ما يناظرها من أصوات أخرى كالتي مرّت بنا في العبريّة والسريانيّة؟

ينبغي قبل الإجابة عن هذا السؤال - أن نذكّر ثانية بأن العربيّة تخلو أصلاً من حرفي (V) وهو الشكل الليّن للباء، و (P) وهو الشكل القاسي للفاء. ويذهب علماء السّاميات إلى أنّ (P) صوت سامي أصيل، ويقدّرون أنّه كان من أصوات الساميّة الأم. وليس غريباً أن يكون قد انقلب في كل أوضاعه في العربيّة إلى فاء، إذ أمر انقلابه إلى فاء ظاهرة معروفة في اللغات الساميّة وغيرها. انظر مثلاً كيف تنطق كلمة Philologisist، Philosophy، و Photographiereng و Phonetic وما شاكل ذلك من كلمات ألمانيّة أو انجليزيّة فيها Ph إنها تنطق فاء (f) وإن كانت ما تزال محافظة على أصل النطق بها قديماً، وما تزال بعض اللهجات الألمانية تنطق كلمات من مثل: Pfad، Pfahl، Pferd بالـ P على الاصل، وبعضها تنطقها متخففة منها.

وعلى أيّ حال فليس لدينا من الآثار العربيّة ما يدلّ على أن هذين الصوتين قد استخدما من قبل. فلندعهما ولنمض إلى بقيّة الأصوات.

في العربيّة كلمات تحمل المعنى نفسه تقريباً فضلاً عن تماثلها في الأصوات إلّا بالقدر الذي يفرق الأحرف اللينة من القاسية.

---

(١) انظر نولدكه ص ١٥ - ٢٠، بروكلمان ص ١٠ أ - ١١

وفيما يأتي عرض لنماذج من هذه المواد التي توضّح تبادل التاء والثاء، والجيم والغين، والكاف والخاء، والدال والذال، ونكتفي بعرض ذلك من «لسان العرب» و «المزهر».

أمثلة من تبادل التاء والثاء:

نقت ونقث:

جاء في مادة (نقت): «يقال: نُقِتَ العظمُ ونُكِتَ إذا أُخرج مُخُّه» وفي مادة (نقث) «ونَقَثَ العظمَ يَنْقُثُه نقثاً وانْتَقَثَه: استخرج مُخَّه»

غتّ وغث:

وجاء في مادة (غتت): «غتَّ الطعامُ يَغُتُّ، وأَغْتَتُّه أنا، وغَتَّ الكلامُ: فَسَدَ» وفي مادة (غثَثَ): «الغثّ الرديء من كل شيء... وأَغَثّ حديثُ القوم وغَثّ: فَسَدَ ورَذُوَ»

عَتَّ وعَثّ:

وجاء في (عثث): «وعَثَّه يَعُثُّه عَثّاً: ردّ عليه الكلام، أو وبَّخه به، كعَتَّه».
وفي (عتَتَ): «وعَتَّه بالكلام يَعُتُّه عَتّاً: وبَّخه ووَقَمَه والمعنيان متقاربان، وقد قيل بالتاء».

تاب وثاب:

وفي مادة (ثوب): «ويقال: ثاب فلان إلى الله، وتابَ، بالثاء والتاء، أي عاد ورجعَ إلى طاعته... ورجل تَوّابٌ أَوّابٌ ثَوّاب منيبٌ، بمعنى واحد.
ومن ذلك أيضاً: رَجُل كَنْتَج وكَنْثَج وهو الأحمق. والخَتْلَةَ والخَثْلَة: أسفل البطن، والكُتَّاب والكُثّاب سهم صغير لتعلم الرّمي، وتَخّ العجين وثَخّ كَثُر ماؤه ولان... وأمثلة أخرى، يجمعها السيوطي من كتب مختلفة(١).

(١) السيوطي: ١/ ٥٣٩

أمثلة من تبادل الجيم والغين:

جدف وغدف:

وفي مادة (جذف): «ومجذاف السفينة لغة في مجدافها كلتاهما فصيحة».

وفي مادة (غدف): «والغادِف: يمانيّة. والغادفُ والمِغْدَفةُ والغادوف والمِغْدَفُ: المِجْدافُ، يمانية»

فاغ وفاج:

وفي (فوج): «وفاج المسك: سطع، وفاجَ كَفاحَ».

وفي (فوغ) «وفَوْغَةُ الطيب: أول ما يفوحُ منه. قال ابن الأثير: ويروى بالغين لغة فيه».

وفي (فوع): «ويقال: وجدت فَوْعَةَ الطيب وفَوْغَته بالعين والغين، وهو طيبٌ رائحتُه تطير إلى خياشيمك».

وفي (فاح): «وفاح الطيب يَفُوحُ فَوْحاً إذا تَضَوَّع، الفرّاء: يقال فاحت ريحة وفاختْ... وفَوْحُ الحرّ: شدّة سطوعه».

أمثلة من تبادل الكاف والخاء:

لَكٌّ ولَخٌ:

وفي (لَخَخَ):
«وسكران مُلْتخٌّ ومُلْطخٌ أي مختلط لا يفهم شيئاً لاختلاط عقله».

وفي (لكك): «وجاءنا سكران مُلْتكّا: كقولك مُلْتخّاً أي يابساً من السكر».

كَدَشَ وخَدَشَ:

وفي (كدش): «والكَدْشُ: الخَدْشُ، يقال: كَدَشَه إذا خدَشَه. وجلد كدش: مُخَدَّش».

وفي (خدش): «خَدَشَ جلده ووجهَه يَخْدِشُه خدشاً: مزقه. والخَدْشُ مَزقُ الجلد، قل أو كثر».

خَنَعَ وكَنَعَ:

وفي (خنع): «الخُنُوع: الخضوع والذل».

وفي (كَنَعَ): «وكَنَعَ يَكْنَعُ كُنُوعاً وأَكْنَعَ: خَضَعَ، وقيل دنا من الذّلّة».

ومن ذلك أيضاً: خَبَنَ الثوب وكَبَنَه إذا قَصَّره[1]، ووخر ووكز، وسكّين وسخّين، ولعلّ من ذلك: الكِرْبِز والخِرْبِز[2].

أمثلة من تبادل الدّال والذّال:

دَفِرَ وذَفِرَ:

وفي (ذفر): «قال ابن سيدة: وقد ذكرنا أنّ الدّفَر، بالدال المهملة، في النتن خاصة. والذّفَر: الصُّنان وخُبْثُ الريح»

وفي (دَفِرَ): «والدَّفَر: النَّتنُ خاصة ولا يكون الطيب البتةَ. ابن الأعرابي: أَدْفَرَ الرجل إذا فاح ريح صُنانِه. غيره: الذّفَرُ، بالذال وتحريك الفاء، شدّة ذكاء الرائحة، طيّبة كانت أو خبيثة».

دَفَّفَ وذَفَّفَ:

وفي (دفف): «ودَفَّفَ على الجريح كَذَفَّفَ: أجهز عليه... وفي رواية: أَقْعَصَ ابنا عفراء أبا جهل ودَفَّفَ عليه ابن مسعود، ويروى بالذال المعجمة بمعناه... يقال: ذَفَّفْتُ عليه تذفيفاً إذا أجهزت عليه».

---

(١) ابن منظور (خبن، كبن) والسيوطي ١ / ٤٧٢

(٢) جاء في لسان العرب أنّ الكِرْبِز هو القِثّاء الكبار، وأمّا الخِرْبِز فهو البطيخ بالفارسيّة. انظر ابن منظور (كربز، خربز)

ومن ذلك ما ذكره السيوطي في المزهر: خَرْدَلْتُ اللحم وخَرْذلته: قطعته. واذْرَعَفَت الإبل واذْرَعَفَّت: مضت على وجوهها، واقْدَحَرّ واقذحَرّ، وعدوفاً وعذوفاً: أي مأكولاً، ورجل مِدْل ومِذل: القليل اللحم، والدّحْداح والذحْذاح: القصير. وبَلْدَم الفرس وبَلْذَمه: صدره، ودَحْمَلْتُ الشيء وذحْمَلْتُه: دحْرجْتُه، ودَفَفْت على الجريح وذَفَفْتُ: أجْهَزتُ عليه. والخُنْدَع والخُنْذَع: الخسيس، وغَمَيْدَر وغَمَيْذَر: المتنَعِّم، وقِنْدَحْر وقِنْذَحر: المتعرِّض للناس، وحرْدَون وحِرْذَون: دابّة أو سبع، ومَرَد الخُبْزَ ومَرَذه: لَيَّنه، وقاديه من الناس وقاذيه: القليل من الناس... الخ[1].

نحن، إذن، أمام ظاهرة في العربيّة تشبه – على نحو ما – نظيرة لها في بعض شقيقاتها من اللغات السّاميّة – هي ظاهرة «بجد كفت» – فما حقيقة هذا الشبه الذي نجده بين هاتين الظاهرتين؟ وهل كانت الظاهرة الساميّة تسري قوانينها ذات يوم على العربيّة ثم انفرطت قوانينها مع الزمن ولم يعد منها سوى آثارها؟

لا شكّ في أنّ ما بين الظاهرتين من تشابه يستهوي – ولو للوهلة الأولى – وجود تفسير ساميّ لما نحن بصدده في العربيّة من شواهد لغوية. بيد أنّ المرء لا يستطيع أن يمضي كثيراً مع هذا المنطلق ليفسر في ضوئه الظاهرة العربيّة دون أن تعترضه عوارض كبيرة، نذكر منها الأمور الآتية:

١ – لقد رأينا أنّ الظاهرة السّاميّة «بجد كفت» لها قواعد نافذة مطّردة يتحول معها الصوت من النطق اللين إلى القاسي أو العكس وهذه القواعد أو ما يماثلها لا وجود لها في العربيّة. فالدال والجيم والكاف والتاء تقع في البيئات الصوتيّة نفسها التي تقع فيها مقابلاتها اللينة أو الرخوة: الذال والغين والخاء والثاء.

٢ – صحيح أنّ الألفاظ التي سردنا نماذج منها في هذا البحث، قد تبادلت المواقعَ فيها الدالُ والذال، والجيمُ والغين، والكافُ والخاء، والتاءُ والثاء، ولم يترتّب على تبادل حروفها اختلاف في المعنى، لكن استبدالَ الذالِ بالدال، والغين بالجيم، والخاء

---

(١) انظر: السيوطي ١/ ٥٤٤ – ٥٤٧

بالكاف، والثاء بالتاء، في غير هذه الألفاظ، يترتّب عليه فرق كبير في المعنى. وهو الفرق الذي يُحْدثه استخدامُ فونيم (أي حرفٍ مستقلّ) بدل فونيم آخر. فمعنى خليل مغاير لمعنى كليل، ومعنى خفر ليس هو معنى كفر، وأين الحِداء من الحذاء؟

٣ – وحتى الكلمات التي سبق ذكرها مما اتّحد لفظه ومعناه إلّا في بعض أحرف «بجد كفت» نجد تمايزاً جليّاً في استعمال هذه الكلمات أو استعمال مشتقاتها؛ فمن معاني الغِدْفَة (بالدال المهملة) «لباس الملك ولباس الفول والدُّجْر ونحوهما»(١) ولا نجد هذا في مادة (جذف)(٢) بالذال المعجمة، ونجد في مادة (جدف) التجديف وهو الكفر بالنِّعم، والجَدَف وهو القبر والجُدَافىٰ أو الجُدافاة وهي الغنيمة وهي معانٍ لا نجدها في مادة (غدف). بيد أن المرء ينبغي له ألّا يهمل عنصر الزمن في تراكم هذه المشتقّات وما يمكن أن يترتب عليه من فروق في المعنى فالغُداف معناه الغراب، «وخَص بعضُهم به غرابَ القيظ الضخمَ الوافرَ الجناحين»(٣) فثمة علاقة بين تسمية الغراب بهذا الاسم وجناحيه، وقال الكسائي: «جناحا الطائر مجدافاه»(٤) بالدال المهملة. «وجَذَف الطائر يَجْذِف أسرع تحريك جناحيه»(٥) بالذال المعجمة. وهكذا نجد قدراً مشتركاً يجمع بين استعمال هذه المواد: جذف، وجدف، وغدف، ثم تنوّعت استعمالات هذه المواد تنوعاً ظلّت فيه ملتقية في بعض الجوانب فالمجذاف والمجداف والمغدَف للسفينة كالجناح للطير ووجه الشبه قائم لا يخفى. وقد اختلفت في بعض الجوانب وهذا ما يفسر لنا تسمية الغراب أو نوع من الغربان بالغُداف ولم نجد له اسماً من مادة جذف أو جدف. ولما صارت كلمة غداف خاصة بالغراب،

---

(١) ابن منظور (غدف) والدُّجْر: اللوبياء

(٢) ابن منظور (جدف)

(٣) ابن منظور (غدف)

(٤) ابن منظور (جدف)

(٥) ابن منظور (جذف)

والغراب أبرز ما فيه سواده انتقل المعنى إلى الليل لسواده، والى الشعر الأسود الطويل وإلى كل جناح أسود طويل، وقيل كل أسودَ حالكٍ غُداف ثم انتقل المعنى إلى الإسباغ وارخاء الستر فقيل «أغدفت المرأة قناعها: أرسلته وأغْدف عليه ستراً: أرسله... والقوم في غِدافٍ من عيشهم أي في نعمةٍ وخصْب وسعَة»[١].

وقد مسَّ ابن جنّي هذا الموضوع في باب أسماه «باب في تصاقب الألفاظ لتصاقب المعاني»[٢]

٤ – إنّ ما يُروى من تبادل بين هذه الأحرف ليس قصراً عليها فحسب، فالتاء تتبادل مع الثاء لما بينهما من قرب صوتي كما مرّ، وهي تتبادل مع مجموعة كبيرة من الأصوات تذكرها كتب اللغة[٣] كتبادلها مع الطاء كالأقطار والأقتار: النواحي، ورجل طَبِنٌ وتَبِنٌ، وما أسطيع وما أستيع، وكتبادلها مع الدال، نحو سبنتى وسبندى للنمر والسّدى والسّتى للثوب، والتولج والدولج. ومن تبادلها مع السين: الناس والنات وأكياس وأكيات، وتتبادل الثاء مع الفاء في مثل الحثالة والحفالة وثلغ رأسه وفلَغه إذا شدخه. وتتبادل الخاء والهاء ومن ذلك: صَخَدَته الشمس وصَهَدَته إذا اشتد وقعها عليه، وبَخْ بَخْ وبَهْ بَهْ... الخ. كما أن التبادل لا ينحصر في هذه الأصوات بل يتجاوزها إلى الأصوات الأخرى كالزاي والسين والصاد، نحو سَقّر وصَقّر وزَقّر بمعنى واحد. والصاد والطاء، نحو اغتاصت رَحِمُها واغتاطت إذا لم تحمل أعواماً، وغير ذلك كثير[١]

(١) ابن منظور (غدف)
(٢) ابن جني ٢ / ١٤٥
(٣) انظر مثلاً: السيوطي ١ / ٢

لا شك أن قرب الأصوات في صفاتها ومخارجها يفسر لنا تبادلها، سواء أكان في ظاهرة «بجد كفت» أم في العربيّة أم سواها من اللغات الأخرى الساميّة منها وغير الساميّة، بيد أن ما يميّز ظاهرة «بجد كفت» تميزاً واضحاً اطّراد حصولها وفقاً لقواعد محدّدة وعدم وجود أي فرق في المعنى أو الاشتقاق بين الكلمة التي تضمّنت الصوت في حال لينه أو قسوته.

ولعل في هذا التصاقب بين اللفظ والمعنى ما يفسر سبباً مهماً من أسباب ظاهرة الترادف في العربيّة، ويفسر أيضاً سبب وجود هذه الظاهرة في شقيقاتها الساميّات. كما أنّ اختلاف اللهجات بين القبائل العربيّة يؤلف عاملاً أساسياً في وجود هذه الظاهرة. فبعض القبائل تميل لأسباب صوتية أو اجتماعية إلى ترجيح الزاي على السين في مثل: اللزق بدلاً من اللصق أو اللسق، والبزاق بدلاً من البساق أو البصاق وكما يحدث في نطق بعض المصريين[٢] السين زاياً فيقولون: أزبوع بدلاً من أسبوع ... والعلة الصوتية في هذا واضحة وهي تأثر السين، وهي صوت مهموس، بالباء وهي صوت مجهور، لذلك انقلبت السين المهموسة المجاورة للباء المجهورة إلى حرف مجهور من المخرج نفسه هو الزاي، لكي تماثل الباء.

وقد حدث نحو هذا في غير العربيّة، فالإنجليزية تعرف حرف S، ولكنّه ينطق تارة سيناً وأخرى زاياً، كما في Bags و Books

وتأثرت العربيّة بظاهرة «بجد كفت» فيما أخذته عن اللغات الساميّة من ألفاظ، نحو:

يهود ويهوذ، وبغداد وبغذاذ وبغداذ وبغذاد[١]، وهي تسمية فارسية[٢]، والكرك والكرخ وكرخيتي وأصل معناها المدينة الحصينة أمّا الكَرَك فمدينة في الأردن ذات قلعة حصينة،

---

(١) انظر السيوطي ١/ ٤٦٢ – ٤٦٨ و ٥٣٨ – ٥٥٥، و ٥٥٧ – ٥٦٥ وابن جني ٢/ ١٤٥، واليسوعي ١١–٤١

(٢) انظر فرنواني ص ٩٢

(١) انظر ابن منظور (بغدد)

(٢) انظر صدّيقي ص ٣٥ ولا يمنع أصلها الفارسي من أن يكون تنوع نطقها العربي متأثراً بالآراميّة التي كانت تسود هناك قبل الإسلام ويقال إنها مركبة من مقطعين: بغ ومعناها صنم، وداد ومعناها عطيّة. أي: عطيّة الصنم. انظر ابن منظور (بغدد)

وأما الكَرْخ فحيّ في بغداد، وأمّا كرخيتي فقلعة قرب أربل في العراق. ويبدو أن أصل التسمية سامي قديم، فإن كَرَكا ܟܪܟܐ تعني بالسريانية المدينة الحصينة، وهي في العبريّة كَرَخ وكِرَخ כְּרָךְ، כְּרַךְ وتعني المعنى السرياني نفسه[1].

وبعد، فإنّ واقع اللغة الوصفي يقرّ بأن حروف العربيّة لها وظيفة متميّزة في أداء الكلمة معناها، فيترتب على استبدال أحدها بالآخر تغيّر في المعنى (انظر: ذليل ودليل؛ زهرة – وسهرة...). بيد أنّ ثمّة حروفاً لا يؤدي استبدال شبيهاتها بها إلى اختلاف في المعنى (غدف وجدف وجذف؛ بغداد وبغداذ...). ولكنه التقاء ظاهري؛ وذلك لأن ظاهرة «بجد كفت» لها قواعد مطردة – كما رأينا – ولا نجد هذه القواعد في العربيّة. وفي هذا ما يرجّح أنّ هذه الظاهرة مرهونة بالمفارقات اللهجيّة العربيّة. ولكن هذا لا يمنع من أن يفترض أن الأصوات الساميّة المتقاربة كالذال، والدال، والكاف، والخاء، والسين، والشين... كانت ألواناً مختلفة لحرف واحد – كما تشهد بذلك ظاهرة «بجد كفت» والألفاظ العربيّة التي لا يترتّب على اختلاف نطق بعض حروفها اختلاف في المعنى.

وهذا يعني أن الحروف العربيّة ربما كانت أقل مما هي عليه. ولّما ازدادت الحاجة إلى التوسع اللفظي استقلّت الألوان المتنوعة لنطق الحرف الواحد لتصبح حروفاً جديدة يترتب على تباينها تباين المعاني.

ومما يشجع على قبول هذا الافتراض أن العربيّة قد طوّرت نفسها في مجالات عديدة بالمقارنة مع أخواتها الساميات وقد حصل هذا التطور في جوانب شتى كالأصوات، والمعاني، والألفاظ، والتراكيب[1]. وقد تمّ هذا كله في عصور سحيقة قبل الإسلام. ولئن كانت النصوص التوثيقيّة لا تسعفنا في الوقت بدقّة على مراحل هذا التطور قبل الاسلام إلّا أن مقارنة العربيّة باللغات الساميّة تشير – دون شك – إلى قدر كبير منه.

---

(١) انظر ربحي كمال (١٩٧٢) ص ٤٩.

(١) انظر حول هذه الموضوعات ما كتبه بيرجشترسر في كتابه: التطوّر النحوي

ومما يمكن ذكره في تفسير هذه الظاهرة ما ألمحنا إليه من حديث اللغويين عن تصاقب الألفاظ لتصاقب المعاني، وهي من محاولاتهم في شرح ظاهرة الاشتقاق. وهم في هذا يذهبون إلى أن كثيراً من المواد التي اشتركت في أصل مادتها بحرفين واختلفت في ثالث فإنها تشترك بقدر في المعنى (انظر نقت ونقث، غتّ وغث ...)

وممّا يعزّز هذا الرأي ويَعْضُده ما يذهب إليه علماء الساميّات في حديثهم عن نظريّة الثنائيّة الساميّة، وهي التي تنطلق من اعتبار الكلمات الساميّة بوجه عام ثنائية الأصل. فكلمة قلقل وزقزق وما شاكلها تعود في الأصل إلى حرفين تكرّرا، وكذلك الكلمات الثلاثيّة نحو: نقش ورقش، ونقت ونقث... فإنّ الأصل فيها ما اشتركت فيه من حروف، وهي تنتمي في المعنى إلى أسرة واحدة.

ولا شكّ في أن قضيّة التصحيف والتحريض كان لها أكبر الأثر في الخلط بين المواد اللغويّة في بداية جمع اللغة وهذا سبب لا يخفى في إلقاء نظرة على أسباب هذه الظاهرة.

أمّا الألفاظ الساميّة القديمة، نحو: بغداد وبعذاذ وبغداذ، وبغذاذ... والكرك والكرخ... وما شاكل ذلك من تسميات ساميّة قديمة وكذا الألفاظ التي يمكن أن تكون العربيّة قد تأثرت فيها بشقيقاتها الساميات، أما هذه الألفاظ، فقد تكون العربيّة متأثرة في نطق أصواتها بما تفسّره ظاهرة «بجد كفت».

إنّ هذه الأسباب مجتمعة، قد أسهم كلّ منها في نشوء هذه الظاهرة التي نرجو أن نكون قد ألقينا – ولو بقدر – بعض الضوء عليها.

المراجع

(وهي مرتبة وفقاً للمختصرات التي أوردت أثناء البحث)

١ - ابن الباذش=
أحمد بن علي بن أحمد بن الباذش، الاقناع في القراءات السبع، تحقيق عبد المجيد قطامش، جامعة أم القرى، ١٤٠٣

٢ - بروكلمان (١٩١٦)=
C. Brockelmann, Semitische Sprachwissenschaft, Zweite verbesserte Auflage, Berlin und Leipzig 1916

٣ - بروكلمان (١٩٨١)=
C. Brockelmann, Syrische 'grammatik, 13. unveranderte Auflage, Leipzig 1981

٤ - بيرجشتريسر (١٩٦٣)
Gotthelf Bergsträsser, Einführung in die Semitischen Sprachen, Darmstadt 1963

٥ - بيرجشتريسر (١٩٨٢)=
بيرجشتريسر، التطور النحوي، نشره رمضان عبد التواب ١٩٨٢

٦ - جان كانتينو=
جان كانتينو، دروس في علم أصوات العربيّة، نقله إلى العربيّة صالح القرمادي، الجامعة التونسيّة ١٩٦٦

٧ - ابن جنّي=
أبو الفتح عثمان بن جنّي، الخصائص، تحقيق محمد علي النجار، دار الهدى، بيروت (بدون تاريخ)

٨ - الداني =

عثمان بن سعيد الداني، التيسير في القراءات السبع، عني بتصحيحه أوتو برتزل، استانبول ١٩٣٠.

٩ - ربحي كمال (١٩٧٢) =

ربحي كمال، التضاد في ضوء اللغات السّاميّة - دراسة مقارنة، جامعة بيروت العربيّة ١٩٧٢

١٠- ربحي كمال (١٩٧٨) =

ربحي كمال، دروس اللغة العبريّة، دار النهضة العربيّة، بيروت ١٩٧٨

١١- السيوطي =

عبد الرحمن جلال الدين السيوطي، المزهر في علوم اللغة وأنواعها، تحقيق محمد أحمد جاد المولى وآخرين، دار الفكر، بيروت (بدون تاريخ)

١٢- صديقي =

A. Siddiqi, Studien über die Persischen Fremdwörter im klassischen Arabisch, Göttingen 1919

١٣- العاني = سلمان حسن العاني، التشكيل الصوتي في اللغة العربيّة، ترجمة ياسر الملاح، النادي الأدبي - جدة ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣.

١٤- فرنواني =

Refaat el- Farnawany, Ägyptisch-Arabisch als Geschriebene Sprache

١٥- قمحاوي = محمد الصادق قمحاوي، البرهان في تجويد القرآن، القاهرة (بدون تاريخ)

١٦- مكّي =

مكّي بن أبي طالب القيسي، الكشف عن وجوه القراءات السبع، تحقيق محيي الدين رمضان مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠١هـ - ١٩٨١م

١٧- ابن منظور =
جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور ، لسان العرب ، دار صادر ، بيروت (بدون تاريخ)
١٨- نولدكه =
Theodor Nöldeke, Kurzgefasste Syrische Grammatik, Leipzig 1898
١٩- يسوعي =
رفائيل نخلة اليسوعي ، غرائب اللغة العربيّة ، الطبعة الثالثة ، دار المشرق ، بيروت ١٩٨٤ .

منهج في دراسة الأدب

للدكتور جاسر أبو صفية
الجامعة الأردنية

كتب الدكتور أسد رستم في الخمسينات من هذا القرن كتابا في دراسة التاريخ أسماه «مصطلح التاريخ»، مقتفيا بذلك آثار علماء الحديث في مناقشة الروايات سنداً ومتناً، فتُقُبِّلَ قَبولا حسناً، وعُدّ مرجعًا لا غنى عنه لكلّ من يحاول دراسة التاريخ دراسة علميّة. وجاء في مقدمة الكتاب: «وأول من نظّم نقد الروايات التاريخية، ووضع القواعد لذلك علماء الدّين الإسلامي؛ فإنّهم اضطروا اضطراراً إلى الاعتناء بأقوال النبي وأفعاله لفهم القرآن وتوزيع العدل... فانبروا لجمع الأحاديث ودرسها وتدقيقها، فأتحفوا علم التاريخ بقواعد لا تزال في أسسها وجوهرها محترمة في الأوساط العلمية حتى يومنا هذا»[١].

وقال في موضع آخر: «والواقع أنّ الميثودولوجية الغربية التي تظهر اليوم لأول مرة بثوب عربي ليست غريبة عن مصطلح الحديث، بل تمت إليه بصلة قوية، فالتاريخ دراية أولا ثم رواية، كما أنّ الحديث دراية ورواية[٢]. وبعض القواعد التي وضعها الأئمة منذ قرون عديدة للتّوصل إلى الحقيقة في الحديث تتّفق في جوهرها وبعض الأنظمة التي أقرّها علماء أوروبا فيما بعد في بناء الميثودولوجيا. ولو أنّ مؤرخي أوروبا في العصور الحديثة اطّلعوا على مصنفات الأئمة المُحدّثين لما تأخروا في تأسيس علم الميثودولوجيا حتى أواخر القرن الماضي»[٣].

---

١ . أسد رستم، مصطلح التاريخ، المكتبة العصرية، صيدا، دون تاريخ، المقدمة ص أ.

٢ . انظر مثلا: السّيوطي، جلال الدين عبد الرحمن (ت ٩١١هـ/١٥٠٥م)، تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي، دار إحياء السنة النبوية، بيروت، ط ٢، ١٩٧٩م، جـ١، ص ٤٠ فما بعدها.

٣ . مصطلح التاريخ، المقدمة، ص ج.

ولما كنت على صلة بكتب علم مصطلح الحديث في أثناء إعدادي لأطروحة الماجستير في أدب صدر الإسلام؛ إذ شجّعني أستاذي المشرف الدكتور صبحي الصالح على تطبيق منهج علماء الحديث في نقد نصوص الخطب التي جاءتنا من عصر الخلفاء الراشدين، فقد جاء كتاب الدكتور أسد رستم ليعطيني دفعة قوية للمضي في تطبيق هذا المنهج في دراسة نصوص الرسائل العائدة للعصر الأموي في أطروحة الدكتوراة، وفي الأبحاث التي كتبتها فيما بعد.

وزاد اهتمامي بتطبيق هذا المنهج في الدّراسات الأدبية عندما بدأت بتدريس مادة «مصطلح الحديث» لطلبة قسم اللغة العربية؛ إذ أحسست بوثيق الصّلة بين اللغة العربية وآدابها ومصطلح الحديث النبوي، ومدى آحتياج الدّراسات الأدبية إلى مثل هذا المنهج لنفي ما لحق الأدب العربي في عصوره المختلفة من زيف وكذب وتشويه.

أهميّة الإسناد عند العلماء:

تأثر العلماء القدامى تأثرا واضحًا بمنهج علماء الحديث في مؤلفاتهم التّاريخية والّلغوية والأدبية فأولوا الإسناد عناية خاصة ليتخلصوا، على الأقل، من تبعة الرواية وما يحمله مضمونها من مسائل قد يُعترض عليها، كما فعل الطبري حينما نصّ على ذلك في مقدمته: «وليعلم الناظر في كتابنا هذا أنّ اعتمادي في كل ما أحضرت ذكره فيه مما شرطت أني راسمه فيه، إنما هو على ما رويت من الأخبار التي أنا ذاكرها فيه، والآثار التي أنا مسندها إلى رواتها فيه، دون ما أُدرِكَ بحجج العقول واستُنبط بفِكر النّفوس، إلاّ اليسير القليل منه... فما يكن في كتابي هذا من خبر ذكرناه عن بعض الماضين مما يستنكره قارئه، أو يستشنعه سامعه، من أجل أنّه لم يعرف له وجها من الصّحة، ولا معنى في الحقيقة، فليعلم أنه لم يُؤتَ في ذلك من قِبَلنا، وإنما أُتِي مِن قِبَل بعض ناقليه إلينا، وإنا إنما أدينا ذلك على نحو ما أُدِّي إلينا.» (٤)

---

٤ . الطبري، محمد بن جرير (ت ٣١٠ هـ/ ٩٢٢ م)، تاريخ الرسل والملوك، تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم، دار المعارف، ط ٤ . ١٩٧٩م، جـ ١، ص ٧ – ٨.

فالطبري إذن، بإسناده الرّوايات والأخبار إلى أصحابها، يلقي تبعة ما فيها من أخطاء وروايات منكرة على عاتق هؤلاء الرّواة، تاركاً المجال رحبا للباحثين لنقد هؤلاء الرواة وبيان أحوالهم، وهو منهج محفوف بالمخاطر كما سنرى.

وما آستدللتُ بشاهدٍ من التاريخ إلاّ لصلته بالأدب، بل التاريخ جزء من الأدب، ولا سيما أن الروايات الأدبية تضمنت كثيرا من الأشعار والخطب والرسائل، بل تعد كتب التاريخ مصادر أساسية للروايات الأدبية. ولعل مما يرجح ذلك أنّ المؤرخين قديما عرفوا بالإخباريين؛ لأنّهم يروون أخبار الماضين، والروايات الأدبية جزء من هذه الأخبار. ويتضح هذا المفهوم في كثير من المؤلفات الأدبية، من ذلك مثلاً ما ذكره أبو الحسن العسكري في «المصون في الأدب»، قال: «كان أبو زيد لا يعدو النّحو، فقال له خلف الأحمر: قد ألححتَ على النّحو لم تَعْدُه، ولقَلّ ما ينبُل منفرد به، فعليك بالشعْر والأخبار»[٥]. ولا أدل على آختلاط الأدب، بمفهومه المعاصر، بالرّوايات التاريخية من كتاب «عيون الأخبار» لابن قتيبة الذي تخيّر فيه «من كلام البلغاء وفِطَن الشّعراء، وسير الملوك وآثار السلف»[٦]. وجاءت المقالة الثالثة عند ابن النديم في «الفهرست» بعنوان: «من أخبار الإخباريين والنسّابين وأصحاب السِّير والأحداث»[٧]. وجعل ابن النديم هذه المقالة ثلاثة فنون، الفن الثاني منها في أخبار الكتّاب المترسلين وصُنّاع الخراج، والثالثة في أخبار الأدباء (بمعنى الظرفاء) والندماء والمغنين.[٨].

---

٥ . أبو أحمد الحسن بن عبد الله العسكري (ت ٣٨٢ هـ/ ٩٢٢)، المصون في الأدب، تحقيق عبد السلام هارون، مطبعة الخانجي بالقاهرة ودار الرفاعي بالرياض، ط ٢، ١٩٨٢، ص ١١٩، ١٢٢، ١٢٦، وانظر في معنى الخبر ص ١٣١، ١٣٢، ١٣٣.

٦ . ابن قتيبة، عبد الله بن مسلم (٢٧٦ هـ/ ٨٨٩ م)، عيون الأخبار، نسخة مصورة عن طبعة دار المعارف، دون تاريخ، جـ ١، المقدمة ص ط.

٧ . ابن النديم، محمد بن اسحق (ت ٣٨٠ هـ/ ٩٩٠م)، الفهرست، تحقيق رضا تجدد، طهران ١٩٧١ م، ص ١٠١.

٨ . المصدر نفسه ص ١٠١.

وأما علماء اللغة فقلّ أن نجد كتاباً من كتبهم يروي دون إسناد إلا للضرورة كما نص على ذلك الصولي في كتابه «أدب الكتاب» قال: «وأسقطت من أكثرها الأسانيد ليقرب على طالبه وينال بغير كلفة ما أراد ولا تبتعد أقطاره عنه»(٩). وفي موضع آخر يقول: «قد ذكرت أن أختصر جميع ما أذكره وألقي أسانيده، ليقرب على طالبه ومستفيده إلا ما لا بد منه من ذكر نسبته وإسناده»(١٠).

ولا أدل على مبلغ اهتمام علماء اللغة والأدب بالسند مما فعله السيوطي في كتابه «المزهر»، إذ جعله على غرار علم الحديث، يقول: «هذا علم شريف، ابتكرت ترتيبه، واخترعت تنويعه وتبويبه وذلك في علوم اللغة وأنواعها وشروط أدائها وسماعها، حاكيت به علوم الحديث في التقاسيم والأنواع»(١١).

ومن مظاهر اهتمامهم بالسند أنّ أبا نواس، الحسن بن هانيء، قال في الثناء على خلف الأحمر: (١٢)

لا يَهِمُ الحاءَ في القراءةِ بالخا ءِ ولا يأخذُ إسنادَه من الصُّحفِ

وهجا شاعرٌ أبا حاتم السّجستاني فقال: (١٣)

إذا أسند القوم أخبارهم فإسناده الصُّحُفُ والهاجسُ

٩ . الصولي، محمد بن يحيى (ت ٣٣٦ هـ/٩٤٧م) أدب الكتاب، تحقيق محمد بهجه الأثري، دار الكتب العلمية، بيروت، دون تاريخ، ص ٢١.

١٠. المصدر نفسه ص٢٨، وانظر المواضيع التي أسند فيها ص٣١، ٢٦، ٣٧، ٣٩، ٤٥، ٥٤، وانظر حول إسقاط السند: د. ناصر الدين الأسد، مصادر الشعر الجاهلي، دار المعارف بمصر ١٩٦٢؛ د. عبد العزيز الدّوري، بحث في نشأة علم التاريخ عند العرب- دار المشرق، بيروت، ١٩٨٣م، مواضع متفرّقة مذكورة في الفهرس الأبجدي.

١١. السيوطي، جلال الدّين عبد الرحمن، المزهر في علوم اللغة وأنواعها، تحقيق محمد أحمد جاد المولى ورفاقه، البابي الحلبي، دون تاريخ، المقدّمة جـ١، ص ١.

١٢. العسكري، أبو أحمد الحسن بن عبد الله بن سعيد (ت ٣٨٢هـ/٩٩٢م)، شرح ما يقع فيه التّصحيف والتحريف، تحقيق د. السيد محمد يوسف، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق ١٩٨١م، القسم الأول ص ٢٣.

١٣. المصدر نفسه ص٢٣.

وشكّ ابن جِنّي في رواية منسوبة إلى الأصمعي فقال: «وتبعُد هذه الحكاية في نفسي لفضل الأصمعي وعلّوه، غير أني رأيت أصحابنا على القديم يسندونها إليه، ويحملونها عليه».(١٤) فلولا إسناد هذه الحكاية إلى الأصمعي لما قبلها ابن جني. وروى أبو حاتم عن الأصمعي قوله في إسناد شعر أمرىء القيس: «كل شيء في أيدينا من شعر أمرىء القيس فهو عن حماد الراوية إلآ نتفا سمعتها من الأعراب»(١٥).

وقال أبو زيد الأنصاري عن كتابه «النوادر»: «ما كان فيه من شعر القصيد فهو سماعي من المفضّل بن محمد الضّبي، وما كان من اللغّات وأبواب الرّجز فذلك سماعي من العرب»(١٦). وفي موضع آخر يقول: «ما كان فيه من رجز فهو سماعي من المفضل، وما كان فيه من قصيد أو لغات فهو سماعي من العرب»(١٧). ويرجع التناقض الواضح في هذين الخبرين إلى آختلاف الراوي عن أبي زيد، فراوي الخبر الأول هو أبو حاتم عن أبي زيد، وراوي الخبر الثاني هو أبو حاتم عن أبي العباس عن التّوزي أن أبا زيد قال. ونجد في أول الكتاب السند التالي: «أخبرنا أبو اسحق ابراهيم بن محمد ابن بسام قال: أخبرنا أبو الحسن علي بن سليمان الأخفش قال: أخبرنا أبو العباس محمد بن يزيد الأزدي قال: أخبرني التّوزي وأبو حاتم السّجستاني عن أبي زيد، قال: وأخبرني أبو سعيد الحسن بن الحسين المعروف بالسّكري عن الرياشي وأبي حاتم عن أبي زيد. قال ابو سعيد: هذا كتاب أبي زيد سعيد بن أوس بن ثابت مما سمعه من المفضل ابن محمد الضّبي ومن العرب(١٨)

---

١٤. ابن جِنّي، أبو الفتح عثمان (ت ٣٩٢ هـ/ ١٠٠١ م)، الخصائص، تحقيق محمد علي النجار، دار الهدى للطباعة والنشر، بيروت، ط ٢، دون تاريخ، جـ٣، ص ٢٨٢.

١٥. أبو الطّيب اللّغوي، مراتب النّحويين، تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم، دار نهضة مصر، ١٩٧٤م، ص ١١٧.

١٦. أبو زيد الأنصاري، سعيد بن أوس بن ثابت (ت ٢١٥ هـ/ ٨٣٠م)، النوادر في اللغة، تعليق سعيد الشرتوني، دار الكتاب العربي، بيروت، ط ٢، ١٩٦٧م، ص ١.

١٧. المصدر نفسه ص ٢.

١٨. المصدر نفسه ص ١.

فلو بُحِث في أمر رواة هذا الكتاب لما كان هذا التناقض.

ويظهر تأثّر أبي زيد بمنهج علماء الحديث، بوصفه واحدا منهم، في قوله: «أنشدنا أبو العباس محمد بن يزيد قال: أنشدني عمارة لجدّه جرير، وقرأته عليه في شعره...» (١٩)

ومما يجدر ذكره بصدد الحديث عن الإسناد في الرواية الأدبية وأهميته أن أستاذنا الدكتور ناصر الدين الأسد قد عقد فصلا في كتابه «مصادر الشعر الجاهلي» للحديث عن الإسناد في الرواية الأدبية وتطوره، (٢٠) فأغنانا عن إعادة القول في ذلك. وخَلَص إلى أن «الإسناد لم يكن حتى في القرنين، الثالث والرابع، حين شاع وغلب، أصلا ثابتا من أصول الرواية الأدبية ولم يكن أساسا من الأسس التي يُحتكم إليها في الاستشهاد على صحة هذه الرواية كما كان شأنه في رواية الحديث النبوي. فنحن نرى أن العلماء والرواة، في اللّغة والشّعر والأخبار، كانوا يقدّمون بين يدي ما يروون بإسناد متّصل إلى الطبقة الأولى من العلماء الرواة حينا، وبإسناد منقطع حينا آخر، يكتفون فيه بذكر شيخهم الذي أخذوا عنه هذا العلم... ونراهم حينا ثالثا يحذفون الإسناد ويهملونه إهمالا ويلقون بالخبر أو الشّعر قائما مجردا. وكان العلماء الرواة من معاصريهم وتلاميذهم يقبلون منهم كلّ ذلك ويوثّقونه. (٢١) فالإسناد، كما يرى الدكتور ناصر، لم يكن إلا لدفع تهمة الأخذ من الصّحف عن الراوي كما رأينا في مدح خلف (٢٢)، كما يطالَبُ الراوي بإسناد خبره إذا كان متّهما بالكذب والوضع (٢٣).

أما مصطفى صادق الرافعي فيرى أن الإسناد في الأدب لا «يُراد منه إلا توثيق الرواية وإثبات صحتها وضمان عهدتها، لا أن يطلب الرواية بذكر الإسناد حكاية ما يرويه على أنّه عن مَعْدَل وإثبات ما يسنده على أنّه إلى مَقْنَع...» (٢٤). ثم يذكر الرافعي أنّ

١٩. النوادر، ص ٢٠٥؛ وانظر في إسناد شعر امرئ القيس؛ مصادر الشعر الجاهلي ص ٥٠٧ فما بعدها.
٢٠. مصادر الشعر الجاهلي ص ٢٥٥ – ٢٨٣.
٢١. المصدر نفسه ٢٧٩ – ٢٨٠.
٢٢. نفسه ص ٢٨٠.
٢٣. نفسه ص ٢٨٠ – ٢٨١.
٢٤. مصطفى صادق الرافعي، تاريخ آداب العرب، مطبعة الاستقامة، القاهرة، صَحّحه محمد سعيد العريان، ط٣، ١٩٥٣م، جـ١، ص٣٠٣ – ٣٠٤.

«الشّعر والخبر قد فشا فيهما الكذب والتوليد منذ القرن الأول، ونشأ كثيرون من الرواة يشدون من العلوم الموضوعة، وينفقون من الأخبار المكذوبة، ويموّهون بمزج هذه الأمور على النّاس، ويخترعون الأشعار الكثيرة عند مناقلة الكلام وموازنة الأمور. مع ذلك فلم يُعْنَ بأمرهم أهل التفتيش والتّحقيق من العلماء إلا حيث يكون الخبر أو الشعر مظنة الشاهد وموضع المثل، فهناك يضربون دونه بالأسداد، مخافة أن يجري في شيء من العلوم التي هي قوام الأصلين من الكتاب والسّنة، فحيث وجدت المعنى الدّيني تجد التثبت والتحقيق الذي لا مساغ فيه إلى خطرات الظنون، فضلاً عن فرطات الأوهام» (٢٥).

ويمكن أن نفهم من كلام الدكتور ناصر والرافعي أنّ أهمية الإسناد في الرواية الأدبية تتوقف على درجة الراوي ونوع المادة المروية، فإذا كان الراوي ثقة فروايته مقبولة سواء أروى بالإسناد أم أسقطه. أما إذا كان الراوي موضع شَكّ واتّهام، وكانت المادة المروية تنبيء عن الكذب والتناقض والاضطراب أو لها مساس بالأمور الدّينية، فالاسناد أمر لا محيص عنه.

ويبدو أنّ ابن جني نظر إلى الموضوع من هذه الزاوية عندما ذهب إلى توثيق الرواة والنّقلة على الرغم من التّهم التي تقاذفوها فيما بينهم، وعلى الرغم من النقد والتجريح الذي رُمي به بعضهم.(٢٦)

ولكن المشكلة لا تكمن في مجرد الرواية بالسّند، سواء أكان هذا الإسناد متّصلا أم منقطعا، بل لا بد من نقد المتن؛ فعلم الحديث الذي أثّر في الأدب واللغة والنّحو علم دراية ورواية، وهو منهج ذو شقّين: شق يتعلق بالإسناد ودراسة حال الرواة، وشق يتعلق بالمتن ودراسة أحواله.(٢٧) فلا يحق لنا أن ننظر في السند وحده ونهمل المتن، ولا أن ننظر في المتن ونهمل السند. وإلى هذا نبّه السّيوطي في «المزهر» بقوله: «بل الغاية

٢٥. تاريخ آداب العرب، جـ١، ص ٣٠٤.
٢٦. الخصائص، جـ٣، ص ٣٠٩ – ٣١٣؛ وقارن بمصادر الشعر الجاهلي ص ٤٢٩ – ٤٧٨.
٢٧. انظر مثلاً: ابن الصّلاح، عثمان بن عبد الرحمن (ت ٦٤٢هـ/١٢٤٤م)، مقدمة ابن الصلاح في علوم الحديث، دار الحكمة، دمشق، ١٩٧٢م، خطبة الكتاب ص ٣ – ٧.

القصوى في راوي اللغة أن يسنده إلى كتاب صحيح أو إلى أستاذ متقن، ومعلوم أنّ ذلك لا يفيد اليقين». (٢٨)

فالاكتفاء بمجرد نقل الروايات مسندة يوقع الباحث في مزالق وأخطاء يصعب التخلص منها؛ فالطبري حينما اكتفى بنقل الرّوايات مسندة دون نقدها، وألقى تبعة ما فيها من منكرات على عاتق الرواة، أوقع من جاء بعده في متاهات لم يخرجوا منها إلى اليوم؛ لأننا ما نزال نقرأ في الكتب والأبحاث: «قال الطبري» و «جاء في الطبري» من غير التفات إلى رُواة الطبري ودراسة أحوالهم.

وقد رفض ابن خلدون في مقدمته مجرد نقل الروايات دون مناقشتها ونقدها، يقول: «وإنّ فحول المؤرخين في الإسلام قد استوعبوا أخبار الأيام وجمعوها وسَطَروها في صفحات الدفاتر وأودعوها. وخلطها المتطفلون بدسائس من الباطل وَهِمُوا فيها أو آبتدعوها، وزخارف من الروايات المضعّفة لفّقوها ووضعوها. واقتفى تلك الآثار الكثير ممن بعدهم واتّبعوها، وأدّوها إلينا كما سمعوها، ولم يلاحظوا أسباب الوقائع والأحوال ولم يراعوها، ولا رفضوا تُرّهات الأحاديث ولا دفعوها؛ فالتّحقيق قليل وطرف التنقيح في الغالب كليل، والغَلط والوهم نسيب للأخبار وخليل، والتقليد عريق في الآدميين وسليل، والتطفل على الفنون عريض وطويل، ومرعى الجهل بين الأنام وخيم وبيل، والحق لا يقام سلطانه، والباطل يقذف بشهاب النظر شيطانه، والناقل إنما هو يملي وينقل، والبصيرة تنقد الصحيح إذا تَمقُل...» (٢٩)

ويعلّل ابن خلدون رفضه لمجرد نقل الرّوايات دون نقدها بأن «الأخبار إذا آعتُمد فيها على مجرد النقل، ولم تحكم أصول العادة، وقواعد السياسة، وطبيعة العمران والأحوال في الاجتماع الإنساني ولا قيس الغائب منها بالشاهد، والحاضر بالذاهب، فربما لم يؤمن فيها

---

٢٨. المزهر، جـ١، ص١١٦.

٢٩. ابن خلدون، عبد الرحمن (ت٨٠٨هـ/١٤٠٥م)، المقدمة، طبعة دار الشعب بالقاهرة، ١٩٦٦م، ص٩.

من العثور، ومزلّة القدم، والحيد عن جادّة الصدق. وكثيرا ما وقع للمؤرخين والمفسرين وأئمة النقل المغالط في الحكايات والوقائع لأعتمادهم فيها على مجرد النقل غثاً أو سميناً ...»[٣٠] وساق ابن خلدون أمثلة كثيرة على ذلك.[٣١]

تجريح الرّواة وتعديلهم:

قال النّسابة البكري: «إن للعلم آفة ونكدا وهُجَنة: فآفته نسيانه، وهجنته نشره في غير أهله، ونكده الكذب فيه».[٣٢]

فلما فشا هذا الكذب والوضع في الحديث النبوي نتيجة للخلافات المذهبية بين الفرق الكلامية واحتدام الصراع بين الشّعوبية والعرب، والتّعصب القبلي[٣٣] آنبرى العلماء لحفظ الأحاديث النبوية وتخليصها من الكذب والوضع «فآعتنوا بعلم الرجال أتمّ عناية وأكملها بحيث لا يتعلق بغبارهم في ذلك الشأو مؤرخو الأمم جمعاء، حتى جعلوا الإسناد عاليه ونازله كأنه علم الأخلاق التاريخي، قد رتّبوا فيه الرجال على طبقاتهم، وأنزلوهم على المراتب المتفاوتة من العدالة والضبط، ووزنوهم في كفتي التجريح والتعديل....».[٣٤]

وشاعت ظاهرة الكذب والوضع في الأخبار والشّعر كما ذكر ابن خلدون والرافعي؛ لأنّ من يكذب في الحديث النبوي لا يتورع عن الكذب في غيره، ولا سيما إذا عرفنا أن غالبيّة رواة الحديث هم أنفسهم رواة اللغة والشعر والأخبار، وأن أسباب الوضع في الحديث ما تزال قائمة في الشّعر واللغة والأخبار. فكثير ممن حمل اللغة والأدب وأدّاهما

---

٣٠. المصدر نفسه ص ١٤.

٣١. المقدمة، ص ١٤ وما بعدها.

٣٢. المصون في الأدب، ص ١٣٢؛ وورد هذا القول منسوباً إلى دغفل في الجاحظ، ابي عثمان عمرو بن بحر (ت ٢٥٥ هـ/٨٦٨م)، البيان والتبين، تحقيق عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي بالقاهرة، ط٣، ١٩٦٨م، جـ١، ص ٢٧٢.

٣٣. انظر حول أسباب الوضع في الحديث: تدريب الراوي، جـ١، ص٢٨١-٢٩٠؛ محمد عجاج الخطيب، السّنة قبل التدوين، مكتبة وهبة، القاهرة، ط١، ١٩٦٣م، ص ١٩٤-٢١٨.

٣٤. الرافعي، تاريخ آداب العرب، جـ١، ص٣٠٠.

إلينا، عبر هذه القرون الطويلة لم يستطيعوا التجرّد التام من أهوائهم العرقية والمذهبية والقبلية، ولعبت هذه الأهواء دوراً بارزا في وضع الأشعار والخطب والرسائل حتى يكاد الباحث اليوم يضيع وسط التناقضات التي يجدها في الروايات الأدبية.

قال صاحب «نزهة الألبّاء»: «كان أهل العربية كلّهم أصحاب أهواء إلاّ أربعة كانوا أصحاب سُنّة: أبو عمرو بن العلاء، والخليل بن أحمد، ويونس بن حبيب والأصمعي»[٣٥]. وهو قول ذو دلالة خطيرة على ما فيه من مبالغة وغُلوّ.

وقد تنبّه الرواة العلماء إلى هذه الظاهرة التي عُرفت في النّقد العربي بظاهرة «النّحل والوضع والانتحال»، وأثارت، وما تزال، جدلا عنيفا بين النقاد ودارسي الأدب من محدَثين وقدامى وكتبت فيها كتب وأبحاث كثيرة.[٣٦]

ولعل أوضح مَثَل على ما تفعله الأهواء في الرّوايات الأدبية تلك الخصومة الفكرية التي كانت بين مدرستي الكوفة والبصرة؛ إذ تقاذف أنصار المدرستين التّهم والتجريح، وأنعكست آثار هذه الخصومة في الرّوايات الأدبية البصرية والكوفيّة.[٣٧]

ويبدو أنّ هذه الخصومة بين المدرستين كانت تشغل بال الخاصة كثيراً؛ إذ نرى عالما كأبي الطّيب اللغوي في القرن الرابع الهجري (ت ٣٥١ هـ/ ٩٦٢م)، يفرد لها كتاباً خاصا يُحَذِّر من مخاطرها، هو كتاب «مراتب النحويين» الذي يمكن أن يعدّ مرحلة مهمّة من مراحل التأليف في علم رجال اللغة والنحو والأدب، كما سنرى. يقول أبو الطيب في مقدمته مخاطبا أحد الخاصة ممن ساءه الخصومة بين مدرستي الكوفة والبصرة، ووقع فريسة سهلة لرواياتها المتناقضة المضطربة: «وإنّك – أعزك الله – شكوتَ إليّ دفعَة بعد أخرى، وثانيةً بعد أولى شدّة تفاوت ما يصل إلى سمعك من كلام أهل

---

٣٥. ابن الأنباري، أبو البركات كمال الدّين عبد الرحمن بن محمد (ت ٥٧٧ هـ/ ١١٨١ م)، نزهة الألبّاء في طبقات الأدباء، تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم، دار نهضة مصر القاهرة، دون تاريخ، ص ٢٧.

٣٦. انظر التفصيل حول هذه المشكلة في: مصادر الشعر الجاهلي، ص ٢٨٧ – ٤٢٨؛ دراسات المستشرقين حول صحة الشعر الجاهلي، ترجمها عن الألمانية والفرنسية د. عبد الرحمن بدوي دار العلم للملايين، بيروت، ط ١، ١٩٧٩م.

٣٧. انظر الفصل الذي عقده د. ناصر لتوثيق الرّواة وتضعيفهم في مصادر الشعر الجاهلي ص ٤٢٩ – ٤٦٥.

العصبية، في المفاضلة بين أهل العربية، وآدّعاء كل قوم تقدّم من ينتمون إليه، ويعتمدون في تأدّبهم عليه، وهم لا يدرون عمّن روى، ولا مَنْ روى عنه، ومن أين أخذ علمه، ولا مَنْ أخذ منه. وقد غلب هذا على الجُهّال، وفشا في الرُّذال، حتى إنّ كثيراً من أهل دهرنا لا يفرقون بين أبي عُبيْدَة وأبي عبيد وبين الشيء المنسوب إلى أبي سعيد الأصمعيّ أو أبي سعيد السّكري أو أبي سعيد الضّرير، ويحكون المسألة عن الأحمر، فلا يدرون أهو الأحمر البصري أو الأحمر الكوفي.... فلما اجتمع شكواك ما تشكّيتَه إلى ما أرى النّاس يتهافتون فيه خبط عشواء، وصيد ظلماء، ورأيتك إذا أجريت منه شيئا آنتقرته[٣٨]، وأسرعت إلى تعليقه وآفترضته... أشفقت من لَبس يدخل عليك فيه، أو سهو يحملك على باطل تحكيه، فرسمت لك في هذا الكتاب ما تقبح الغفلة عنه، ولا يسع العقلاء جهله...».[٣٩]

وممّا دفع أبا الطيب اللغوي إلى وضع كتابه، غير ما ذكره أنّ «هذا العلم أُخذ عمّن لا يعلم ولا يفقه، ولا يحس ولا ينقه (يفهم) ... يتقلد كلّ علم ويدّعيه، ويركب كل إفك ويحكيه. يجهل ويرى نفسه عالما، ويعيب من كان من العيب سالما... فهو بَلاء على المتعلمين، ووبال على المتأدبين. إن روى كذب وإن سئل تذبذب...».[٤٠]

وبلغ ببعض من يدّعي العلم والرواية أنه «أسند شيئا فقال: عن الفراء عن المازني.» فظنّ أن الفرّاء الذي كان هو بإزاء الأخفش الذي يروي عن المازني»[٤١] بل بلغ ببعضهم الكذب أن يضع مناظرة جرت بين ابن الأعرابي والأصمعي، وهما ما آجتمعا قطّ.

---

٣٨. انتقر الشيء وتنقّره ونقره ونقّر عنه: بحث عنه (لسان العرب مادة نقر).

٣٩. مراتب النحويين، ص١٨ – ١٩.

٤٠. المصدر نفسه ص١٩ – ٢٠.

٤١. المصدر نفسه ص٢١.

ونخلص إلى القول إنّ مشكلة الوضع والكذب والتدليس في الروايات الأدبية مسألة لا يختلف عليها اثنان، وقد ترتب على ذلك ثلاث قضايا أساسية هي:

أولا : أصبح تجريح الرواة وتعديلهم أمرا واقعاً على الرغم من أن الروايات التي تجرّح الرواة أو تعدلهم تحتاج هي نفسها إلى نقد لما تحتويه من كذب وانتحال. (٤٢) ويظهر واضحاً في الأمثلة التالية أثر الميول والأهواء العرقية والمذهبية، والخصومة الفكرية في عملية التجريح.

ذكر ابن الأنباري أنّ أبا عمرو بن العلاء كان «أشدّ النّاس تسليما للعرب، وكان عبد الله بن أبي اسحق (الحضرمي) وعيسى بن عمر يطعنان على العرب». (٤٣)

وقال أبو الطيب اللغوي: «وكان أبو عمرو يميل إلى القول بشيء من الإرجاء». (٤٤) وقال عن أبي زيد الأنصاري: «هو من رواة الحديث، ثقة عندهم مأمون، وكذلك حاله في اللغة، وكان من أهل العدل والتّشيع». (٤٥) وعن أبي عبيدة معمر بن المثنى: «كان يميل إلى مذهب الإباضيّة من الخوارج، وكان يبغض العرب، وقد ألف قي مثالبها كتبا». (٤٦) وقال عنه ابن النّديم: «وعمل كتاب المثالب الذي كان يطعن فيه على بعض أسباب النبي عليه السلام». (٤٧)

ويذكر السّيوطي نقلا عن الأزهري في تجريح ابن دريد، صاحب «جمهرة اللّغة»: «وممّن ألف الكتب في زماننا فرُمي بافتعال العربية وتوليد الألفاظ أبو بكر بن دريد. وقد سألت عنه ابراهيم بن عرفة فلم يعبأ به، ولم يوثّقه في روايته، وألفيته على كِبَر

---

٤٢. انظر مصادر الشعر الجاهلي ص٤٣٨ – ٤٤٠.
٤٣. نزهة الألبّاء ص١٨ – ١٩.
٤٤. مراتب النحويين ص ٣٨.
٤٥. المصدر نفسه ص٧٣.
٤٦. نفسه ص٧٧ – ٧٨.
٤٧. الفهرست ص٥٩.

سنّه، سكران لا يكاد يفتر عن ذلك». (٤٨) وجرّحه الدارقطني (٤٩)، بينما ذهب أبو الطّيب اللغوي إلى مدحه. (٥٠)

وروى أبو حاتم السّجستاني قال: «كان بالكوفة نحوي يقال له أبو جعفر الرؤاسي، وهو مطروح العلم ليس بشيء». (٥١)

وعلماء البصرة عند أبي الطّيب رؤساء «علماء معظّمون غير مدافعين في المِصْرَيْن جميعا ولم يكن بالكوفة ولا في مصر من الأمصار مثل أصغرهم في العلم بالعربية، ولو كان لافتخروا به وبَاهَوْا بمكانه أهل البلدان، وأفرطوا في إعظامه كما فعلوا بحمزة الزّيات». (٥١) وحمزة هذا يتّخذه أهل الكوفة «إماما معظّما مقدّما، وليس يُحكى عنه شيء من العربية ولا النّحو وإنّما هو صاحب قراءة، وأمّا عند البصريين فلا قَدْر له». (٥٣) وقال عنه أبو حاتم قولا يدل على عِظَم الخصومة بين الكوفيين والبصريين: «وإنّما أهل الكوفة يكابرون فيه ويباهتون؛ فقد صيّره الجُهّال من الناس شيئا عظيما بالمكابرة والبَهت، وقولِ ذوي اللّحى العِظام منهم: كانت الجنّ تقرأ على حمزة قال: والجنّ لم تقرأ على ابن مسعود والّذين بعده، فكيف خصّت حمزة بالقراءة عليه» (٥٤)؟.

وجاوز التّجريح والتعديل حدّ الاعتدال بين المدرستين عندما تبادل أنصار المدرستين التّهم والتّجريح فيما يتعلق بخلف الأحمر وحمّاد الرّاوية، وهو ما عَرضَ له الدكتور ناصر بالتفصيل في «مصادر الشعر الجاهلي» حيث ناقش الرّوايات التي تجرّح كلاً من الراويين وردّ بعضها، فلا جدوى من إعادة القول فيهما هنا. (٥٥)

---

٤٨. السّيوطي، جلال الدين عبد الرحمن، بغية الوعاة في طبقات اللّغويين والنحاة، تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم، دار الفكر، ١٩٧٩، جـ١، ص٧٧.
٤٩. بغية الوعاة، جـ١، ص٧٧.
٥٠. مراتب النحويين ص١٣٥ – ١٣٦.
٥١. المصدر نفسه ص٤٨.
٥٢. المصدر نفسه ص ٥١.
٥٣. مراتب النحويين ص ٥٢.
٥٤. المصدر نفسه ص٥٢ – ٥٣.
٥٥. انظر مصادر الشعر الجاهلي ص٤٣٨ – ٤٦٥.

وبانتقال العلم إلى بغداد، غلب أهل الكوفة عليها «وحدّثوا الملوك فقدّموهم، ورغب الناس في الروايات الشاذة وتفاخروا بالنّوادر، وتباهوا بالترخيصات، وتركوا الأصول، وآعتمدوا على الفروع، فآختلط العلم». (٥٦)

وقال أبو حاتم: «أهل بغداد حشو عسكر الخليفة ولم يكن بها مَنْ يُوثَق به في كلام العرب، ولا مَنْ تُرتَضى روايته. فإن آدّعى أحد منهم شيئا رأيته مخلّطا صاحب تطويل وكثرة كلام ومكابرة». (٥٧) وعلّق أبو الطّيب اللغوي على هذا بقوله: «والأمر في زماننا هذا على أضعاف ما عَرف أبو حاتم». (٥٨)

وأما المدينة المنوّرة فلا يَعلَمُ بها أبو الطّيب اللغوي إماما في العربية. (٥٩) وقال الأصمعي: «أقمتُ بالمدينة زماناً ما رأيت بها قصيدة واحدة صحيحة إلا مصحّفة أو مصنوعة». (٦٠) وكان في المدينة ابن دأب يضع الشّعر وأحاديث السّمر، وكلاماً ينسبه إلى العرب، فسقط وذهب علمه، وَخَفيت روايته». (٦١)

هذه بعض أمثلة في تجريح الرّواة وتعديلهم تدل بوضوح على تأثر الأدب واللغة والنّحو بمنهج علم الحديث.

ثانيـا: النّظر في أحوال الرّواة:

هذه هي القضية الثانية التي نتجت عن شيوع الوضع والكذب في الرواية الأدبية؛ فقد حذا علماء اللغة والنّحو حذو علماء الحديث في تحرّي أحوال الرواة، وذكر درجتهم من الحفظ والضبط والأمانة والتّديّن والصّدق والكذب، والثقة والتّدليس، واستعملوا

---

٥٦. مراتب النحويين ص ١٤٤.
٥٧. المصدر نفسه ص ١٦٠.
٥٨. نفسه ص ١٦١.
٥٩. نفسه ص ١٥٥.
٦٠. نفسه ص ١٥٦.
٦١- مراتب النحويين ص ١٥٦.

مصطلحات علم الحديث نفسها في ترجمة الرواة وذكر أحوالهم. (٦٢) ويحدث أن يرووا أخباراً ليست من باب الجرح والتعديل، ولكنها تتيح للباحث أن يُصدر حكمه على الراوي من خلالها. (٦٣)

واعتنى فريق من المصنّفين عناية خاصة بعلماء اللغة والنّحو فدوّنوا أخبارهم، وأحصَوا كتبهم وآثارهم وحدّدوا مواليدهم وأعمارهم ووفياتهم، وتتبّعوهم في رحلاتهم، وبسطوا القول في مذاهبهم وآرائهم وتعرضوا لنقدهم في كثير من الأحيان. (٦٤)

وقد عرض ياقوت الحموي في مقدمة كتابه «إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب» لأول من ألّف في هذا الفن وهم: المبرد وثعلب ومحمد عبد الملك التاريخي، وابن دَرَستويه والمرزباني، ثم وضع السّيرافي كتابا خاصا في نحاة البصرة أسماه «أخبار النحويين البصريين» (٦٥).

ومن مؤلفات القرن الرابع الهجري كتابان مهمّان هما: «طبقات اللغويين» لأبي بكر الزبيدي و «مراتب النحويين» لأبي الطّيب اللغوي. قال عنهما محققهما، محمد أبو الفضل ابراهيم: «وهما وإن كانا متّفقين في الموضوع والغاية، إلاّ أنّهما يختلفان شرعة ومنهجا، فكتاب الزبيدي بناه على الطبقات والمدارس، وعني فيه بذكر المواليد والوفيات، وملأه بمختلف الأخبار والطرف والحكايات وكتاب أبي الطيب أداره على ذكر مراتب العلماء ومنازلهم من العلم وحظّهم من الرواية، وعقد الصلة بين الشيوخ والتلاميذ.....». (٦٦) فكتاب أبي الطيب بهذا أقرب إلى منهج علماء الحديث في دراسة أحوال الرجال.

٦٢- انظر مثلا بغية الوعاة للسيوطي، جـ١، ص١٠، ١١، ١٢، ١٣، ٧٣، ٧٧.

٦٣- المصدر نفسه جـ١، ص١٣.

٦٤- نفسه مقدمة المحقق ص ٤.

٦٥- ياقوت الحموي (ت٦٢٦هـ/١٢٢٨م)، إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب بيروت، ١٩٥٧م، جـ١، ص٤٦ - ٤٨. مقدمة بغية الوعاة ١/ ٤.

٦٦- بغية الوعاة، مقدمة المحقق ص ٤ - ٥.

وممن ألف في هذا الفن أيضا: ابن الأنباري، صاحب «نزهة الألبّاء في طبقات الأدباء» الذي بيّن فيه أحوال الرواة وأزمانهم على غاية من الكشف والبيان. [٦٧] والقفطي في كتابه «إنباه الرواة على أنباه النحاة»، وياقوت الحموي في «إرشاد الأريب» [٦٨].

ثم جاء السّيوطي في القرن العاشر الهجري ليكون كتابه «بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة» خاتمة هذه المؤلفات، «أودعه صفوة جميع الكتب التي سبقته في هذا الشأن وزاد عليها ما انتقاه من كتب الأدب والتاريخ والتراجم ومعاجم الشيوخ والتذكرات ومقدمات الكتب عدا مشاهداته وأخبار شيوخه وعلماء عصره» [٦٩]. قال في وصفه: «بنيت فيه للنّحاة طبقات قواعدُها على ممرّ الزمان لا تَهِي». [٧٠]

وطبقات السيوطي هذه لا تختلف في منهجها وتبويبها وإيراد الأخبار عن طبقات الرّجال في علم الحديث [٧١]، كتذكرة الحفاظ للذهبي مثلا. وهو أول من صنف كتابا في علوم اللغة حاكى به علوم الحديث في التقاسيم والأنواع كما ذُكِر آنفا، وجعل النّوع الرابع والأربعين في معرفة الطبقات والحفاظ والثقات والضّعفاء. [٧٢]

ثالثاً: مَنْ تُقبَل روايته ومَنْ تُرَدّ:

ولكي يحفظ العلماء على الناس لغتهم وأدبهم من عبث الرواة والوضّاعين، شَرَطوا لمن تؤخذ عنه اللغة شروطا كما فعل علماء الحديث؛ فقد جعل السّيوطي، النّوع السادس من تقسيماته في «المزهر» «في معرفة مَنْ تُقبَل روايته ومَنْ تُرَدّ». [٧٣] وابتدأه بقول ابن

٦٧- نزهة الألبّاء، المقدمة ص٣.

٦٨- انظر بغية الوعاة، مقدمة المحقق ص٤ – ٦.

٦٩- المصدر نفسه ص٦.

٧٠- نفسه ص٦.

٧١- نفسه، جـ١، ص١٠، ١١، ١٣، ٧٧، ٨٢، ٦٠٦.

٧٢- المزهر، جـ٢، ص٣٩٥ – ٤١٧؛ وانظر مقدمة السّيوطي في الجزء الاول ص١، وفهرست الانواع والتقاسيم ص١ – ٤.

٧٣- المزهر، جـ١، ص١٣٧.

فارس: «تؤخذ اللغة سَماعا من الرّواة الثّقات ذوي الصّدق والأمانة ويُتّقى المظنون»؛[٧٤] لأنّ النّحارير، كما قال الخليل بن أحمد، ربما أدخلوا على النّاس ما ليس من كلام العرب إرادة اللّبس والتّعنيت[٧٥] ولهذا ينصح ابن فارس الباحثين قائلا: «فليتَحَرّ آخذ اللغة وغيرها من العلوم أهلَ الأمانة والثّقة والصّدق والعدالة، فلقد بلغنا من أمر بعض مشيخة بغداد ما بلغنا». [٧٦]

وقال ابن الأنباري في «لمع الأدلة»: «يشترط أن يكون ناقل اللّغة عَدْلا رجلاً كان أو آمرأة، حُرّا كان أو عبداً، كما يشترط في نقلِ الحديث؛ لأنّ بها معرفة تفسيره وتأويله. فآشترِط في نقلها ما آشترِط في نقله، وإنّ لم تكن في الفضيلة من شكله، فإن كان ناقل اللغة فاسقاً لم يُقبَل نقله».[٧٧]

واشترطوا العدالة في راوي الأشعار ولم يشترطوها في العربي الذي يُحْتَجُّ بقوله[٧٨]. كما اشترطوا لقبول رواية أهل الأهواء عدم تديّنهم بالكذب كالخطابية من الرافضة،[٧٩] إلى غير ذلك من الشّروط.[٨٠].

ويختتم أبو الطّيب اللغوي كتابه «مراتب النحويين» بنصيحة يقدّمها لصديقه الذي ألّف له الكتاب قائلا: «... ولكل واحد من هؤلاء الذين ذكرناهم أخبار تنسب إليه، وأكثرها ما لا يُعوّل عليه، فتجنّب، جنّبك الله كلّ محذور، أن تحفل منه بما لم تثبت به رواية ولم تصحّ فيه حكاية».[٨١].

٧٤- ابو الحسين، أحمد بن فارس بن زكريا (ت ٣٩٥ هـ/ ١٠٠٤ م)، الصاحبي، تحقيق السّيد أحمد صقر، البابي الحلبي، القاهرة، دون تاريخ، ص ٤٨.

٧٥- المصدر نفسه، ص ٤٨.

٧٦- نفسه ص ٤٨.

٧٧- ابن الأنباري، أبو البركات كمال الدين عبد الرحمن بن محمد، لمع الأدلة في أصول النحو، تحقيق سعيد الأفغاني، دار الفكر، بيروت، ط ٢، ١٩٧١ م، ص ٨٥ فما بعدها.

٧٨- المزهر، جـ ١، ص ١٤٠.

٧٩- نفسه جـ ١، ص ١٤١.

٨٠- انظر هذه الشروط في المزهر جـ ١، ص ١٣٨ – ١٤١.

٨١- مراتب النحويين ص ١٦١.

فإذا أراد الباحث اليوم أن يعمل بنصيحة ابن فارس وأبي الطّيب اللغوي في تحرّي أهل الأمانة والصدق والثقة، والتّثبت من الرّوايات، فليس له إلاّ أن يستعمل منهج علماء الحديث في نقد الرّوايات سنداً ومتنا، ولا سيما أنهم «عيار هذا الشأن، وأساس هذا البنيان» كما ذكر ابن جِنّي في «الخصائص» (٨٢).

حاجتنا إلى هذا المنهج:

لعل ما قَدّمتُ من روايات وأدلّة وآراء حول علاقة منهج علماء الحديث باللغة والأدب، وحاجة الدراسات الأدبية إلى مثل هذا المنهج، لا يَلقَى قبولا واقتناعاً لدى بعض الباحثين والمهتمّين بالدراسات الأدبية، ويبقى السؤال يلح عليهم: لماذا نلجأ إلى هذا المنهج في دراسة الأدب؟ ما حاجتنا إليه في الوقت الذي نستطيع فيه أن ندرس الأدب دراسة جمالية فنّية؟

قد يتكئ بعض من يرفض هذا المنهج على ما ذكَره صاحب «العِقد» عن الأدب ومفهومه له مما جعله يُسقِط السّند، قال: «وحذفت الأسانيد من أكثر الأخبار طلبا للاستخفاف والإيجاز وهرباً من التثقيل والتطويل لأنها أخبار ممتعة وحِكم ونوادر، لا ينفعها الإسناد باتّصاله، ولا يضرّها ما حُذف منها. وقد كان بعضهم يحذف إسناد الحديث من سُنّة متبعة وشريعة مفروضة، فكيف لا يُحذف من نادرة ومَثَل سائر وخبر مستطرف». (٨٣)؟

ولا أظنّ أحدا من دارسي الأدب اليوم يوافق ابن عبد ربّه في نظرته إلى الأدب على أنّه مجرد أخبار ممتعة وحكم ونوادر، كما لا نتفق معه في جعل مَنْ أسقطَ الإسناد من السنّة حجة في ذلك. ولو كان الأدب كما يقول ابن عبد ربه لكان الأحرى بأبي الفرج الأصفهاني أن يُسقِط الأسانيد من كتابه «الأغاني»؛ لأنّه أقرب إلى ما وصفه ابن عبد

٨٢- الخصائص، جـ٣، ص١١٣.

٨٣- ابن عبد ربّه، أحمد بن محمد (ت٣٢٨هـ/٩٣٩م)، العقد، تحقيق محمد سعيد العريان دار الفكر، بيروت، دون تاريخ، جـ١، ص٣.

ربّه. ولكنّ أبا الفرج أكسب كتابه أهميّة بالتزامه الإسناد في كلّ خبر يرويه مهما تعددت طرقه وآختلفت.[٨٤]

وقد يتكئ هذا الفريق أيضا على ما قاله بعض نقاد الشّعر القدامى من رفضهم النّظر في أخلاق الشّاعر وسلوكه الاجتماعي،[٨٥] واكتفوا بالاتّكاء على ما يسميه نقاد اليوم «الصّدق الفني»[٨٦]، الذي يختلف مدلوله بآختلاف الناقد وميوله الفكرية والمدرسة النقديّة التي يَصْدُر مِن خلالها.

ولست أريد هنا أن أبذل الجهد في إقناع هذا الفريق بقبول هذا المنهج، فلكلٍّ منهج هو متّبعة، ولكني سأعرض هنا، غير ما قدمت، بعضَ مسوغات تطبيق منهج علماء الحديث في الدّراسات الأدبية:

أولا:

أرسى الله، سبحانه وتعالى، قواعد منهج جديد في فنّ القول ودراسة الأدب منذ أن أنزل وحيه على نبيّه، ﷺ، ليكون مُنطَلِقاً من العقيدة لخدمة الواقع البشري الجديد بكل أبعاده: الاجتماعية والسّياسية والاقتصادية والثّقافية، وذلك قوله: «والشّعراء يتّبعهم الغاوون، ألم تر أنّهم في كلّ وادٍ يهيمون وأنّهم يقولون ما لا يفعلون؟ إلا الذين آمنوا وعملوا الصّالحات وذكروا الله كثيرا، وآنتصروا من بعد ما ظُلِموا»[٨٧].

٨٤- الأصفهاني، أبو الفرج (ت ٣٥٦ هـ/٩٦٦م)، الأغاني، تحقيق علي البجاوي، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، القاهرة، ١٩٧٠م، انظر مثلا سند بانت سعاد جـ١٧، ص٨٦ وآنظر أخبار دعبل بن علي، جـ٢٠، ص ١٢١ فما بعدها.

٨٥- انظر حول هذه النّظرية: ابن رشيق القيرواني (ت ٤٥٦ هـ/١٠٦٣م)، العمدة، تحقيق محيي الدين عبد الحميد، دار الجيل، بيروت، ط ٥، ١٩٨١م، جـ١، ص٢٢؛ إحسان عباس، تاريخ النّقد الأدبي عند العرب، دار الأمانة ومؤسسة الرّسالة، بيروت، ط١، ١٩٧١م، ص٥٠، ١٥١، ٢٠١، ٢٤٢، ٢٨٣، ٣٠٨، ٣١٧، ٣٧١، ٣٧٦ وغيرها؛ مصطفى بن محمد، وما عَلّمناه الشّعر، تحقيق جاسر أبو صفية، مجلة «دراسات»، المجلد الثاني عشر، العدد الثامن، ١٩٨٥، ص١٧٨ – ١٨٠.

٨٦- انظر مثلا: شوقي عبد الحليم حمادة، الأدب العربي بين الصّدق الفني والأخلاقي، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، دون تاريخ، ص ١١ – ٣٤.

٨٧- الشعراء الآيات ٢٢٤ – ٢٢٧.

ولما كان المسلمون حريصين على تطبيق المنهج الإلهي متكاملاً، فلا بُدّ أن نتوقع نشوء أدب جديد يصدر عن الحقيقة والصّدق، ويخلو من كلّ كذب وزيف وتزويق، ولاَ يتأتّى ذلك إلّا إذا صدر هذا النّمط عن أديب يلتزم بقضايا مجتمعه بأبعادها المختلفة، ولا يعمل على تقويض هذا المجتمع بدافع عِرقي أو تعصّب مذهبي أو قبلي. ولا نصل إلى معرفة ذلك إلا من خلال دراسة أحوال هذا الأديب أو راوي أدبه. والتّحقق من ميوله وأهوائه، وبالتالي دراسة الأثر الأدبي دراسة نقديّة، وعيار ذلك كلّه منهج علم الحديث.

ثانياً:

لُوحظ من خلال الحديث على الجرح ،والتعديل كيف أدى التّساهل في البحث عن أحوال رواة الأدب والأخبار إلى فُشُوّ الكذب والوضع في الأدب؛ فحملت إلينا الرّوايات التاريخية والأدبية أشعارا ورسائل وخطبا كثيرة من عصر الرسول، ﷺ، والخلفاء الراشدين تحتاج إلى تنقية، ونسب إلى الصحابة أشعار لم يقولوها.(٨٨) وكونُ هذه الخطب والرسائل والأشعار تتعلق بالرّسول وصحابته، فلا بد أن يكون الباحث على يقين من صحة نسبتها إليهم، لما يحمل ذلك من دلالات فكرية عَقَديّة؛ لأنّ هؤلاء الصحابة هم الذين حملوا الإسلام إلى العالم بما فيه منهجه الجديد في فنّ القول والأدب.

كما حملت إلينا الرّوايات الأدبية أشعارا ورسائل وخطبا تتضمّن الطّعن على العرب عامة، تحت تأثير الحركة الشّعوبية، أو طعناً على بعض القبائل العربية بفعل العصبية القبلية، ووسيلة الباحث إلى تمييز الغثّ من السمين، والتّثبّت من الرّوايات وتحقيقها، منهج علماء الحديث في دراسة السّند والمتن.

ثالثاً:

إنّ دراسة النّصوص الأدبية دراسة نقدية على ضوء منهج علم الحديث تتيح للباحث التأكد من نسبة النّص الأدبي إلى قائله والعصر الذي قيل فيه؛ لأنّ معرفة ذلك تكشف

٨٨- انظر مثلا: وما علمناه الشّعر، ص ١٨١ - ١٨٢ و ١٩٣ - ٢٠٥.

عن طبيعة الأدب في عصر من العصور، وبيان ميزاته الفَنّية على حقيقتها، فيبني الباحث بحثه على أسس واضحة. ولعَلّ مما يؤيّد ذلك أنّ الباحثين الذين كتبوا عن الرسائل في العصر الأموي مثلا، لم يعيروا التّحقق من نسبة النصوص إلى العصر الأموي أدنى آهتمام، فلم يناقشوا هذه النصوص للتأكد من زيفها أو صحّتها، بل نظروا إليها على أنها ممثلة للعصر الأموي فكرا وأدباً، وبنوا آراءهم وآستنتاجاتهم آعتمادا على ذلك. فتحدثوا عن التحميدات وتطويل الرسائل والسجع والمحسنات البديعية، وخاضوا في مواضيع أبعدتهم عن الحقيقة. (٨٩)

ولو رجعوا إلى الأوراق البردية التي حفظت لنا جزءاً من المراسلات الأموية الرّسمية لوجدوا أنّ هذه الرسائل تخلو خلوّا تامّا من كلّ ما ذكروه عن السّجع والتّطويل والتحميدات، ولوجدوا أنها تلتزم البنَاء الفَنّي الذي رسمه الرّسول، ﷺ. (٩٠)

ولأزيدَ الأمر وضوحا أذكر هذه الرّواية التي رواها أبو هلال العسكري عن نفسه قال: «رأيت في بعض الكتب أنّ قِسًّا كتب إلى بعض من هو على نِحلته: من قسّ بن ساعدة إلى فلان بن فلان.... ورأيت بعده كلاما، زدنا في اللّفظ والوصف عليه. فأخذتُ معناه وكسوته الألفاظَ من عندي، وزدت عليه ليحْسُن» (٩١).

ألا يدلّ هذا العمل الذي قام به أبو هلال العسكري على تضييع السّمات الفَنّية والبناء الفني للرسائل في العصر الجاهلي؟ كيف لنا أن نعرف أنّ هذه الرسائل المنسوبة إلى قس بن ساعدة قد دخلها التّحريف والزيادة لو لم يعترف أبو هلال بجريمته الأدبية؟ ولناأن نتصور كم من الرسائل والخطب والأشعار دخلها التعديل الجوهري فقلب شكلها رأسا على عقب، ولا يكشفها إلاّ منهج علماء الحديث دراية ورواية.

٨٩- انظر مثلا: حسين نصار، أدب المراسلات في العصر الأموي، مجلة «عالم الفكر»، مجلد ١٤، العدد الثالث، ١٩٨٣م، ص ٤٥ فما بعدها.

٩٠- انظر مثلا: Abbott, Nabia. Kurra Papyri in the Oriental Institute, Chicago, 1938, PP. 42-56; Jaser Abu Safieh, Umayyad Epistolography, with Special Reference to the Compositions Ascribed to ''Abd Al-Hamid al-Kätib, PH.D Dissertation, 1982, PP 39-45, 46-61, 130-134.

٩١- أبو هلال العسكري (ت ٣٩٥هـ/١٠٠٤م). الأوائل، تحقيق محمد السيد الوكيل، دار الأمل بالمغرب، دون تاريخ، ص ٥٤.

رابعاً:

إذا نظرنا إلى الأدب، كما فعل ابن عبد ربّه وابن قتيبة[٩٢] واكتفينا بدراسة النّصوص الأدبية دراسة جماليّة فنيّة دون الاهتمام بما تحمله هذه النصوص من مفاهيم عَقَديّة فكرية أو قيم اجتماعية واقتصادية، فكأننا حكمنا على الأدب بالموت، وأسقطنا وظيفته الاجتماعية التي رسمها القرآن الكريم للوصول بالمجتمع إلى الأفضل؛ فالأدب لا يُتَصَوّر أن يُفَرّغ من محتواه الفكري وهدفه الذي يسعى لتحقيقه؛ إذ ما جدوى أن يُدَرس المعمار الفني للقصيدة مثلاً مستخلصين ما فيها من جمال فنّي وإبداع في الصّياغة والتشكيل، وزخم في الصّور والتشبيهات إذا كانت تحمل فكرا غير سوي، فيه تشويه للحقيقة وتجنّ على الواقع؟.

وبعـد،

فهذه بعض المسوغات التي تجعلني أميل إلى تطبيق منهج علماء الحديث في دراسة النّصوص الأدبيّة بشكل عام، وتلك التي تتعلق بالرّسول وصحابته وخلفائه من بعده بشكل خاص، والله ولي التوفيق.

★ ★ ★

٩٢. عيون الأخبار، مقدمة المؤلف ص (م–ن).

المصادر والمراجـع

أ - العربيـــة

١) الأسد، ناصر الدين،
مصادر الشعر الجاهلي، دار المعارف، القاهرة، ١٩٦٢ م.
٢) الأصفهاني، أبو الفرج علي بن الحسين (ت ٣٥٦ هـ/١٩٦٦ م)،
الأغاني، تحقيق علي البجّاوي، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، القاهرة، ١٩٧٠ م.
٣) ابن الأنباري، أبو البركات كمال الدّين عبد الرحمن بن محمد (ت ٥٧٧ هـ/١١٨١ م)،
أ . لمع الأدلة في أصول النّحو، تحقيق سعيد الأفغاني، دار الفكر، بيروت، ط ٢، ١٩٧١ م.
ب . نزهة الألبّاء في طبقات الأدباء، تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم، دار النهضة مصر، القاهرة، دون تاريخ.
٤) بدوي، عبد الرحمن،
دراسات المستشرقين حول صحّة الشّعر الجاهلي، ترجمة عبد الرحمن بدوي، دار العلم للملايين، بيروت، ط ١، ١٩٧٩ م.
٥) الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر (ت ٢٥٥ هـ/٨٦٨ م)،
البيان والتبيين، تحقيق عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ٣٧، ١٩٦٨ م.
٦) ابن جنّي، أبو الفتح عثمان (ت ٣٩٢ هـ/١٠٠١ م).
الخصائص، تحقيق محمد علي النجّار، دار الهدى للطباعة والنشر، بيروت، ط ٢، دون تاريخ.

٧) حمادة، شوقي عبد الحليم،
الأدب العربي بين الصّدق الفنّي والأخلاقي، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة دون تاريخ.

٨) الخطيب، محمد عجاج،
السّنة قبل التدوين، مكتبة وهبة، القاهرة، ط ١، ١٩٦٣م.

٩) ابن خلدون، عبد الرحمن (ت ٨٠٨هـ/١٤٠٥م).
المقدّمة، طبعة دار الشعب، القاهرة، ١٩٦٦م.

١٠) الدّوري، عبد العزيز،
بحث في نشأة علم التاريخ عند العرب، دار المشرق، بيروت، ١٩٨٣م.

١١) الرّافعي، مصطفى صادق،
تاريخ آداب العرب، صحّحه محمد سعيد العريان، مطبعة الاستقامة، القاهرة، ط ٣، ١٩٥٣م.

١٢) رستم، أسد،
مصطلح التاريخ، المكتبة العصرية، صيدا، دون تاريخ.

١٣) ابن رشيق القيرواني (ت ٤٥٦هـ/١٠٦٣م)،
العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، تحقيق محيي الدين عبد الحميد، دار الجيل، بيروت، ط ٥، ١٩٨١م.

١٤) السّيوطي، جلال الدّين عبد الرحمن (٩١٠هـ/١٥٠٥م).
أ . بغية الوعاة في طبقات اللّغويين والنّحاة، تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم، دار الفكر، بيروت، ١٩٧٩م.
ب . تدريب الراوي في شرح تقريب النّواوي، دار إحياء السّنّة النّبوية، بيروت، ط ٢، ١٩٧٩م.
جـ . المزهر في علوم اللغة وأنواعها، تحقيق محمد أحمد جاد المولى ورفاقه، البابي الحلبي، القاهرة، دون تاريخ.

١٥) ابن الصلاح، عثمان بن عبد الرحمن (ت ٦٤٢هـ/١٢٤٤م)،
مقدمة ابن الصلاح في علوم الحديث، دار الحكمة، دمشق، ١٩٧٢م.

١٦) الصَّولي، أبو بكر محمد بن يحيى (ت ٣٣٦ هـ/ ٩٤٧ م)،
أدب الكتّاب، تحقيق محمد بهجه الأثري، دار الكتب العلمية، بيروت، دون تاريخ.
١٧) الطبري، محمد بن جرير (٣١٠ هـ/ ٩٢٢ م)،
تاريخ الرّسل والملوك، تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم، دار المعارف، القاهرة، ط ٤، ١٩٧٩ م.
١٨) أبو الطّيّب اللغوي (ت ٣٥١ هـ/ ٩٦٢ م)،
مراتب النّحويين، تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم، دار نهضة مصر، ١٩٧٤ م.
١٩) عبّاس، إحسان،
تاريخ النقد الأدبي عند العرب، دار الأمانة ومؤسسة الرسالة، بيروت، ط ١، ١٩٧١ م.
٢٠) ابن عبد ربّه، أحمد بن محمد (٣٢٨ هـ/ ١٩٣٩ م)،
العقد، تحقيق محمد سعيد العريان، دار الفكر، بيروت، دون تاريخ.
٢١) العسكري، أبو أحمد الحسن بن عبد الله بن سعيد (٣٨٢ هـ/ ٩٩٢ م)
أ . شرح ما يقع فيه التصحيف والتحريف، تحقيق الدكتور محمد السّيد يوسف، مجمع اللغة العربية، دمشق، ١٩٨١ م.
ب . المصون في الأدب، تحقيق عبد السلام هارون، مطبعة الخانجي بالقاهرة ودار الرفاعي بالرياض، ط ٢، ١٩٨٢ م.
٢٢) العسكري، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل (ت ٣٩٥ هـ/ ١٠٠٤ م)،
الأوائل، تحقيق محمد السيد الوكيل، دار المغرب، دون تاريخ.
٢٣) ابن فارس، أبو الحسين أحمد (ت ٣٩٥/ ١٠٠٤ م)،
الصّاحبي، تحقيق السّيد أحمد صقر، البابي الحلبي، القاهرة، دون تاريخ.
٢٤) ابن قتيبة، عبد الله بن مسلم (ت ٢٧٦ هـ/ ٨٨٩ م)،
عيون الأخبار، نسخة مصوّرة عن طبعة دار المعارف بمصر، دون تاريخ.

٢٥) ابن محمد، مصطفى،
وما علمناه الشّعر، تحقيق جاسر أبو صفية، مجلّة «دراسات» المجلد الثاني عشر، العدد الثامن، ١٩٨٥م.
٢٦) ابن منظور، أبو الفضل جمال الدّين محمد مكرّم (٧١١هـ/١٣١١م)،
لسان العرب، دار صادر، بيروت.
٢٧) ابن النديم، محمد بن اسحق (٣٨٠هـ/٩٩٠م)،
الفهرست، تحقيق رضا تجدّد، طهران، ١٩٧١م.
٢٨) نصّار، حسين،
أدب المراسلات في العصر الأموي، مجلّة «عالم الفكر»، المجلد الرابع عشر، العدد الثالث، ١٩٨٣م.
٢٩) ياقوت الحموي (ت ٦٢٦هـ/١٢٢٨م)،
إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب، بيروت، ١٩٥٧م.

× × ×

ب – الأجنبيـة

30) Abbott, Nabia. Kurra Papyri in the Oriental Institute, Chicago, 1938.
31) Abu'Safieh, Jaser. Umayyad Epistolograpluy, with Special Reference to the Compositions Ascribed to 'Abd al-Hamīd al-Kātib Ph.D. Dissertation, London, 1982.

الطير وعالمه الحيواني في الشعر الجاهلـي

للدكتور عبد القادر الرباعي
جامعة اليرموك / اربد

سيظل الشعر الجاهلي مصدرا غنيا للبحث، يعود إليه الدارسون على اختلاف عقولهم وحقولهم، ويؤوبون منه حاملين مواد خصبة يؤلفون منها الكتب والبحوث. فالشعر الجاهلي كأي شعر حي يعرض نفسه على كل عصر، يستحث باحثيه لاستخراج ما فيه من فكر وفن.

لقد كثرت الدراسات التي جعلت هذا الشعر ميدان بحثها، لكننا – مع ذلك – نشعر أنه ما زالت فيه مجالات واسعة لأبحاث جديدة، ومن هذه المجالات الطير.

والطير في الشعر الجاهلي موضوع جدير بأن يدرس ويستقصى؛ لأنه يشكل ظاهرة لها تميز في نواح عدة منها: خصوصية الطير، وصفاته، واختلاف أنواعه وأشكاله، وعلاقاته التي تبدأ بعلاقات أنواعه بعضها ببعض، وتمتد إلى الحيوان الذي يشاركه العيش فوق أرض واحدة هي الطبيعة والفضاء الرحب، وسيحاول هذا البحث أن يبرز هذا كله، وأن يتفحص أبعاده وانعكاساته على إنسان ذلك العصر من خلال الشعر الذي قاله شعراؤه.

– ١ –

خصوصيـــة الطير:

حالة الطيران من الحالات التي أوجدت في خيال الشاعر الجاهلي فسحة مناسبة عبأها بمفردات وصفات تلائمها وتدل عليها. من ذلك قرنه إياها بالسرعة كما في قول دختنوس بنت لقيط بن زرارة تصف فرار بني أسد في إحدى الوقائع:

فرّت بنـــــو أسَدٍ حرو دَ الطيــرِ عن أربابهـــا[١]

(١) شعر بني تميم في العصر الجاهلي، جمع وتحقيق د. عبد الحميد المعيني، نادي القصيم بريده ١٩٨٢ ص ٣٣٤، وسميت دختنوس باسم ابنة كسرى وأصله بالفارسية: دخت نوش، أي بنت الهنيء. وحرود مسرعة.

فالطير الحرود — فضلا عن سرعتها الطبيعية — لديها الدافع لزيادة هذه السرعة، فهي نافرة غاضبة من أربابها، تجهد نفسها حتى تأتي بكل ما تستطيع من سرعة تبعدها عن الطامعين فيها. وبنو أسد، مقابل هذا، لديهم من الدوافع ما يكفي لبذل جهود كبيرة يصلون بها إلى سرعة تنجيهم من الموت.

وسرعة الطير كانت وراء المقارنات التي أحدثها الشعراء الجاهليون بينها وبين ما ركبوا من خيل وإبل. من ذلك قول النابغة الذبياني:

والخيلَ تمزع غرباً في أعِنّتها   كالطير تنجو من الشؤبوب ذي البَرَد[٢]

وقول عبيد بن الأبرص في وصف الخيل:

ما السابقات سراعَ الطير في مَهَل   لا تستكين ولو ألجمتها فاسا[٣]

فالنابغة اختار موقفا احتاج من الطير زيادة في السرعة، وهو طلبها النجاة من الشؤبوب ذي البرد، واختار عبيد من الطير أسرعها وجعلها في سباق مع الخيل.

الشاعران — كما نرى — يركزان على الدافع لإخراج أقصى ما يمكن من سرعة مثلما وجدنا الشاعرة دختنوس تفعل ذلك. إن هذا يعني أن الشاعر الجاهلي — ومثله الانسان الجاهلي كان يدرك أن امتلاك السرعة شيء واستخدامها شيء، فالطائر من خصوصيته السرعة لكن استخدامه هذه السرعة أو الحد الأقصى منها لا يكون إلا في إيقافه موقفا يستدعيها، وهذا يعني أن الإنسان بحاجاته ودوافعه كان وراء رسم الشاعر للطير في شعره حتى ليشعر المرء أن الشاعر، وهو يتتبع خصائص الطير، كان — في الواقع — يتتبع حركة الإنسان ويتغلغل في أعماقه التي تدفع هذه الحركة وتوجهها.

---

(٢) شرح المعلقات العشر للتبريزي، تحقيق فخر الدين قباوة دار الافاق الجديدة، بيروت ١٩٧٩، ص ٤٦٠.
(٣) ديوان عبيد بن الأبرص (دار صادر) ص ٨٣.

إن هذا يقودنا إلى ملاحظة أنهم، في الشعر، خصوا بالسرعة طيورا معينة، واختاروا لها مواقف تكون فيها مدفوعة لبذل أقصى سرعة ممكنة. ومن هذه الطيور الصقر المنقض على فريسته، والذي كانوا يشبهون به خيولهم. ومثاله قول أُبَيّ بن سلمى بن ربيعة الضبي في وصف خيله:

فما سوذنيقٌ على مربأ خفيق الفؤاد، حديد النظر
رأى أرنبا سنت بالفضا فبادرها ولجات الخمر
بأسرع منها ولا منزع يقمصه ركضة بالوتر[٤]

وقول عبيد بن الأبرص يصف ناقته:

كأنها لقوة طلوب تخزن في وكرها القلوب
باتت على أرم عذوبا كأنها شيخة رقوب
فأصبحت في غداة قرة يسقط عن ريشها الضريب
فأبصرت ثعلبا من ساعة ودونه سبسب جديب
فنفضت ريشها وانتفضت وهي من نهضة قريب
فأدركته فطرحته والصيد من تحتها مكروب[٥]

تمثل الراحلة (الفرس والناقة) في المثالين فعلا لاقتناص الرزق. إنها تسلك بصاحبها مسالك صعبة قاسية لكنها، في النهاية، تقوده إلى باب الخير الذي ينتهي عنده إملاقه. وهي بهذا، تلتقي مع النسر الذي ظل يرقب ببصره الحاد هلول رزقه حتى إذا ما لاح له أرنب أسرع بالانقضاض عليه، وكذلك العقاب التي ظلت تنتظر الصيد طويلا حتى بات الجوع ينهشها ويضربها، وما أن رأت ثعلبا حتى انطلقت نحوه عبر الأرض الواسعة التي

(٤) ديوان الحماسة، تحقيق محمد عبد المنعم خفاجي (مكتبة محمد علي صبيح) القاهرة ١٩٥٥ جـ١، ص ٣٠٨. وسوذنيق: من جوارح الطير وهو الصقر، ولجات: مواطن الولوج. والخمر: ما والاك من شجر. يقمص: يجري.

(٥) ديوان عبيد بن الابرص، ص ٢٩، واللقوة: العقاب. الأرم: الحبل. الضريب: الجليد. القرة: البرد. السبسب: الأرض البعيدة المستوية: انظر في قصة مماثلة لمثال عبيد هذا في ديوان امرىء القيس، تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم، دار المعارف بمصر ١٩٨٤ ص ٢٢٧.

تفصل بينهما، وحين أدركته مزقته تمزيقا شديدا. وهكذا كان كل من الناقة والطير يوحى بالإنسان المسرع لاقتناص الرزق من موضعه، واهتبال الفرصة حيثما لاحت. إذن كانت السرعة لدى كل منهم مدفوعة بدافع غريزي قوي، ولهذا جاءت في أقصى حد لها.

لقد جاءت السرعة قرينة للطير في كثير من النماذج حتى أصبحت لفظة (الطير) ومشتقاتها عَلَماً عليها في مواطن كثيرة. من ذلك قول ضمرة بن ضمرة:

ومشعلةٍ كالطير نهْنَهْت وردَها إذا ما الجبانُ يدّعي وهو عاند[٦]

وقول سلمة بن الخرشب الأنماري:

نجوت بنصلِ السيف لا غِمْدَ فوقَه وسرجٍ على ظهر الرحالة فاتر
فأثنِ عليها بالذي هي أهلُهُ ولا تكفُرَنْها، لا فلاح لكافر
فلو أنها تجري على الأرض أدركت ولكنهـا تهفـو بتمثـال طائـر[٧]

فكلمة (طير) في المثال الأول، وكلمة (طائر) في المثال الثاني تعنيان السرعة القصوى التي امتازت بها الناقة وهي تحمل صاحبها إلى حيث موطن الرزق، والفرس وقد نجته من هلاك كان ينتظره.

اختار الشاعران المواقف التي تدفع إلى السرعة: فضمرة في المثال الأول يحرص على أن يوقف الإنسان موقفا يحتاج فيه السرعةَ كي يلتقي بما يؤمل من خير، وسلمة في الثاني يحرص على أن يجعل من السرعة حاجة ملحة لنجاته، ولهذا حاول أن يبالغ في رسم هذه السرعة فجعل الناقة ترتفع في جريها عن الأرض مستعيدا في ذلك هيئة الطيران وسرعته.

(٦) شعر بني تميم في العصر الجاهلي ص ٢٧٧.
(٧) المفضليات، للمفضل الضبي (-٤٧٦ هـ) تحقيق احمد محمد شاكر وعبد السلام هارون، دار المعارف بمصر، الطبعة الرابعة، ص ٣٧.

لقد استفادوا من كون الطير قرينا في ذهن الانسان الجاهلي للسرعة فنوعوا في أساليبهم التي عبروا فيها عن سرعة رواحلهم، قال علقمة الفحل مثلا:

فقل لتميم تجعل الرمل دونَها وغير تميم في الهزاهز جاهلَه
فان أبا قابوس بيني وبينها بأرعنَ ينفي الطيرَ حمْرٌ مناقلُه[٨]

فعبارة «ينفي الطير» تنبىء بأن الطير هنا تعني السرعة لا غير، هذا من جهة، وهي تنبىء من جهة أخرى بجو المنافسة في السرعة بين الفرس الأرعن والطير بشكل عام، وقد نلحظ أنها تعبر – بالإضافة إلى سبق الفرس – عن اعتداد هذا الفرس بنفسه وسخريته من الطير في مجال المنافسة، أو، بكلمة أخرى، توحي بالغرور الإنساني الذي يتولد من شدة الإحساس بالذات في قدرتها المتميزة على عمل شيء قلّ من يستطيعه.

لقد أدى اقتران لفظة «الطير» بالسرعة إلى أن اقترب الاستخدام المجازي من الاستخدام الحقيقي كمثل قول الشنفرى:

إذا فزعوا طارت بأبيضَ صارمٍ ورامت بما في جفرها ثم سلّت[٩]

وقول علقمة الفحل:

لو يشا طار به ذو ميعة لاحق الآطال نهد ذو خصل[١٠]

فالفعل (طار) في المثالين لا يدل إلا على جانب واحد من (الطير) هو السرعة.

إن مثل هذا الاستخدام المجازي للكلمة اللغوية يقربها من الاستخدام الحقيقي أو المعجمي، ذلك أن الاستخدام المجازي من طبيعته وفرة الاحتمالات، وهي غير موجودة هنا.

---

(٨) ديوان علقمة الفحل بشرح الأعلم الشنتمري (– ١٨٧ هـ) تحقيق لطفي الصقال ودرية الخطيب، دار الكاتب العربي، حلب ١٩٦٩، ص ٤٦٠.
(٩) المفضليات، ص ١١١.
(١٠) ديوان علقمة الفحل، ص ١٣٤.

ومن خصوصية الطير التي أبرزها الشعر الجاهلي طيرانه الجماعي. لقد ألح هذا على خيال الشاعر فوازن بينه وبين جماعات الإبل أو الخيل كما في قول طرفة بن العبد يصف خيله وخيل أصحابه:

وأنافت بهوادٍ تلّعٍ كجذوع شذبت عنها القشر
ذلقِ الغارة في إفزاعهم كرعال الطير أسرابا تمر(١١)

فالخيل التي طلعت بأعناق طوال، وبقدود ممشوقة كجذوع مشذبة كانت تمر مسرعة أسرابا أسرابا كأسراب الطير. هكذا كانت موازنة أسراب الطير بأسراب الخيل عند طرفة.
أما عنترة، فقد نقل الموازنة إلى عالم الإنسان، وجعل سرايا الجيش شبيهة بعصائب طير ينتحين لمشرب، فقال:

كأن السرايا بين قوٍّ وقارة عصائب طير ينتحين لمشرب(١٢)

وأما بشر بن أبي خازم فقد جعل قوافي الشعر تترى في هجاء القبيلة التي يعادي، كما تتوالى رعال الطير عادة، قال:

ألا تفدي رغاء البكر أوسا بسوط من هجائي يا بجير
وسوط كان أهوى من قواف كأن رعالهن رعال طير(١٣)

كأن عصائب الطير كانت في أخيلتهم قرينة لقوة الجماعة والكثرة والنظام، لذلك استخدموها في مواقف تتطلب احد هذه المعاني أو كلها مجتمعة كما رأينا في الامثلة السابقة، لا يخفى هنا أثر النظام القبلي الذي كان يحكم وجودهم الجماعي في ذلك الزمان.

---

(١١) ديوان طرفة بن العبد، تحقيق فوزي عطوي، دار صعب، بيروت ١٩٨٠، ص ٨٧ - ٨٨. أنافت بهواد تلع: أشرفت بأعناق طوال. وذلق: جمع ذالقة أي مسرعة.

(١٢) ديوان عنترة، تحقيق محمد سعيد مولوي، المكتب الإسلامي، دمشق ١٩٧٠ ص ٢٧٨.

(١٣) ديوان بشر بن أبي خازم، تحقيق د. عزة حسن، وزارة الثقافة والارشاد القومي، دمشق ١٩٧٢ ص ٩٨.

ومن خصوصية الطير التبكير في الإفاقة واللغو صباحا حتى غدا الإنسان المبكر إلى عمله يقاس به، ولهذا قال ثعلبة بن صعير المازني يصف غدوته على أصحابه بشراب الصباح وقد اتخذ لغو الطائر إشارة لوقت تبكيره:

باكرتهم بسباء جون دارع قبل الصباح وقبل لغو الطائر(١٤)

ولهذا أيضا قرن امرؤ القيس غدوته إلى عمله أو رحلته ببقاء الطير في وكناتها وكرر ذلك ثلاث مرات. قال في الأولى:

وقد اغتدى والطير في وكناتها بمنجرد عبل اليدين قبيض(١٥)

وقال في الثانية

وقد أغتدي والطير في وكناتها بمنجرد قيد الأوابد هيكل(١٦)

وقال في الثالثة:

وقد أغتدي والطير في وكناتها لغيث من الوسمي رائده خال(١٧)

وهو ينطلق في هذا من كون الناس يعلمون أن الطير من عادته الإفاقة والخروج من مكامنه صباحا قبل إفاقتهم وتبكيرهم إلى أعمالهم. ومن هنا جاء افتخارهم بالجد والنشاط في متابعة أعمالهم وأهدافهم.

ومن خصوصية الطير أيضا قدرة مخالبه على التعلق بأي شيء حتى لو كان أملس، ولهذا كانوا إذا ما أرادوا تصوير ملاسة شيء أو حدَّيته قالوا: «يزل عنه ظفر الطائر» أو ما في معنى هذا القول. ومن ذلك قول زيد الخيل في وصف حد جبل أو سيف:

ونون تزلّ الطير عن قذَفَاتِه وترمي أمام السهل بالصّدع الغفّر(١٨)

---

(١٤) المفضليات، ص ١٣٠.

(١٥) ديوان امرىء القيس، ص ٧٥.

(١٦) المصدر السابق، ص ١٩.

(١٧) نفسه، ص ٣٦.

(١٨) ديوان زيد الخيل تحقيق د. فوزي حمودي القيسي، مطبعة النعمان، النجف الأشرف، د.ت ص. ٧٢.
والنون: شفرة السيف أو الجبل. والصدع: الوسط من الحمر والظباء. والغفر: ولد الأروية. انظر أيضا ديوان امرىء القيس ص ٨٨.

وقول الأعشى مقارنا بين عيشه الخشن فوق كور، وعيش «حيّان أخي جابر» الذي كان يسكن قصرا مستويا أملس الجوانب يزل عنه ظفر الطائر:

شتان ما يومي على كورها ويوم حيان أخي جابر
في مجدل شيد بنيانه يزل عنه ظفَر الطائر(١٩)

ولم تصدر مقارنة الأعشى هذه عن حسد لحيان، كما أعتقد، وإنما عن فخر بجهاده الأيام، وطموحه الوصول إلى نوع من الراحة التي فيها حيان. وهكذا كان شأن زيد الخيل في مقاله السابق. فالإنسان الجاهلي ذو العزم الوطيد على أن ينال مبتغاه على الرغم من كل العوائق، كان وراء مثل هذا الشعر.

ومن خصوصية الطير أيضا القدرة على الوصول إلى كل مكان، وكذلك تخيّره الأماكن المرتفعة لوكره أو لعشه. لقد كان هذا أيضا موضع مقايسة بينه وبين الجاهليين، إذ كانوا يقيسون تطلعهم للوصول إلى المنازل العليا الصعبة المسالك، أو الأماكن المرتفعة القاسية المعابر بقدرته هو على ذلك.

ومن الامثلة على هذا قول الأعشى يصف قصرا بُني في العرض:

ألم تر أن العرض أصبح بطنها نخيلا وزرعا نابتا وفصافصا
وذا شرفات يقصر الطير دونه ترى للحمام الورق فيه مراقصا(٢٠)

وكذلك قول عدي بن زيد:

شاده مرمرا وجلله كلـ ـسا، فللطير في ذراه وكور(٢١)

---

(١٩) ديوان الأعشى الكبير، تحقيق د. محمد. م. حسين، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٧٤.
(٢٠) ديوان الأعشى الكبير، ص ٢٠١.
(٢١) ديوان عدي بن زيد، تحقيق محمد عبد الجبار المعيدي، دار الجمهورية للنشر والطبع، بغداد، ١٩٦٥، ص ٨٨.

إن اهتمام الأعشى وعدي بن زيد بالقصور العالية خاصة له دلالة من زاويتين:

الأولى أنهما كانا يصفان ما يريان لكثرة ملازمتهما لأصحاب القصور، فقد كانا – كما نعلم – قريبين من حضارة الفرس والروم. والثانية أن الانسان العربي في العصر الجاهلي – بشكل عام – وقف مشدوها أمام هذا العمران المتطاول المتقن الصنع فعبر عما أثاره فيه.

وقد نجد شاهدا على هذا في قول خفاف بن ندبة:

ومرقبةٍ طيَّرتُ عنها حمامَها نعامتها منها بضاح مزلّق
تَبيتُ عِتاقُ الطير في رَقَباتها كطرَّةِ بيتِ الفارسي المعلّق(٢٢)

كانوا يرون ما عند الروم والفرس فيدهشهم هذا التطاول في البناء. لقد جعل خفاف المرقبة العالية شبيهة ببيت الفارسي على أساس التشبيه المقلوب، اذ كان من حقه أن يعكس فيجعل البيت في ارتفاعه شبيها بالمرقبة العالية التي «تبيت عتاق الطير في رقباتها».

قد يكون السبب في صنيعه أن الدهشة بالقدرة، التي صيرت القصور الفارسية على ما هي عليه، جعلته ينظر إليها على أنها الغاية في الارتفاع، وأن كل ارتفاع يقصر دونها. ثم إن هناك أمرا آخر برز في بيت خفاف، نتيجة دهشته بما رأى، هو إطلاق صفة العلو المتناهي على كل «بيت فارسي» فعمم وتجاوز الواقع والحقيقة بفعل الحالة النفسية التي كان عليها.

والأمثلة الثلاثة – على أية حال – تعبر عن تطلع الجاهلي إلى الأعالي، ورغبته في الوصول إليها كالطير تماما.

لقد تناول امرؤ القيس خاصية الطير هذه وعبر عن محاكاته لها بشكل مباشر فقال:

ومرقبٍ تسكن العِقبان قُلّتَه أشرفْتُه مسفراً، والنفس مهتابه

---

(٢٢) الأصمعيات، للأصمعي (–٢١٥ هـ) تحقيق أحمد محمد شاكر وعبد السلام هارون، دار المعارف، القاهرة، الطبعة الخامسة، ص ٢٤ – ٢٥.

عمداً لأرقب ما للجو من نِعَمٍ فناظر رائحا منه وعزابه[٢٣]

لقد أشرف على الدنيا من فوق المكان الذي تسكنه العقبان: رمز القوة والمنعة، لكنه، مع هذا وقف وفي نفسه خوف كبير لما قد يحدث له، خصوصا بعد أن رأى الناظرين في الدنيا يتوزعون بين رائح منها، ومبتعد عنها. وقع امرؤ القيس في بيتيه السابقين على مفارقة عجيبة هي اجتماع الخوف مع القوة لكنه- مع ذلك- أعلى من روح المغامرة للوصول إلى ما ينبغي. وقد استفاد في تعبيره عن القوة من المكان المرتفع الذي تألفه العقبان كما رأينا. إن امرأ القيس استفاد من خصوصية مكث الطير، لا سيما الجوارح منها، في الأمكنة العالية فاستخدم ذلك في أبيات أخرى فقال:

ومرقبة كالزج أشرفت فوقها أقلب طرفي في فضاء عريض

فظلت وظل الجون عندي بلبده كأني أعدّي عن جناح مهيض

فلما أجن الشمس عني غؤورها نزلت إليه قائما بحضيض[٢٤]

من الواضح أن امرأ القيس يدير على المرقبة قصة تلخص حياته وتختصرها بوضعين متضادين: أولهما حياة المجد والرخاء حيث الرفعة والعلو في كنف والده، وثانيهما حياة الانحدار إلى الحضيض بعد قتل والده.

ويبدو أن الشمس ترمز في الابيات إلى أبيه الذي كانت حياته بمثابة شمس ترعى أيامه الرغيدة، وحين غابت بدت مرحلة الانحدار والتراجع في حياته، وظل على هذه الحال حتى نزل بالحضيض.

---

(٢٤) المصدر السابق ص ٧٤، والزج: حد الرمح. الجون: الفرس الأدهم. بلبده: يريد سرجه. أعدي: أعتمد عليه. الجناح المهيض: المكسور.

(٢٣) ديوان امرىء القيس، ص ٣٤٦. والمرقب: المكان العالي، قلّته: رأسه مسفرا: عندما أسفر الصباح، مهتابة: وجلة خائفة. عزابه: جمع عازب وهو البعيد.

كانت تلك خصوصيات الطير بشكل عام، وهي التي اختلف بها عن غيره من الحيوان. لكن في الشعر الجاهلي خصوصية لكل طائر يمتاز بها عن الطيور الأخرى.

أما الصقر والنسر والشاهين والعقاب وما شاكلها فخصت بالقوة. لقد جعل شبيب بن البرصاء المري الصقر خير الطير لذلك استحضر صورته وهو يفتخر بقومه فقال:

إذا افتخرت سعد بن ذبيان لم تجد سوى ما ابتنينا ما يعد فخورها
فلا خير في العيدان إلا صلابها ولا ناهضات الطير إلا صقورها
ألم تر أنّا نور قوم وإنما يبين في الظلماء للناس نورها(٢٥)

فالشاعر في الأبيات الثلاثة يحدث ثلاث موازنات: أولاها بين الصلب من العيدان وبقيتها. وثانيتها بين الصقر وغيره من الطيور، وثالثتها بين قبيلته وغيرها من الأقوام، وهو في كل موازنة يحرص على أن ينحاز إلى جانب القوة فكلمة «صلابها» في الموازنة الأولى تعكس ظل القوة على الموازنتين الأخريين. وعلى هذا نفس عبارة «نور قوم» في الموازنة الثالثة بأنها تعني حصيلة القوة التي يملكون. ومثل هذا قول عامر بن الطفيل في النسر:

وتركت جمعهم بلاية ضرغد جزر السباع وكل نسر أهدب(٢٦)

وأما القطاة فقد خصها الشعر الجاهلي بلزومها ماء الورد كقول قيس بن الخطيم:

وماء على حافاته أبّدُ القطا تخال به دمن المعاطن إثمدا(٢٧)

---

(٢٥) ديوان الحماسة، ج٢، ص ١١. وتجدر الإشارة إلى أن الصقر والنسر والشاهين والعقاب جاءت في الشعر الجاهلي بمفهوم واحد، لذلك قد تجد حديثي عن أحدهما ينطبق على غيره منها.

(٢٦) ديوان عامر بن الطفيل، دار صادر ودار بيروت، بيروت ١٩٦٣، ص١٦.

(٢٧) ديوان قيس بن الخطيم، تحقيق د. ناصر الدين الأسد، مكتبة دار العروبة، القاهرة ١٩٦٢ ص ١٥٦، يقال للطير المقيمة بأرض، شتاءها وصيفها، أوابد أو أبد.

وأما الحمامة فقد أبرز الشعراء خصوصية طوقها الذي يزين عنقها، فجعل عبد الله بن أبي ثعلب الهذلي هذا الطوق زينة ثابتة دائمة لها(٢٨) بينما نظر الأعشى إليه على أنه المظهر الذي اشتهرت به، قال:

وماء صَرٍ لم ألق إلا القطا به ومشهورةَ الأطواق ورقاً نحورها(٢٩)

وأما الديك فقد خصوه بصفاء عينيه، وقارنوا به صفاء الخمر كما في قول عدي بن زيد العبادي:

ثم نادوا على الصبوح فجاءت قينـــة في يمينهـــا إبريـــق
قدمته على سلاف كعين الـــ ديك صفى سلافها الراووق(٣٠)

وقد ذكر الدميري أنهم على المستوى العام، كانوا قد ضربوا المثل بصفاء عينه فقالوا: «أصفى من عين الديـــك»(٣١).

وأما الغراب فقد أبرزوا خصوصية لونه الأسود، من ذلك قول عنترة في معلقته:

وما راعني إلا حمولةُ أهلها وسط الديار تسفّ حب الخمخم
فيهـا اثنتـان وأربعـون حلوبـــةً سوداً كخافية الغراب الأسحم(٣٢)

فهو يشبه لون النوق التي كان حليبها مصدر معاشهم، بلون الغراب الأسود تشاؤما من رحلة القوم عن الديار، ولهذا اقترن لون الغراب عنده في ذلك الوقت بصفة القبح التي كان يرى من خلالها الأشياء، أما الأعشى فقد اختلف عنه في موقفه من لون الغراب

---

(٢٨) التمام في تفسير أشعار هذيل مما أغفله أبو سعيد السكري لابن جني، تحقيق أحمد مطلوب ورفاقه مطبعة العاني، بغداد ١٩٦٢، ص ١٦٢.

(٢٩) ديوان الأعشى الكبير، ص ٤٢٣.

(٣٠) ديوان عدي بن زيد، ص ٨٧.

(٣١) حياة الحيوان الكبرى، الدميري (-٨٠٨هـ) دار التحرير للطبع والنشر، القاهرة، ١٩٦٥، جـ١، ص ٦٠٦، وراجع معجم الأمثال للدكتور عفيف عبد الرحمن، دار العلوم بالرياض، ١٩٨٥، جـ١ ص ١٢٤.

(٣٢) شرح القصائد العشر للتبريزي، ص ٢٧٢.

الأسود في بعض شعره، ذلك أنه استخدمه لإبراز صفة جمالية وليس العكس. لقد جعله معادلا موضوعيا للفتوة والشباب في الإنسان إذ قال:

وإذ لمتي كجناح الغدا ف ترنو الكعاب لإعجابها[٣٣]

إن لمته التي كانت كجناح الغراب هي التي كانت مصدر إعجاب الفتاة الكعاب.

وعلى نحو آخر كانوا يدلون على استحالة حدوث الأمر باستحالة الشيب في الغراب، من ذلك قول النابغة الذبياني يصف سلوك جاهل اسمه عامر:

فإن يك عامرٌ قد قال جهلاً فإن مَظنّة الجهل الشباب
فكن كأبيك أو كأبي بَراءٍ توافقك الحكومةَ والصواب
فإنك سوف تحلم أو تناهى إذا ما شبت أو شاب الغراب[٣٤]

من الطريف أن عبارة «أو شاب الغراب» غيرت المعنى إلى الضد تماما، فقد كان الكلام قبلها يوحي بامكانية هداية عامر بعد أن رد طيشه إلى سن الشباب الذي هو «مظنة الجهل» برأيه، ونصحه بأن يتشبه بأبيه أو بأبي براء حتى ينضبط سلوكه، ويصوب رأيه، ثم قال بأن الحلم يمكن أن يأتيه مع مجيء الشيب. إلى هنا كان مسار الشعر تعليما لذلك الجاهل مع أمل الوصول إلى نتيجة مرضية، لكن مجيء عبارة «أو شاب الغراب- وهي تدل على الاستحالة- عكس المعنى فجعله يشير إلى استحالة تعلم هذا الشاب الجاهل، وإلى فقدان الأمل من صلاحه.

وأما البومة فأبرزوا خصوصية صوتها المخيف في الصحراء الخالية. من ذلك قول لبيد:

ولقد قطعت وصيلة مجرودة يبكي الصدى فيها لشجو البوم[٣٥]

(٣٣) ديوان الاعشى الكبير ص ٢٢١.

(٣٤) ديوان النابغة الذبياني، تحقيق الشيخ محمد الطاهر بن عاشور، الشركة التونسية الوطنية للنشر، الجزائر ١٩٧٦. ص ٥٧.

(٣٥) شرح ديوان لبيد، تحقيق د. احسان عباس، الكويت ١٩٦٢، ص ١١٤.

وقرنوا بصوتها صوت الهام كما في قول عبيد بن عبد العزى السلامي :

ودواية لا يأمن الركب جوزها بها صارخات الهام والبوم يهتف(٣٦)

فالبوم ، والصدى - وهو ذكر البوم - والهام - وهو طائر الليل كما قيل - طيور متلازمة الوجود في الشعر الجاهلي غالباً(٣٧).

لو أمعنا النظر في الخصوصية الشعرية لكل طير من الطيور السابقة لوجدنا أن الإنسان الجاهلي كان وراء كل واحدة منها ، فقد يكون رأى في النسر مثاله في القوة ، وفي وِرْد القطا حاجته إلى الحياة ممثلة بالماء ، وفي الحمامة عشقه الجمالَ والحبَّ ، وفي عين الديك طموحه إلى عيش صاف وفي لون الغراب حنينه إلى الشباب النضر ، وتشاؤمه من الموت الأسود ، وفي صوت البومة خوفه من المصير المجهول. إن هذا يعزز الاعتقاد بأن أوصاف الطير وخصوصيته المثارة في الشعر الجاهلي ، إن هي في الحقيقة إلا تعبير عن الإنسان الجاهلي في مواقفه الخاصة من الحياة والموت. وبهذا تصبح الألفاظ الخاصة بالطير في مواضعها من الشعر حبلى بالأفكار والمشاعر والرموز التي توحي بتلك المواقف. ولعل هذا يتضح أيضا في الشعر المصور للعلاقات بين الطيور بعضها ببعض كما في الفقرة التالية :

- ٢ -

علاقة الطير بالطير :

اعتاد الشاعر الجاهلي أن يوجد في شعره مقابلات بين الطيور على أساس الاختلاف في طبيعة كل منها ، أو خصوصيته. من ذلك المقابلة بين الصقر وبغاث الطير كما في قول الأفوه الأودي :

---

(٣٦) قصائد جاهلية نادرة ، تحقيق د. يحيى الجبوري مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ١٩٨٢ ص ١٢٧. وعبيد هو ابن عم الشنفري ، والداوية : المفازة.

(٣٧) ذكر الجاحظ أن « الهامة والبومة والصدى والخفاش مشتركة تقع على كل طائر من طيور الليل يخرج من بيته ليلا » انظر حياة الحيوان للدميري ، جـ ١ ، ص ٢٦٥.

وترى الفوارسَ من مخافةِ رمحه   مثلَ البغاثِ خشين وقعَ الأجدل[٣٨]

من الواضح أن أساس المقابلة بين الصقر وبغاث الطير هو المقابلة بين إنسان قوي، وإنسان ضعيف، فالحياة البشرية وما بها من اختلاف وتضاد وصراع هي التي كانت تفرض على الشاعر الجاهلي رؤية ذلك في الطير، فالأفوه كان مشغولاً في إبراز قدرة ذاك الفارس ومخافة الآخرين منه. إن شرط المقارنة بينه في قوته، وبين الآخرين في ضعفهم وخوفهم، جلب إلى خيال الشاعر مقارنة الصقر ببغاث الطير. ومثله فعل دريد بن الصمة في هجائه رجلا كان يعاديه. قال:

أيا حَكَم السوءاتِ لا تَهْجُ واضطجع   فهل أنت إذ هاجيت إلا من الخُضْر

وهل أنت إلا بيضة مات فرخُها   ثوت في سلوخ الطير في بلد قَفْر

حواها بغاثٌ شرُّ طيرٍ علمتها   وسُلاَّءُ ليست من عقاب ولا نَسر[٣٩]

لقد جعل دريد مهجوه شبيها ببيضة فاسدة تنتسب إلى شر الطير لا إلى كرامه.

والواقع أنه كان يقارن بين ذاته وذات هذا المهجو، فحين نسبه إلى البغاث والسلاء أو شر الطير، نسب نفسه إلى العقاب والنسر أو كرام الطير وأحرارها. وقد نجد الشعر الجاهلي يقارن في هذا المقام بين النسر والحبارى من بغاث الطير تخصيصا، كما في قول دريد نفسه يهجو عدوا:

فلو ثقفتُك وسطِ القومِ ترصدني   إذاً تَلَبَّسَ منك العرض بالحِقَبِ

وما سمعتِ بصقرٍ ظلّ يرصُدُه   من قبلِ هذا بجنب المَرْحِ من خَرَبِ[٤٠]

---

(٣٨) شعر الأفوه الأودي، تحقيق عبد العزيز الميمني (ضمن كتاب الطرائف الأدبية، دار الكتب العلمية بيروت، ص ٨٥، والأجدل: الصقر، وبغاث الطير: ضعافها.

(٣٩) ديوان دريد بن الصمة الجشمي، تحقيق محمد خير البقاعي دار قتيبة، دمشق ١٩٨١. ص ٧١، والخضر: اسم قبيلة من قيس عيلان، وسلوخ: جمع سلخ وهو ما يسلخه الطير من ريشه. والسُّلاَّء: ضرب من الطير أغبر، طويل الرجلين.

(٤٠) نفسه، ص ٣١.

فأصل المقارنة قوة الشاعر وضعف عدوه. إن احساسه بهذا جلب إليه مقارنة مماثلة من عالم الطير بين الصقر ممثل القوة، والخرب (وهو الحبارى) ممثل الجبن والضعف، وقد أضاف إلى ذلك أسلوب السخرية الذي أحيا المقارنة في عقل كل مستمع: إن ترصد الصقر للحبارى أمر طبيعي لا يثير أحدا، لكن ترصد الحبارى للصقر هو الأمر الذي يثير الهزء ويدعو للضحك.

المقابلة بين الصقر والحبارى أثارت وضعاً هزلياً تكرر عند غير شاعر. من ذلك قول زهير:

ومن يتجرّم لي المناطق ظالماً فيجْرِ إلى شأو بعيد ويَسبَحِ[٤١]
يكن كالحبارى إن أصيبت فمثلها أصيب وإن تفلت من الصقر تسلحِ

عالم الطير هو الخلفية القائمة في ذهن زهير للمقارنة التي عقدها بينه وبين من يكيد له واقعا، وبين الصقر والحبارى خيالا، وذلك لإبراز الفرق الكبير بين فعل القوة وفعل الضعف. لقد فعل الشيء ذاته شعراء جاهليون آخرون منهم أوس بن علفاء الهجيمي في هجائه يزيد بن الصعق الكلابي إذ قال:

وإنك في هجاء بني تميم كمزواد الغرام إلى الغرام
هم منُّوا عليك فلم تُثِبْهمْ فتيلاً غيرَ شتمٍ أو خِصام
وهم تركوك أسلحَ من حبارى رأت صقراً وأشردَ من نعامَ[٤٢]

يزيدُ هذا من تميم، لكنه عقها وقابل منتها بالشتم والخصام، فما كان منها إلا أن تخلت عنه حتى بات ضعيفا لا يصمد أمام قوة الأقوياء. إن الشاعر لم يجد أفضل من الحبارى يقارنه بها. وقد استدعى هذا جلب الصقر الذي تبرز قوته خور الحبارى وجبنها إلى حد

---

(٤١) شرح ديوان زهير بن أبي سلمى، صنعة ثعلب (– ٢٧٥هـ)، نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب المصرية، نشر الدار القومية للطباعة والنشر القاهرة ١٩٦٤، ص ٣٤٤.
(٤٢) الأصمعيات، ص ٢٣٣.

السلح . هكذا أصبح يزيد في خيال الشاعر، بعد أن زالت حماية تميم له . لقد غدا بين القوى الطامعة فيه كالحبارى بين مخالب الصقر .

نلاحظ أن الصقر في الأمثلة السابقة كان يرمز إلى القوة المثالية، فهو القادر على الفتك، وهو المهاب دوما، وقد قدر هذه القوة فيه الإنسان الجاهلي الذي كان يعيش في عصر للقوة فيه شأن، وأي شأن! . إن من إعجاب الشاعر الجاهلي بقوة الصقر تعلقه بانقضاض هذا الصقر على فريسته .

من ذلك قول معفر بن حمار البارقي :

هوى زهدمٌ تحت الغبار لحاجب ... كما انقضَّ أقنى ذو جناحين فاتر[٤٣]

وقول السليك بن عمرو :

قطعت وتحتي النَّحامُ يهوي ... كما انقضت على الخزز العقاب[٤٤]

وقول المرقش الأكبر :

ما ذَنْبُنا في أن غَزا ملكٌ ... من آل جفنة حازمٌ مرغم

فانقض مثلَ الصقر يَقْدُمُه ... جيشٌ كغِلّانِ الشريفِ لهَمْ[٤٥]

من الواضح أن أعجابهم بالصقر جعل بعضهم يقارنه بالملوك العظام، بل يقارنهم به؛ فانقضاضهم كانقضاضه كما في أبيات المرقش. وكأن صورة الصقر أو النسر في خيال الشاعر الجاهلي والانسان الجاهلي هي صورة الملك بكل ما في الصورة من قدرة وحزم وعظمة[٤٦] .

---

(٤٣) قصائد جاهلية نادرة، ص ١١٠ .

(٤٤) شعر بني تميم في العصر الجاهلي . ص ٦٨ ، والخزز : ولد الارنب .

(٤٥) المفضليات، ص ٢٤٩ .

(٤٦) ان هذا يذكرنا بتسمية النبي سليمان له «بملك الطير» عن القرطبي في تفسيره المسمى بالجامع لاحكام القرآن، دار الكتاب العربي القاهرة ١٩٦٧ ، جـ١٠ ، ص ٨٣ كما يذكرنا باتخاذهم صنما على هيئة النسر . انظر كتاب الاصنام لابن الكلبي (– ٢٠٤ هـ) نسخة مصورة عن دار الكتب المصرية ١٩٢٤ وقد ذكره القرآن الكريم فقال تعالى : ﴿وقالوا لا تذرن آلهتكم، ولا تذرن ودّاً، ولا سواعا، ولا يغوث، ويعوق ونسرا﴾، سورة نوح آية ٢٣ .

كانت مثل هذه الصورة للصقر في خيال صخر الغي وهو يشبه أخاه به في قصيدة[٤٧] قالها يرثيه بعد أن نهشته حية فمات، قال:

ولله فتخاءُ الجناحين لقوةٌ ... تُوَسِّد فرخيْها لحومَ الأرانبِ
كأن قلوبَ الطير في جوف وكرها ... نوى القَسْب يُلقى عند بعض المآدبِ
فخاتَتْ غزالاً جاثماً بصُرتْ به ... لدى سَمُرات عند أدْماءَ ساربِ
فمرتْ على رَيْدٍ فأعْنَتْ بعضها ... فَخَرَّتْ على الرِّجلَيْن أخْيَبَ خائبِ
تصيحُ وقد بان الجَناحُ كأنَّهُ ... إذا نهضَتْ في الجو مخراقُ لاعب
وقد ترك الفرخان في جوف وكرها ... ببلدة لا مولىً ولا عند كاسب
فُرَيْخان ينضاعان في الفجر كلما ... أحَسّا دَوِيَّ الريحِ أو صوتَ ناعب
فلم يرها الفرخان عند مسائها ... ولم يهدآ في عشها من تجاوب
فذلك مما يُحْدِثُ الدهرُ إنه ... له كل مطلوب حثيث وطالب[٤٨]

اعتدنا في الشعر الجاهلي أن نرى الصقر مظفرا، فهو فتاك يمزق فريسته دونما رحمة، لكن يبدو أن الحياة كانت في عرف الجاهلي لا تستقر على حال واحدة، فإن فيها مفاجآت كثيرة ومنها ما حدث لهذه العقاب في الأبيات السابقة. لقد صورها الشاعر في موقفين متناقضين: أولهما موقف القوة المؤدي للحياة، وثانيهما موقف العجز الموصل للهلاك، كيف حدث هذا؟ إن الانتقال من الضد إلى الضد، أي من القوة إلى الضعف استدعى قصة، أو بان من خلال قصة بدأت بتصوير الحياة الهانئة التي عليها العقاب وفرخاها. ومن المظاهر التي أبرزت هذه الحياة توسد فرخيها لحوم الأرانب، وقلوب الطير الكثيرة المبثوثة حول وكرها والتي شبهت بنوى القسب «يلقى عند المآدب». اعتمد الشاعر وصف هذه الحياة الهانئة التي تعيشها العقاب وجعله قاعدة للحركة الثانية، وفيها

---

(٤٧) التشبيه هنا بين أبي عمرو بن عبد الله أخي صخر الغي والعقاب، لكن العقاب والنسر والصقر مترادفات في الدلالة الشعرية كما قلنا، ولهذا جوزت لنفسي أن أعطي صفات أحدها للآخر في هذا البحث.

(٤٨) ديوان الهذليين (نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب) الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة ١٩٦٥، جـ٢ ص ٥٥. وفتخاء: لينة مفصل الجناح، واللقوة: المتلقفة الشيء؟ خاتت: انقضت، سارب: تسرب في الأرض، الريد: الشمراخ من الجبل، أعنت: أهلكت.

وصف العقاب وقد رأت غزالا جاثما «لدى سمرات». تحركت في العقاب نزعة التملك والحاجة فانقضت على الغزال دون أن تعي ما حولها، فكل ما كان يشغل تفكيرها ذلك الصيد السمين الذي تهيئه لفرخيها. لم تكن تدري أن القدر هيأ لها مفاجأة مميتة. فقد قادها حظها البائس إلى صخرة ارتطمت بها ارتطاما أدى إلى تحطيم أعضائها «فخرت على الرجلين أخيب خائب». وهكذا فاجأها القدر بما لا تنتظر فصرعها قبل أن تصرع فريستها.

يهمنا من الشاهد، حتى الآن، أمور ثلاثة هي:

أولها : أن العقاب – على قسوتها كانت تقوم بواجب الأمومة فهي ترعى فرخيها وتوفر لهما ما يحتاجان من غذاء.

وثانيهما : أن هلاك العقاب تسبب مما كانت تحيا وفرخيها به، اعني الصيد الذي قادها إلى حتفها.

وثالثها : أن القدر هو الذي منع بطشها، وأبعد مخالبها عن الغزال فالغزال لم يقاوم، وما كان له أن يفعل لو أنها لحقت به، فهو أضعف من أن يصمد لقوتها الجبارة.

أما الحركة التالية في الأبيات فسارت على النحو التالي:

توقف الشاعر، بعد حدوث مالم يكن محسوبا، عند العقاب نفسها كي يبرز سلوكها في حالة التردي والضعف التي آلت إليها، فقال:

تصيح وقد بان الجناح كأنه إذا نهضت في الجو مخراق لاعب

أصبح القوي عاجزا عن إسعاف نفسه، فهو بحاجة إلى غيره. إن العقاب التي كان صوتها مرعبا غدت تطلب النجدة والعون بصوت يعلن عن الضعف والانهيار.

هذا ما أصاب العقاب، فما الذي حدث للفرخين بعد انهيار أمهما؟ لقد تُركا في وكرهما عاجزين لا يرعاهما مولى، ولا يكسب قوتهما أحد. إن عجزهما جعلهما متعلقين منذ الصباح حتى المساء بما تأتي به الريح من أصوات علهما يحظيان بصوت أمهما. ولما لم

يعهدا منها غياب يوم كامل تشاءما بغيابها وأنذرا بخطر جسيم.

عقدة القصة هي الصخرة التي اعترضت اندفاع قوة الصقر، وهي تماثل واقعا الحية التي نهشت أبا عمرو اخا صخر الغي فعطلت اندفاعه في الحياة. إن كلا من الصخرة والحية عائق يسره القدر أو الزمن، وكأنه قصد إلى أن يذكر الصقر وأبا عمرو بأنه الأقدر والاقوى. من هنا أنهى الشاعر القصيدة بتعليق دال، إذ قال:

فذلك مما يحدث الدهر، إنه ... له كل مطلوب حثيث وطالب

الزمن هو الأقوى في عرف الشاعر الجاهلي والإنسان الجاهلي، فهو سيد الأقوياء وإليه يرتد الطالب والمطلوب في الحياة، إذ ليست هناك قوة خارج قوته.

كان المتسببُ في القضاء على العقاب، إذن، عارضاً صخرياً ارتطمت به، دون أي تدبير من أحد. لكن في الشعر الجاهلي قصصا أخرى ترينا أن أمر القضاء على الصقر والعقاب فيها مدبر بحنكة وذكاء كبيرين. من تلك القصص ما يقوله زهير بن أبي سلمى واصفا مشهد صراع بين صقر وقطاة:

وقد أراني أمام الحي تحملني ... جرداءُ لا فحج فيها ولا صككُ
كأنها من قطا الأجبان حان لها ... وِرْدٌ وأفرد عنها أختَها الشبكُ
جونيةٌ كحصاةِ القَسْمِ مرتعُها ... بالسِّيِّ ما تنبتُ القفعاءُ والحَسَكُ
أهوى لها أسفعُ الخدين مطَّرق ... ريشَ القوادم لم تُنْصَبْ له الشرك
لا شيءَ أجود منها وهي طيبة ... نفسا بما سوف ينجيها وتترك
دون السماء وفوق الأرض قَدْرُهما ... عند الذُّنابى فلا فوتٌ ولا درك
عند الذنابى لها صوت وأزملةٌ ... يكاد يَخْطَفُها طوراً وتهتلك
حتى إذا ما هوت كف الغلام لها ... طارت وفي كفه من ريشها بتك
ثم استمرت بماءٍ لا رشاءَ له ... من الأباطح في حافاته البرك
مكلل بأصول النجم تنسجه ... ريح خريف لضاحي مائة حبك
كما استغاث بسيء فَزّ غَيْطَلَةٍ ... خاف العيون فلم ينظر به الحشك

فزل عنها ووافى رأس مرقبة كمنصب العتر دمّى رأسه النسك[٤٩]

أثارت قصة مطاردة الصقر للقطاة رغبة الشاعر في تشبيه سرعة ناقته بسرعة القطاة التي شاء أن يضعها في هذا الموضع ليكون ذلك أجلب لسرعتها .

وملخص القصة هو أن رغبة القطاة بالحياة لم تمل عليها بذل أقصى سرعتها للنجاة من الصقر فحسب ، ولكنها أيضا حركت فيها كوامن من الذكاء حتى تكيد للصقر فتقوده إلى حتفه . لقد ظلت به تشاغله فتعطيه فرصة اللحاق بها حينا ، ثم تسابقه فتفلت من بين مخالبه حينا آخر قاصدة أن توصله إلى مكان تريده ؛ وهو صخرة عظيمة يتجهان في طيرانهما إليها . ولما اقتربا منها زادت القطاة من سرعتها فزاد هو من سرعته طمعا في اللحاق بها ، وفجأة هوت إلى الأرض تاركة إياه مندفعا نحو الصخرة حتى يرتطم بها ، ويسقط متخبطا بدمائه كالثور المذبوح تقربا إلى المعبود .

لقد اعتمد الشاعر وهو ينسج هذه القصة على عدد من الحقائق الأساسية المهمة :

أولاهـا : أن القطاة أسرع من الصقر ، ولذلك كانت مطمئنة إلى نتيجة المطاردة . لقد كانت – كما قال : « طيبة نفسا بما سوف ينجيها » ولذلك كانت هي التي توجه المطاردة إلى حيث تريد ، رغم ضعفها الجسدي أمام الصقر .

وثانيتها : أنها كانت مجربة ، فقد استفادت من وقع اختها في الشرك « وأفرد عنها أختها الشبك » . إن هذا جعلها تواجه قدرها بذكاء حتى لا يكون مصيرها مصير أختها .

وثالثتها : أن الصقر – على العكس منها – كان غرا لم « تنصب له الشرك » . لقد أعماه غروره وقلة خبرته عن أن يفكر بما يخطط له .

---

(٤٩) شرح ديوان زهير ص ١٧١ – ١٨٠ وجونية : ضرب من القطا . والسي : ما استوى من الأرض . القفعاء والحسك : أنواع من النبات والزناني : الذنب . والأزملة : اختلاط الأصوات . وتهتلك تسرع . وبتك : قطع . الغيطلة : البقرة ، والفز : ولدها والسيء : اللبن في الضرع . والحشك : الاجتهاد والدفع باللبن . العتر : الذي يذبح للصنم في رجب . والنسك : جمع نسيكة وهو ما يذبح عليه .

ورابعتها : أن طمع الصقر بها «وقد طمع الأظفار والحنك» جعلها تمنحه فرصة اللحاق بها حينا، ثم التفلّت منه والاندفاع بعيداً عنه حينا آخر:

حتى إذا ما هوت كف الغلام لها   طارت وفي كفه من ريشها بتك

إن هذا جعلها تضمن مطاردته لها، واندفاعه وراءها، لذلك أوصلته بخطتها إلى حيث هلكه. وهكذا استطاعت القطاة أن تتغلب على الصقر.

مغزى القصة هو أن القوي – على قوته – يمكن للضعيف – على ضعفه – أن يقهره ويورده هلكه، فينقلب الصائد – في هذا – مصيدا، ويصير الطالب مطلوبا.

تلتقي هذه القصة مع القصة السابقة في النتيجة التي هي قتل الصائد ونجاة الصيد، ولكنها تختلف معها في السبب، ففي الأولى كانت الصدفة أو المفاجأة سبب الموت، أما في الثانية فكان السبب في التدبير والتخطيط والقصد. كان للدافع الذي أنشأ كلا من الصورتين أثر كبير في توجيه الأحداث هنا وهناك، فدافع الشاعر في الأولى إبراز قيمة أخيه أبي عمرو وقوته حتى من خلال الموت الذي كان قدرا محتوما، وما الحية التي نهشته، في اعتقاد الشاعر، إلا سبب يسره القدر أو الزمن. ولهذا لم يكن للصراع مكان في الحدث واقعا، ولا في القصة خيالا. وأما الثانية فكان واقع الشاعر إبراز قوته – على الضعف البادي عليه – أمام قوة خصمه. ذلك أن مناسبة قول القصيدة التي اقتطعت منها الأبيات هي أن رجلا اسمه الحارث بن ورقاء الصيداوي أغار برجاله على أخوال زهير، وكان زهير فيهم، فنهب إبله وأخذ راعيه يسارا.(٥٠) وجد زهير نفسه في مواجهة رجل قوي، فكان لا بد له من إبراز قوته، وقد لا يجد الشاعر أقوى من الشعر سلاحا يبرزه أمام خصمه.

وعلى هذا خطط لتصوير صراع يظهر قوة الضعيف الكامنة، وانهيار قوة القوي أمامها، فكانت قصة القطاة والصقر على نحو ما حللنا. وهكذا كان الصراع أساس القصة واقعا وخيالا. والصراع – على ما خطط له زهير – كان يجب أن ينتهي بانتصار الضعيف، لأن

(٥٠) راجع ذلك في الأغاني للأصبهاني (– ٣٥٦ هـ) دار الكتب المصرية ١٩٣٦، جـ١، ص ٣٠٧– ٣٠٩.

هذه الفكرة وحدها هي التي تخدم هدفه. لقد انعكس هذا كله على الأبيات التي تلت القصتين، أما في الأولى فقد اتبعت القصة بما يشعر بالاستسلام للقدر بعد أن نسبت نكبة أخي الشاعر إلى الدهر أو الزمن الذي يرتد إليه «كل مطلوب حثيث وطالب». وأما في الثانية فتلا المشهد السابق أبيات تشعر بالتصميم على الصدام حتى يتحقق للشاعر ما يطلبه ومنها قوله:

يا حارِ لا أُرْمَيَنْ منك بداهية لم يلْقَها سوقةٌ قبلي ولا ملك
فاردد يساراً ولا تعنف علي ولا تمعك بعرضك، إن الغادر المعك
لئن حللت بجو في بني أسد في دين عمرو وحالت بيننا فدك
ليأتينك مني منطق قذع باق، كما يدنس القبطية الودك[٥١]

فهو يهدد الحارث بهجاء مقذع (وهذا سلاحه) يدنس عرضه كما يدنس الدسم الثوب القبطي النظيف إن لم يُعِدْ إليه راعيه يسارا.

يبدو أن دخول ذات زهير مباشرة في الصراع نحا بقصة الصدام بين القطاة مع الصقر هذا النحو الفريد الذي ينتهي بقتل الصقر، ذلك لأن القصة عند غيره من الشعراء الجاهليين الذين وقعت عليها في أشعارهم، اكتفت بأن أنجت القطاة من بين مخالب الصقر. من ذلك ما فعله النابغة الذبياني في تصويره للمطاردة إذ قال:

حتى إذا قبضت أظفاره زغبا من الذنابي لها أو كاد يقترب
نجت بضرب كرجع العين أبطؤه تعلو بجؤجئها طوراً وتنقلب[٥٢]

لقد اكتفى بتصوير اللحظة الحرجة التي كادت فيها مخالبه من الإمساك بها وبتصوير لحظة النجاة التي جاءت نتيجة إخراجها ما عندها من سرعة أنقذتها من بين المخالب. ومثل هذا فعل زهير نفسه في مشهد آخر،[٥٣] وكذلك ابنه كعب[٥٤]. أما المثقب

(٥١) شرح ديوان زهير بن أبي سلمى ص ١٨١ – ١٨٣، والودك: الدسم. وفدك: اسم موضع.
(٥٢) ديوان النابغة الذبياني، ص ٦٠–٦١.
(٥٣) شرح ديوان زهير، ص ٢٣٩–٢٤٥.
(٥٤) شرح ديوان كعب بن زهير ص ٢٣٨.

العبدي، فاكتفى بالإشارة إلى المطاردة[٥٥]. وأما الحارث بن حلزة اليشكري، فصوّر التجاء الحمامة بالنبات الكثيف وهي تطلب النجاة من الصقر، الذي اعتاد القدرة عليها، فقال:

ومدامة قرّ عنهـا بمدامـة وظباء محنية ذعرت بسمحج
فكأنهـن لآلىء، وكأنـه صقر يلوذ حمامة بالعوسج
صقر يصيد بظفره وجناحه فإذا أصاب حمامة لا تدرج[٥٦]

لكأني به يشبه نفسه بالصقر، ويشبه فتاته بالحمامة التي تلوذ منه بما يحميها. إذا كان هذا التفسير صحيحا، فإن طبيعة الصيد تتحول من مجال القسوة والبطش إلى مجال المداعبة والملاطفة، ويصبح الصيد في هذه الحالة مجازا، وتغدو للكلمات أبعاد تنسجم والمغزى الجميل الذي تؤديه في سياقها.

إن هذا يقودنا الى تلمس علاقات دافئة في عالم الطير خلافاً للعلاقات الحادة التي اطلعنا عليها من استعراض قصص الصراع المؤدي للقتل أو الهلاك.

أولى العلاقات الدافئة هي علاقة الحمامة «بساق حر»، ولقد أبرزها الشعراء بوضوح، وكانوا يوازنون بينها وبين علاقاتهم بعضهم ببعض في الحياة. من ذلك مقارنتهم النائحة على عزيز لها بالحمامة التي تصيح على «ساق حر»[٥٧]، وكانت قد فقدته منذ عهد ثمود كما يعتقدون[٥٨]. فقال الشنفرى في ذلك:

ونائحة أوحيت في الصبح سمعها فريع فؤادي واشمأز وأنكرا

---

(٥٥) شعراء النصرانية، جمع لويس شيخو، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، ١٩٦٧، ص ٤٠٣.

(٥٦) المفضليات، ص ٢٥٦.

(٥٧) و «ساق حر» هو ذكر القمارى لأن حكاية صوته هي «ساق حر» كما في القاموس المحيط مادة «الساق».

(٥٨) لاحظ ما قاله صخر الغي يرد على امرأته التي تنوح على ابنها نوح الحمامة على «ساق حر» في ديوان الهذليين ج ٢ ص ٥٣. فقال لها:

فأمـا ساق حر فمـا ت مع الأوائل من ثمـود

فخفضت جأشي ثم قلت: حمامة دعت « ساق حر » في حمام تَنَفّرا(٥٩)

فالشنفرى كان قد اشمأز من الصوت النائح الحزين، وأنكره، لكنه تراجع حين تذكر أن هذا الحزن قديم يعود تاريخه إلى يوم أن ناحت الحمامة على « ساق حر »، أي بدايات الكون والحياة التي يعرفون. لقد فعل صخر الغي ما فعله الشنفرى حين عقد مقارنة بين بكائه على ولده « تليد » وبكاء الحمامة على « ساق حر ». قال:

وذكرني بكاي على تليد حمامة مرّ جاوبت الحماما
ترجع منطقاً عجبا وأوفت كنائحة أتت نوحا قياما
تنادي ساق حر وظلت أدعو تليدا لا تبين به الكلاما(٦٠)

إن بكاء الحمامة على «ساق حر» في خيال الجاهلي ثابت على الأيام لأنه ظل يردد زمنا طويلا، وهو دلالة الوفاء والحب، لذا أصبح أنموذجا للتمثل. وهذا ما حدث لصخر الغي، إذ رأى في دوام حزنه، وبكائه شبها لحزن الحمامة، ولبكائها العجيب. وتوجد أمثلة أخرى بدت فيها الحمامة وهي تبكي الهديل، ومنها قول النابغة الذبياني التالي:

وقفت بها القلوص على اكتئاب وذاك تفارط الشوق المعنى
أسائلها وقد سفحت دموعي كأن مفيضهن غروب شن
بكاء حمامة تدعو هديلا مفجعة على فنن تغني(٦١)

فالنابغة يعقد مقارنة بينه، وهو يبكي في ديار الاحبة بعد أن فارقها أهلها، وبين الحمامة وهي تبكي الهديل. ويبدو أن الهديل في خيال الجاهلي غير ساق حر، فقد يكون الهديل فرخ الحمامة، وساق حر ذكرها(٦٢)، كما يوحي البيت التالي لعبيد بن الأبرص:

---

(٥٩) ديوان الشنفرى، في الطرائف الأدبية صنعة عبد العزيز الميمني، دار الكتب العلمية، بيروت، ص ٣٥.

(٦٠) ديوان الهذليين، جـ١ ص ٦٦.

(٦١) ديوان النابغة الذبياني، ص ٢٥٠.

(٦٢) جاء في القاموس المحيط لمجد الدين الفيروزأبادي (-٨١٧هـ)، المكتبة التجارية الكبرى بمصر ١٩١٣م، ان الهديل فرخها او ذكرها، لكنه أردف «أو هو فرخ على عهد نوح عليه السلام مات عطشا وضيعة أو صاده جارح من الطير فما من حمامة إلا وهي تبكي عليه.، انظر مادة «هدل».

فدعا هديلاً ساقَ حُرٍّ ضَحْوةً فدنا الهديلُ له يصب ويصعد[٦٣]

فهما في البيت اثنان لا واحد، كأن ساق حر هو الأب الذي يدعو، والهديل هو الابن الملبي، وكأن نكبة الحمامة أصبحت نكبتين ولذا نجدها تبكي بحرقة دائمة ما بعدها حرقة.

إن هذا يذكرنا بالعلاقات الدافئة التي كانت تجسد الأمومة، فلقد مرت بنا إشارة لها عند الصقر، لكن الأبيات التالية لأوس بن علفاء تفصل القول في تصوير هذا الجانب الندي عند القطاة. قال:

أما القطاة فإني سوف أنعتها نعتا يوافق نعتي بعض ما فيها
تسقى رُذَيَّين بالموماة قُوتَهما في ثغرة النّحر في أعلى تراقيها
مدّا إليهـــا بأفـــواهٍ منشَّرةٍ صعْداً ليستنزلا الأرزاق من فيها[٦٤]

يتعلّق الفرخان بأمهما في هذه الأبيات، التي انتزعت من مقطوعة طويلة، تعلقهما بالحياة نفسها. وقد حرص الشاعر في المقطوعة أن يجسد حنان الأم وتفانيها في جلب الرزق لأبنائها.

ومن العلاقات الحميمة التي أبرزها الشعر الجاهلي أيضا، تآلف الحمام واجتماع بعضه إلى بعض، حتى غدت كل حمامة واثقة من إجابة الحمام لصوتها لدى دعوتها إياه. وشاهد ذلك ما قاله عبيد وهو يبكي ديار الأحبة:

وقفتُ بها أبكي حمامـــة أراكيـة تدعو حماما أواركا
إذا ذكرت يوما من الهدر شجوها على فرع ساق ذرت الدمع سافكا[٦٥]

فصوت الحزن هو اللغة المشتركة المعهودة بين الحمام، فهو الذي يثير تآلف كل الحمام والتقاءه روحاً حتى لو لم يجتمع جسداً. والحزن أيضا هو اللغة المشتركة بين عبيد وأحبته من ساكني الدار، لذلك التقى مع الحمام في الوضع الروحي فعبر عن ذلك بالبيتين.

---

(٦٣) ديوان عبيد بن الأبرص، ص ٥٩.

(٦٤) شعر بني تميم في العصر الجاهلي، ص ٤٤٥، والرذيان: الفرخان الضعيفان، والموماة: المفازة الواسعة.

(٦٥) ديوان عبيد بن الأبرص، ص ١٠٠ وما بعدها. والأوارك: الواقفات على الأراك.

أما الأعشى فقد هاج صبوته وحنينَه إلى من يحب سماعُ صوت الحمامة وهي تدعو صحابها بصوت شجي فقال:

ويوم الخرج من قرماء هاجت صباك حمامةٌ تدعو حماما[٦٦]

لاحظنا في الحديث السابق عن علاقات الطير بعضه ببعض أن الصقر كان يرد على خيال الشاعر الجاهلي حين كان يبغي تصوير القوة والحزم والقسوة والبطش، بينما كان الحمام يرد على خياله وهو يرغب في تصوير الود والألفة والرحمة. إن هذا يظهر بأن حاجة الإنسان الجاهلي الذي كان الشاعر يترجم أحواله، لم تكن واحدة، ولذلك احتاج إلى رمزية الصقر، كما احتاج إلى رمزية الحمامة، لكأني به نظر إليهما على أساس أنهما يؤلفان تكامل الحياة؛ فإذا كان الصقر يمثل جانب القوة القاهرة، فإن الحمامة تمثل جانب الرأفة الراحمة. وهكذا كانت العلاقات الإنسانية بضوابطها القاسية أو العطوفة هي التي توجه علاقات الطير بعضه ببعض وسنرى أنها كانت وراء علاقاته بغيره من الحيوان أيضا.

— ٣ —

صلــة الطير بالحيــوان:

واستحضر الشعراء الجاهليون صورا مختلفة من الطير أيضا في أثناء وصفهم الخيل، والإبل، والأرنب والحمار الوحشي، والبقرة.

أما الخيل فقد استعادوا، وهم يصفون نشاطها، صورة الطير وهي تنجو من الشؤبوب ذي البرد كما مر بنا قبل، وشبهوها، وهي تعود، «برعال الطير اسرابا تمر[٦٧]. كما شبهوها أيضا، وهي في عرصات الأعداء، بالطير فوق معالم الأجرام، كما في قول المهلهل:

---

(٦٦) ديوان الاعشى الكبير، ص ٢٤٥.

(٦٧) ديوان طرفة بن العبد، ص ٨٨.

ولقد تركنا الخيل في عرصاتها كالطير فوق معالمِ الأجرام(٦٨)
فقبضن دَيْناً كن قد ضمنه بِعَزائمٍ غُلْب الرقابِ سَوام

فالخيل القوية، على هذا النحو، تدفع صاحبها إلى أن يكلفها دينا، وتكلف هي نفسها أداء هذا الدين بعزيمة غلابة. إن أمثال هذه الخيل هي التي وصف شاعر آخر سرعتها بقوله:

ما السابقات سراع الطير في مَهلٍ لا تستكين ولو ألجمتها فاسا(٦٩)

فنشاطها يدفعها إلى الحركة الدائمة، ولن يوقفها شيء حتى لو كان ذلك لجاما رادعا. هي تنشد الانطلاق حتى تغدو سرعتها تفوق سرعة الطير. إن لحظة النشاط هذه استحوذت على الشاعر الجاهلي فصورها موحيا بأن الخيل في تطلع دائم إلى الانطلاق، وإذا ما منعت منه غدت تتقلب كالطائر في الجو مثلما قال الطفيل الغنوي:

إذا خرجت يوما أعيدت كأنها عواكف طير في السماء تقلب(٧٠)

كأنها إذا خرجت من مرقدها لا تريد أن تعود إليه، لأن العودة معناها، بالنسبة إليها، الحبس عن الانطلاق، وعن المشاركة في الحروب. وفي هذا كله تعبير عن حاجة الإنسان الجاهلي إلى الانعتاق والتحرر من كل قيد.

واستحضر بعض الشعراء في وصفهم الخيل صوراً من الصقر وعائلته، فقرن بعضهم

---

(٦٨) شعراء النصرانية، ص ١٧٥.

(٦٩) ديوان عبيد بن الابرص، ص ٨٣.

(٧٠) ديوان الطفيل الغنوي، تحقيق محمد عبد القادر أحمد، دار الكتاب الجديد، بيروت، ١٩٦٨، ص ٤٤

الفرس بالأجدل(71)، أو بالحدأة(72)، أو بالنسر(73)، أو بالعقاب(74). ولكنهم كانوا، في مواضع متعددة، يركزون في صورهم هذه على أحوال وأوضاع خاصة. من ذلك تشبيههم انقضاض الفرس بانقضاض العقاب كقول السليك بن عمرو:

قطعت وتحتي النحام يهوي كما انقضت على الخزز العقاب(75)

قد تؤدي حركة انقضاض الفرس إلى نجاة صاحبه كمثل قول عامر بن الطفيل يصف هوي فرس عنترة في معركة كانت لقومه على عبس:

ونجا بعنترةَ الأغر من الردى يهوي على عجل هوي الأجدل
وتركت عبلة في السواء لفتيةٍ باتوا على كتف الخيول الجول(76)

ومثله قول زيد الخيل في خصمه:

ونجّاك يومَ الروع إذ حضر الوغى مسحٌ كفتخاء الجناحين كاسِرُ(77)

فالشاعران يقران بنجاة الخصم، ولكنهما ينسبانها إلى سرعة فرسه لا إلى قوة بأسه أو سعة حيلته في الحرب. في هذا القول مدح الفرس وفيه أيضا هجاء مقذع للند، ولكن

---

(71) شعراء النصرانية ص 87، قال عبد المدان يصف فرسه:

سبوح إذا جال الحزام كأنه إذا انساب عند النقع في الخيل أجدل

(72) ديوان عامر بن الطفيل ص 56. قال عامر:

والخيل تردي بالكماة كأنها حدأ تتابع في الطريق الأقصد

(73) ديوان الهذليين جـ1، ص 205. قال ساعدة:

وشرجب نحره دام وصفحته يصيح مثل صياح النسر متحسم

(74) قصائد جاهلية نادرة، ص 151. قال امرؤ القيس السكوني:

سموت لهم بالخيل تردى كأنها سعال وعقبان اللوى حين تركب

(75) شعر بني تميم في العصر الجاهلي، ص 68 والنحام اسم فرس السليك والخزز: ولد الأرنب، وقارن بقول زيد الخيل في ديوانه، ص 45.

(76) ديوان عامر بن الطفيل، ص 93 والأجدل: الصقر والجمع: أجادل

(77) ديوان زيد الخيل، ص 68، والفتخ: لين في الجناح واسترخاء، وتوصف به العقاب.

هناك اشعاراً أخرى مماثلة قيلت في معرض الفخر منها قول سحيم :

يفرج عنا كل ثغر نخافه مسح كسرحان العضيمة ضامر
وكل لجوج في العنان كأنها اذا انغمست في الماء فتخاء كاسر(٨٧)

وقول معفر بن حمار البارقي :

يفرج عنا كل ثغر مخافةً جواد كسرحان الإباءة ضامـــر
وكل طموح في الجراء كأنها اذا اغتمست في الماء فتخاء كاسر(٧٩)

يشترك النموذجان ، كما هو واضح في أكثر من مفردة وعبارة ، ويتفقان على قافية واحدة لكنهما، مع ذلك ، يختلفان في مفردات وعبارات أخرى تمنح كلاً منهما بعض خصوصيته . ولكن الفرس في الصورتين ظل يؤدي وظيفة التفريج عن صاحبه . إن هذا يعني أن الذي ارتكز في خيال الشاعر الجاهلي والإنسان الجاهلي هو أن صاحب الفرس كان بحاجة إلى الفرس ليفرج عنه ضيقه . وإذا ما قرنا إلى هذا الخيال ما كانت تؤديه الخيول في الواقع لأصحابها وقت حاجتهم إلى الخلاص في العصر الجاهلي وما تلاه ، فإننا نحكم أن « الخيل معقود بنواصيها الخير » أو الحياة . وحين نجد أن الفرس استثار في خيال الشاعر الجاهلي صورة العقاب بما تمثله من قوة ، فإننا نحكم على أن الإنسان الجاهلي كان بحاجة إلى القوة حتى ينقذ نفسه من المآزق الكثيرة التي كانت توشك أن تقوده إلى الهلاك . إذن كانت العقاب والفرس في هذه الصورة الشعرية تمثلان القوة التي تهب الحياة في المواقف الصعبة التي تحتاجها . لقد حافظ الشاعر على هذه الوظيفة للخيل في الهجاء والفخر ، على الرغم مما بين الغرضين من تناقض، والواقع أن الذي حدد الهجاء والفخر في الأمثلة السابقة هو السياق أو مسار الحدث فيه ، ذلك أن حاجة المفتخر والمهجو إلى الفرس القوية السريعة في المواقف الصعبة واحدة ، لكن توجيه هذه الحاجة في الشعر يتبع موقف الشاعر من الحدث أو صاحبه . وهكذا يمكن للحدث

(٧٨) ديوان سحيم ص ٣٩ .

(٧٩) قصائد جاهلية نادرة ص ١١٠ . وانظر ابياتا مماثلة للطفيل الغنوي في ديوانه ص ٢٥ وما بعدها .

الواحد أن يفسر تفسيرين أو أكثر حسب السياق أو السياقات التي يكون فيها. وهذا ما حدث للفرس في الأمثلة السابقة، فقد فُسر ركون العدو إلى سرعتها وقوتها في التخلص من مأزق الحرب على أنه جبن، بينما فسر ركون الشاعر (وهو الذي يمثل المفتخر هنا) إلى ذلك على أنه قدرة وحسن تدبير.

واما القطاة فاستُحْضِرَتْ منها صورةَ تجمُّعِها أسرابا في أثناء وصف الشعراء للخيل. من ذلك قول الأفوه الأودي:

وإذا عجاج الموت ثار وهلهلت فيه الجياد إلى الجياد تَسَرَّعُ
بالدارعين كأنها القطا الأسـ راب تمعج في العجاج وتمزع
كنـا فوارسَهـا إذا دعـا؟ داعي الصباح به، إليه تَفَزَّع[٨٠]

من الملاحظ أن الشاعر الجاهلي اهتم، وهو منشغل بوصف المعركة، بتصوير تجمع الخيل وتشبيهه بتجمع القطا اسرابا. والأفوه الأودي في الأبيات السابقة يجعل نفسه وقومه فرسان الخيل المسرعة للالتئام كأسراب القطا والمجاهدة العنيفة وسط حرب ذات عجاج يشي بضراوتها. إن هذا الالتئام أو التجمع كان - كما يبدو - علامة القوة المتحدة عندهم، لأن بعض الشعراء الآخرين غير الأفوه جعلوا تشتت خيل العدو عنوان انكساره وخذلانه. من أولئك دريد بن الصمة في قوله:

وخيلٍ كأسراب القطا قد وزعتها على هيكل نهر الجزارة مرمد[٨١]

وعبيد بن الأبرص في قوله:

وخيل كأسراب القطا قد وزعتها بخيفانة تنمي بساق وعرقوب[٨٢]

---

(٨٠) الطرائف الادبية ص ١٩، وهيكل: ضخم، كثير اللحم ونهد حسن الجسم مع ارتفاع.
(٨١) ديوان دريد بن الصمة ص ٥٥، الجزارة: الغلظ. ومرمد: من ارمدّ، اي مضى على وجهه.
(٨٢) ديوان عبيد بن الأبرص، ص ٣٨.

ومجمع بن هلال في قوله :

وخيل كأسراب القطا قد وزعتها لها سبل فيه المنية تلمع(٨٣)

فالابيات الثلاثة تختلف في الدلالة عن أبيات الأفوه، فهي تصف خيل الأعداء بعد أن قدر على تفريقها وتشتيتها . كانت مجتمعة كأسراب القطا حين داهمها الفارس وفرقها في كل ناحية وقضى على وحدتها بفرس جعله دريد ضخما، بينما جعله عبيد سريعا . أما مجمع، فلم يتحدث عن فرسه في البيت، وإنما اكتفى بأن ذكر تبديده الخيل وسلوكه بها سبل المنية .

لقد اصبحت مقارنة الخيل بسرب القطا تسير في اتجاهين متضادين: هما حالة التجمع، وهي عنوان القوة التي يذكرها الشاعر حين يذكر نفسه وقومه، وحالة التوزع والتشتت، وهي عنوان الضعف الذي يذكره الشاعر حين يُذَكّر بأعدائه .

وفي مجال آخر، قد يصف الشاعر الجاهلي الخيل بعد انتهاء المعركة بالضمور والتعب، فيحتاج حينئذ لأن يتذكر القطا وهي تتجه نحو المورد كما في قول عبيد بن الأبرص :

يوم غادرنا عديّاً بالقنا الـ ذُبَّلِ السُّمر صريعا في المجال
ثم عجناهن خُوصا كالقطا الـ قارب المنهل من أَيْنٍ الكلال(٨٤)

إنه ينبيء هنا عن معنى ردده بعض الجاهليين هو أن من دلالات الجرأة والاقدام في الحرب ان ينهك الفارس خيله، وأن تصبر الخيل على فارسها حتى ينجز مهمة النصر في الحروب . من هنا جاء قول عبيد في مكان آخر :

القائد الخيل تردى في أعنتها ورد القطا هجرت ظمأ الى الثمد(٨٥)

---

(٨٣) ديوان الحماسة، ج١، ص ٤١٨ . والسبل : المطر، والمراد تتابع الخيل .

(٨٤) ديوان عبيد بن الابرص، ص ١٢١، وخوصا : مضمرات . والاين : التعب وكذا الكلال .

(٨٥) المرجع السابق، ص ٥٧، وتردى : ترجم الأرض بحوافرها، والثمد : الماء القليل .

إن استحضار صورة القطا المنهك الوارد إلى الماء لمقارنة صورة الخيل العائدة من الحرب بها، ليوحي بموقف جاهلي غالب هو أن الحياة– والماء رمزها– تطلب بالجهد والمخاطرة أو الاقدام. فكما أن القطا المنهك يسترد حياته بوروده الماء، فإن الإنسان يحصل على الحياة بإقدامه وبإجهاده خيله فيها.

وأما في وصف الإبل فقد استحضر الشاعر الجاهلي أيضا صورا من الطير أهمها صورة القطاة والنسر يطاردها كما مر بنا. كان الهم الأول للشاعر من هذه المطاردة هو المقارنة بين سرعة الناقة، وسرعة القطاة، إذا كانت هذه القطاة ملزمة ببذل أقصى ما تستطيع من سرعة حتى تنقذ نفسها. ويبدو أن هذا الهدف كان وراء رسم الشاعر الجاهلي لنهاية المطاردة، فقد انتهت الحكايات الشعرية التي أعرفها بنجاة القطاة.

واستحضر الشاعر الجاهلي صورا أخرى تحدث علاقة بين القطا والإبل؛ منها إفزاع الإبل السائرة في الصحراء الأوامن من القطا هناك، مثلما قال لبيد:

وخرق قد قطعت بيعملات ممـلات المناسم واللحوم
إذا هجد القطا أفزعن منه أو أمن في معرسه الجثوم(٨٦)

فالإبل التي تحمله في الأرض الواسعة المخيفة (الحزق)، تخيف في حركتها أسراب القطا الآمنة التي لم تعتد مثلها.

ومن صور العلاقة بين القطا والإبل تشبيه الإبل المكدودة بأسراب القطا التي دفعها العطش إلى طلب الورد، كما في قول عبيد بن الأبرص:

وحنت قلوصي بَعْدَ وَهْنٍ وهاجها من الشوق يوما بالحجاز وميضُ
وكنَّ كأسراب القطا هاج وردَها من الصبح في يوم الحرور رميضُ(٨٧)

نلاحظ أن المكان يشكّل في هذا التشابه عنصرا معنويا كبيرا، فإذا كانت النوق تحن، وهي مجهدة، إلى أرض الحجاز، فإن القطا تشتاق، وهي مرهقة، إلى ماء

---

(٨٦) ديوان لبيد العامري، ص ١٠١.

(٨٧) ديوان عبيد بن الابرص، ص ٨٨–٨٩، والرميض: الاحتراق بشدة الحر. ولاحظ أيضا قول لبيد بن ربيعة في ديوانه ص ١٤٢. وقول أوس بن حجر في ديوانه تحقيق د. محمد يوسف نجم، دار صادر بيروت ١٩٦٧ ص ٦٩.

موردها . وبهذا تشكل الحجاز للناقة ، كما يشكل المورد للقطاة مَوطنا ينشد كل منهما الراحة أو الحياة فيه . لا يخفى أن هذا يشعر بقيمة الوطن للإنسان ، ومن هنا لا نمل من ترديد أن عالم الطير في الشعر الجاهلي هو ، في الحقيقة عالم الإنسان بما في هذا العالم من علاقات متصارعة أو متوائمة .

ومن الصور الأخرى المستثارة هنا ، وضع الطائر في موقع الاستفادة من الإبل. فالطير قد تتبع الظعائن ، وهي تظن أن ستورها لحم ودم ، كما في قول علقمة الفحل :

رد الإماءُ جمالَ الحي فاحتملوا   فكلُّهـــا بالتزيــدات معكـــوم
عقلاً ، ورقما تظل الطير تتبعه   كأنه من دم الأجواف مدموم[٨٨]

فالعقل والرقم يوحيان بكل برد منقوش تظل تتبعه ، وهو محمل على الجمال اعتقادا منها بأنه لحم ودم .

من المعروف ، في الحياة الجاهلية ، أن الناقة كانت أداة الرحلة القاسية ، وهي لذلك معرضة للهلاك تعبا أو جوعا ، ولما كان الطير هو المستفيد الأول من هلاكها استعاد الشاعر الجاهلي صوراً منه في هذا الحال ، فقال كعب بن زهير مثلا :

ولاحــب كحصير الراملات ترى   من المطي على حافاته جيفا
والمُرْذَيات عليها الطير تنقرها   إما لهيداً ، وإما زاحفاً نطفا[٨٩]

إن هذا يوحي بأن الشاعر الجاهلي اتخذ من طمع الطير في سنام العود البارك من الابل مجالا لتصوير ضعف الانسان وطمع الاخرين فيه . وعلى هذا تصبح الطير رمزا للمستفيدين من هذا السقوط لانه السبيل إلى معاشهم وحياتهم . وهذا معنى عام قال به كثير من الشعراء الجاهليين منهم كعب في مثاله السابق ، وذو الاصبع العدواني في قوله

٨٨) ديوان علقمة الفحل ، ص ٥١ والعقل والرقم : ضربان من البرود منقوشة . ومدموم : مطلي بالدم . وانظر أيضا قولا مماثلا للطفيل الغنوي في ديوانه ص ٧٤ .

٨٩) شرح ديوان كعب بن زهير ص ٧٣ والمرذيات : أرذاها السفر أي أهلكها : وهي التي قد لهدها الحمل . نطفا : إذ هجم الدبر على جوفه .

التالي الذي يصور ضعف بني تاج بعد تأبيهم على الاصلاح فيما بينهم، وطمع الناس فيهم.

فأضحوا كظهر العود جب سنامه تحوم عليه الطير أحدب باركا[٩٠]

القوة هي التي كان الانسان الجاهلي بحاجة لامتلاكها دائما، فامتلاكها يعني بالنسبة إليه امتلاك الحياة، لذلك كان دائم البحث عن السبل المؤدية إليها، وما النظام القبلي المتماسك الذي كان يوفر حماية كبرى للأفراد إلا واحد من هذه السبل. إن مجتمعاً يعيش معظم أفراده على الغزو والصيد وما يفرضه هذان الفعلان من تحفز للقاء المميت في كل آن، ليس له إلا أن يقدر القوة ويجعلها فوق كل القيم. والضعف، بالمقابل، يعني لذلك الإنسان الموت، فهو يجعل الباحثة عن مصادر عيشها تطمع فيه، وتحوم حوله كما تحوم الطير حول الرذايا أو عود الابل الاحدب البارك الذي قد جب سنامه فأصبح مكشوفا لها تفعل به ما تشاء.

مما يلاحظ في المقارنة بين هذه الصور المختارة للابل، وتلك المختارة للخيل أن الأولى قد تخلو من التمثل بالصقر، على عكس الثانية التي يكثر فيها مثل هذا التمثيل. وبناء على هذا فإن الدارس ليشعر أن هناك توزيعا للصور الشعرية بين الإبل والخيل.

فغالبا ما ترتبط الفرسُ بالصقر، والإبلُ بالقطاة. وقد يكون وراء هذا التوزيع مفهوم عام في العقلية الجاهلية هو أن الخيل والصقر قرينتا الحرب والقوة، أما الإبل والقطاة فقرينتا الرحلة والحنين.

وهناك ملاحظة اخرى هي أن صور الطير قد تكون أرحب في مجال وصف الخيل منها في مجال وصف الإبل، وذلك لأن الأولى اشتركت مع الثانية، كما رأينا، في بعض صور القطا إلى جانب اختصاصها بصور العقبان، أما الثانية فلم أعثر إلا على صورة واحدة تجمع بين النسر وبعض الإبل، وهي ما قاله طرفة في الأبيات التالية:

---

(٩٠) ديوان ذي الاصبع العدواني: تحقيق عبد الوهاب محمد العدواني، ومحمد نايف الدليمي، مطبعة الجمهورية، الموصل ١٩٧٣، ص٦٩-٧٠.

وانّي لأمضي الهم عنده احتضاره بعوجاء مرقال تروح وتغتدي
تريع إلى صوت المهيب وتتقي بذي خصل روعات اكلف ملبد
كأن جناحي مضرجي تكنفا حفافيه شكا في العسيب بمسرد

والواقع انني اعد صوت النسر وصفا للناقة على الظن لا على اليقين، فعوجاء ومرقال صفتان تغلبان على الابل(٩٢) لكن معاندا قد يذهب إلى جعل الصورة وصفا للحصان عادا صفتي عوجاء ومرقال صفتين له لا للناقة.

ومما يلاحظ ايضا أن الشاعر الجاهلي قد أمات الابل في الطريق وجعل الطير تنقرها، أو تحوم حول سنامها وهي باركة، لكنه لم يفعل الشيء نفسه لدى وصفه الخيل، فهو لم يمتها وإنما ظلت عنده حية رغم معاناتها ووصولها حدا كبيرا من الارهاق. وحين أراد أن يميت حيا تنتفع به الطيور في أثناء وصفه لها أمات فراخها كما قال زهير بن أبي سلمى:

القائد الخيل منكوبا دوابرها منها الشنون ومنها الزاهق الزهم
تنبذ أفلاءها في كل منزلة تنقر اعينها العقبان والرخم

قد يكون هذا آتيا من أن الشاعر كان — على الاغلب — يصف خيله أو خيل ممدوحه، ولما كان احياؤه اياها يعني احياءه نفسه، فقد حافظ عليها وابقاها منتصرة بعيدة عن الموت. وأما في الابل فقد جعل موتها في الرحلة دليلا على قسوة الطريق والاخطار. انه — كما نرى — حافظ في الحالين على معنى واحد هو ابراز نفسه أو ممدوحه قويا محققا لأهدافه على الرغم من كل الحواجز والأخطار.

---

(٩٢) العوجاء: الضامر من الابل وناقة مرقال: مسرعة. انظر القاموس المحيط مادتا «عوج» «و «رقل» والصفتان تصلحان للفرس ايضا.

(٩٣) شرح ديوان زهير بن أبي سلمى، ص ١٥٣ والشنون: بين السمين والمهزول، ويقال: هو المهزول. والزاهق: يقال: هو السمين، والزهم: اسمن من الزاهق. والدوابر: مآخير الحوافر.

الابل والخيل من الحيوان هي التي كانت تستدعي على الاغلب صورا متعددة ومتنوعة من الطير، اذ لم نعثر في وصف غيرها الا على صور متفرقة لا تشكل ظاهرة عامة في أي منها. لقد استحضرت صورا مفردة للطير وهي **«تحجل»** حول ابن البقرة القتيل عند زهير[٩٤]، والحمار الوحشي عند ابي الطحان.[٩٥] والارنب عند سلمة بن خرشب[٩٦]. ومن الحشرات جاء ذكر الذباب في صورة الطير، اذ شبه تغريده بتغريد الحمام عند المثقب العبدي[٩٧].

---

(٩٤) شرح ديوان زهير بن ابي سلمى ص ٢٧٧.

(٩٥) قصائد جاهلية نادرة، ص ٢١٤.

(٩٦) المفضليات، ص ٤٠.

(٩٧) نفسه، ص ٢٩١.

- خاتمـــة -

نستطيع القول – بعد هذه الجولة في عالم الطير : خصوصياته وعلاقاته الحيوانية – أن الشاعر الجاهلي كان يهتم وهو يلاحق صوره بابراز فعله أكثر من اهتمامه برصد صفاته وأشكاله. ثم انه كان، وهو يرسم حدود أفعال الطير، مشغولا بتوجيه هذه الأفعال نحو حاجات الانسان الجاهلي في بيئته، وأحواله. وعلى هذا اكتسبت صور الطير الشعرية صفات بشرية حتى ليشعر المحلل لهذا الشعر أن عالم الانسان وراء العالم الحيواني لشعر الطير في ذلك العصر. لقد كان الشاعر الجاهلي حريصا على هذا حتى في الشعر الذي يبرز خصوصية الطير، فاذا كانت قدرة الطير الخاصة قد مكنته من اتخاذ الجبال العالية أو الاماكن المرتفعة مقرا له مثلا، فإن اعجاب انسان ذلك العصر بقدرة الطير تلك جعل العلو والارتفاع محط نظره في كل عمل. اما القصص الفريدة التي أنشأت صراعا بين الصقر والقطاة، وانتهت بنجاة القطاة دائما ثم بموت الصقر احيانا، فتوحي ببعض الحقائق الفكرية المهمة التي كان الناس يدركونها منها :

أولا : أن الصراع حتمي من اجل البقاء، فالقطاة كالانسان تصارع من أجل أن تحتفظ بالحياة، وهي تؤكد في هذا الصراع حرصها على عدم الاستسلام وعلى المقاومة الذكية حتى تفلت من الموت على الرغم من أنها أدخلت حربا غير متكافئة.

ثانيـــا : ان الصقر يمثل في بعض حالاته البغي والظلم والاعتداء، خصوصا عندما كان يحاول اصطياد القطاة التي كانت تمثل عندهم الجانب الرقيق من حياتهم. ومن هنا كانت القصص تنتهي دائما بعدم تمكين البغي من الوصول الى أهدافه. وعلى هذا كان الصقر في الشعر الجاهلي يوحي بمعنيين مختلفين: أولهما الزعامة القوية التي تفرض الطاعة، وهي ضرورية للضبط داخل مجتمع متماسك، وثانيهما البطش الباغي وهو كريه، يجب أن يقاوم.

ثالثــا : أن لكل حي قوة، وعلينا الا نستهين بها، لقد استهان الصقر بقوة القطاة فجاءت النتيجة على غير ما أمل وتوقع.

رابعــا : أن الصراع الحقيقي ليس بين قوتين جسديتين، ولكنه بين قوتين داخليتين منها الثقة والثبات. فانتصار القطاة في الواقع هو انتصار الذكاء والثقة بما تخطط له من نجاة.

وأما في علاقة الطير بالحيوان وخاصة بالابل والخيل، فكان الشعر يوجه برغبة الانسان الجاهلي في امتلاك القوة للوصول إلى غايته في التفوق على أقرانه والنصر على أعدائه أو الوصول إلى ما كان يؤمل من رحلته القاسية.

ومجمل القول أن الانسان بحاجاته ودوافعه ومواقفه كان وراء تشكيل الجانب الحيواني من شعر الطير في العصر الجاهلي، ففي هذا الجانب الحيواني وقفنا على بعض أحوال الانسان السريع والنشيط والطموح والمتحدي والمكافح، كما وقفنا على بعض أحوال الانسان القاسي والانسان الرحيم، وكذلك القوي والضعيف والظالم والمظلوم، والمحارب والمسالم، والحي والميت، فحركات الطير وعلاقاته الحيوانية في الشعر الجاهلي ليست الا وسيلة للتعبير عن تجربة إنسان ذلك العصر في صراعه من أجل بقائه. من هنا ربط الشاعر الجاهلي في نماذج أخرى غير التي ذكرت في هذا البحث مصير الانسان بالطير. وكانت تلك النماذج محكومة باعتقادات تلقائية تتلاءم والعقلية الجاهلية الوثنية. وقد ولدت عندي هذه النماذج فكرة بحث آخر يتناول صلة المعتقد بالطير في شعر ذلك العصر.

المصـــادر والمراجـــع:

١ – الأصمعيات للأصمعي (–٢١٦ هـ) تحقيق أحمد محمد شاكر، وعبد السلام هارون، دار المعارف، القاهرة، الطبعة الخامسة.

٢ – الأغاني، لأبي الفرج الأصبهاني (–٣٥٦ هـ) دار الكتب، القاهرة، ١٩٣٦.

٣ – التمام في تفسير أشعار هذيل، لابن جني (– ٣٩٢ هـ)، تحقيق أحمد مطلوب ورفيقيه، مطبعة العاني، بغداد، ١٩٦٢.

٤ – الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي (– ٦٧١) دار الكاتب العربي، القاهرة ١٩٦٧.

٥ – حياة الحيوان الكبرى، للدميري (– ٨٠٨ هـ)، دار التحرير للطبع والنشر، القاهرة ١٩٦٥.

٦ – ديوان الأعشى الكبير، شرح وتعليق محمد. م. حسين، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٧٤.

٧ – ديوان امرىء القيس، تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم، دار المعارف بمصر، الطبعة الثالثة، ١٩٦٩.

٨ – ديوان أوس بن حجر، تحقيق د. محمد يوسف نجم، دار صادر، بيروت ١٩٦٧.

٩ – ديوان بشر بن أبي خازم الأسدي، تحقيق د. عزة حسن، وزارة الثقافة والارشاد القومي، دمشق، ١٩٧٢.

١٠– ديوان الحماسة لأبي تمام، صنعة المرزوقي (– ٤٢١ هـ)، تحقيق د. محمد عبد المنعم خفاجي، مكتبة محمد علي صبيح، القاهرة، ١٩٥٥.

١١– ديوان دريد بن الصمة الجشمي، جمع وتحقيق وشرح محمد خير البقاعي، قدم له د. شاكر الفحام، دار قتيبة، دمشق، دمشق، ١٩٨١.

١٢– ديوان ذي الاصبع العدواني، تحقيق عبد الوهاب محمد العدواني، ومحمد نايف الدليمي، مطبعة الجمهورية، الموصل، ١٩٧٣.

١٣– ديوان زيد الخيل، صنعة د. نوري حمودي القيسي، مطبعة النعمان، النجف الاشرف، د. ت

١٤- ديوان الشنفرى، صنعة عبد العزيز الميمني (ضمن كتاب الطرائف الأدبية، دار الكتب العلمية، بيروت، د. ت)
١٥- ديوان طرفة بن العبد، تحقيق فوزي عطوي، دار صعب، بيروت، ١٩٨٠.
١٦- ديوان الطفيل الغنوي، تحقيق محمد عبد القادر احمد، دار الكتاب الجديد، بيروت ١٩٦٨.
١٧- ديوان عامر بن الطفيل، دار صادر، ودار بيروت، بيروت ١٩٦٣.
١٨- ديوان عبيد بن الابرص، تحقيق كرم البستاني، دار صادر بيروت، د. ت.
١٩- ديوان عدي بن زيد العبادي، تحقيق محمد عبد الجبار المعبدي، شركة دار الجمهورية للنشر والطبع، بغداد، ١٩٦٥.
٢٠- ديوان علقمة الفحل بشرح الأعلم الشنتمري (- ١٨٧ هـ) تحقيق لطفي الصقال، ودرية الخطيب، دار الكاتب العربي، حلب، ١٩٦٩.
٢١- ديوان عنترة، تحقيق ودراسة محمد سعيد مولوي، المكتب الاسلامي، ١٩٧٠.
٢٢- ديوان قيس بن الخطيم، تحقيق د. ناصر الدين الأسد، مكتبة دار العروبة، القاهرة ١٩٦٢.
٢٣- ديوان النابغة الذبياني، جمع وتحقيق الشيخ الطاهر بن عاشور، الشركةالتونسية للتوزيع والشركة الوطنية للنشر، الجزائر، ١٩٧٦.
٢٤- ديوان الهذليين، نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب للسنوات ٤٥، ٤٨، ١٩٥٠، نشر الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٦٥.
٢٥- شرح ديوان زهير بن أبي سلمى، صنعة الامام أبي العباس- ثعلب (- ٢٩١ هـ)، نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب لسنة ١٩٤٤، نشر الهيئة العامة للكتاب، القاهرة ١٩٦٤.
٢٦- شرح ديوان كعب بن زهير، صنعة أبي سعيد السكري (- ٢٧٥ هـ)، نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب المصرية لسنة ١٩٥٠، نشر الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٦٥.
٢٧- شرح ديوان لبيد بن ربيعة العامري، تحقيق د. احسان عباس- الكويت، ١٩٦٢.

٢٨- شرح القصائد العشر للتبريزي (- ٥٠٢ هـ)، تحقيق د. فخر الدين قباوة، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ١٩٧٩ .
٢٩- شعر الأفوه الاودي، تحقيق عبد العزيز الميمني (ضمن كتاب الطرائف الأدبية دار الكتب العلمية، بيروت، د. ت).
٣٠- القاموس المحيط للفيروزبادي (- ٨١٧ هـ) المكتبة التجارية الكبرى، القاهرة ١٩٣٠ .
٣١- قصائد جاهلية نادرة، تحقيق د. يحيى الجبوري، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٢ .
٣٢- كتاب الأصنام لابن الكلبي (- ٢٠٤ هـ) تحقيق أحمد زكي، نسخة مصورة عن طبعة، دار الكتب لسنة ١٩٢٤، نشر الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٦٥ .
٣٣- كتاب شعراء النصرانية قبل الاسلام، للويس شيخو، المطبعة الكاثوليكية بيروت، ١٩٦٧ .
٣٤- معجم الأمثال، للدكتور عفيف عبد الرحمن، دار العلوم، الرياض ١٩٨٥ .
٣٥- المفضليات، تحقيق أحمد شاكر، وعبد السلام هارون، دار المعارف بمصر الطبعة الرابعة .

الإتباع في اللغة

للدكتور علي حسين البواب
كلية اللغة العربية – الرياض

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ربّ العالمين، والصلاة والسلام على سيّد الأنبياء والمرسلين، وبعد،

فللعربية كثير من الخصائص اللغوية، وللعرب أساليب لتقوية الكلام وتوكيده وتزيينه، وعبارات تدّل على الفصاحة، وتنمّ عن البلاغة والبراعة، من ذلك ما عرف بـ (الإتباع)، وهو من سنن العرب في كلامهم، وممّا أُثر عنهم، وفي هذا البحث حديث عن هذه الظاهرة اللغوية:

الإتباع لغة واصطلاحا:

تدل مادة «تبع» في اللغة على التُلُوّ والقَفْو، يقال: تبع فلان فلانا، يتبَعه، تَبَعا، وتَباعة، وتُبوعا، وتَباعا: مشى خلفه وسار في إثره، وتلاه. ويقال: تابعه، وتتبّعه، واتّبعه. والتابع والتبيع: التالي للشيء، الموالي له(١).

(١) ينظر الصحاح، والمقاييس، واللسان، والمفردات – تبع.

وورد هذا الأصل ومشتقّاته في القرآن الكريم في مواضع كثيرة: قال الله تعالى: ((فمن تَبِع هُداي))[٢] وقال عزّ وجل: ((يا قوم اتَّبِعوا المُرسلين))[٣]، وقال: ((وما أنت بتابعٍ قبلَتهم))[٤]، وقال: ((إنّا كنّا لكم تَبَعاً))[٥] وقال: ((ثُمَّ لا تَجِدوا لكم علينا تَبيعاً))[٦].

فالإتباع في اللغة: مصدر أتبع الشيء الشيءَ: ألحقه به وجعله تاليا له. أما في الاصطلاح فأوضح تعريف له ما ذكره أحمد بن فارس: «وهو أن تُتْبَعَ الكلمةُ الكلمة على وزنها أو رويّها إشباعا وتوكيدا»[٧]. ومن ذلك: حَسَن بَسَن، وقَسيم وسيم، وشيطان ليطان.

أما الغرض من استعماله فيتّضح فيما رواه ابن الأعرابي، أنّه سأل العرب عن الإتباع فقالوا: «هو شيء نَتِد به كلامنا»[٨] «أي: نشدّه ونقوّيه به».

وقال الآمدي: «التابع لا يفيد معنى أصلا، ولهذا قال ابن دريد:[٩] سألت أبا حاتم عن معنى «بَسَن»[١٠] فقال: لا أدري ما هو. قال السبكي: والتحقيق أن التابع يفيد التقوية؛ فإنّ العرب لا تضعه سدى، وجهل أبي حاتم بمعناه لا يضرّ، بل مقتضى قوله إنه لا يدري– معناه أنّ له معنى وهو لا يعرفه».[١١]

---

(٢) سورة البقرة: ٣٨.

(٣) سورة يس: ٢٠.

(٤) سورة البقرة: ١٤٥

(٥) سورة إبراهيم: ٢١.

(٦) سورة الأسراء: ٦٩.

(٧) الصاحبي: ٤٥٨.

(٨) ينظر الأمالي لثعلب: ١/ ٨، والصاحبي ٤٥٨.

(٩) الجمهرة: ٣/ ٤٢٩.

(١٠) من قولهم «حسن بسن».

(١١) المزهر: ١/ ٤١٥، ٤١٦، وينظر المحصول للرازي ١/ ٣٤٨، وشرح الكوكب المنير لابن النجار ١/ ١٤٣.

وقال الرضي الأستراباذي عن الاتباع: «وهو على ثلاثة أضرب: فإنّه إمّا أن يكون للثاني معنى ظاهر، نحو: هنيئا مريئا، وهو سرير، أو لا يكون له معنى أصلا؛ بل ضُمّ إلى الأول لتزيين الكلام لفظا، وتقويته معنى، وإن لم يكن له في حال الإفراد معنى، نحو: حَسَن بَسَن قَسَن، أو يكون له معنى متكلّف غير ظاهر، نحو: خبيث نبيث، من نبثت الشيء: أي استخرجته» .(١٢)

بحث العلماء للإتباع وآراؤهم فيه:

كان لعلماء العربية جهود في دراسة الإتباع – من منطلق عنايتهم بالعربية، وحرصهم على بحث قضاياها وظواهرها، وقد تباينت مواقفهم من الموضوع، واختلفت نظراتهم وآراؤهم فيه، ونذكر هنا أن ألفاظ الإتباع رويت ونقلت عن أئمة العربية وعلمائها، منهم اليزيدي، واللحياني، والأحمر، وأبو مالك عمرو بن كِرْكِرة، وأبو زيد، ويونس، والأصمعي، والخليل، وابن الأعرابي، وأبو عمرو الشيباني، والكسائي، والفراء، وقطرب، وأبو عبيد، وأبو عبيدة، وغيرهم. كما نذكر أن أوائل المؤلفين في العربية عرضوا للإتباع، فمنهم من اقتصر على إيراد ألفاظه أو أشار إليه دون تقعيد أو تحديد، ومنهم من خصّه بمباحث وأبواب، وقليل منهم من أفرد له كتبا.

ونتحدث فيما يلي عن جهود علماء العربية على اختلاف اتجاهاتهم ونظرتهم للإتباع، نتبيّن دورهم في بحثه وآراءهم فيه:

ففي كتاب «العين» للخليل بن أحمد – وهو من أقدم المؤلفات اللغوية – تتناثر ألفاظ الإتباع، يعلّق الخليل على بعضها مشيراً إلى شيء من ملامح الباب، وينقل بعضها دون تعليق: قال: «والنُّوع: الجوع، ويقال: العطش، وبالعطش أشبه لقول العرب: عليه

---

(١٢) شرح الكافية: ١/ ٣٣٣.

الجوع والنوع، وجائع نائع، ولو كان الجوع نوعا لم يحسن تكريره. وقال آخر: إذا اختلف اللفظان كرروا والمعنى واحد». (١٣)

وقال: «وتقول: حيّاك الله وبيّاك، أي: أفرحك وأضحكك، ويقال: بيّاك تقوية لحيّاك». (١٤) ونقل: «ورجل حَوّاس عوّاس: طلّاب بالليل». (١٥)

وفي «الكتاب» إشارات إلى بعض مسائل الاتباع، قال سيبويه: «وهذا حرف لا يُتكلّم به مفردا إلا أن يكون على «ويلك، وهو قولك: ويلك وعولك، ولا يجوز: عولك». (١٦)

وقال: «ولا تقول: عَوْلَةٌ لك إلّا أن يكون قبلها: ويلة لك، ولا تقول: عول لك حتى تقول: ويل لك؛ لأنّ ذا يتبع ذا، كما أنّ ينوؤك يتبع يسوؤك، ولا يكون يسوؤك مبتدأ». (١٧)

ونلمح من كلام سيبويه الإشارة إلى الإتباع، وأنّه لا يفرد، بل يكون ملحقا بما قبله متّصلا به.

ونخطو خطوات لنصل إلى أبي عبيد القاسم بن سلام الهروي المتوفّى سنة ٢٢٣هـ، وهو من أئمة العربية، فنجده يقدم مباحث جيدة في موضوعنا هذا.

ففي معجمه القيّم «الغريب المصنّف» يعقد أبو عبيد باباً للإتباع، ينقل فيه أمثلة إتباعية عن أبي زيد، والكسائي، والفراء وغيرهم، منها: «أحمق فاكّ تاكّ، وضالّ بالّ، وما له عافطة ولا نافطة، يقول: العافطة: العنز تعفط، تضرط، والنافطة إتباع...... (١٨)

(١٣) العين: ٢ / ٢٥٧.

(١٤) المصدر السابق: ٣ / ٣١٨.

(١٥) المصدر نفسه: ٣/ ٢٧٠.

(١٦) الكتاب: ١/ ١٦٠.

(١٧) المصدر السابق: ١ / ١٦٧.

(١٨) الغريب المصنف من أقدم وأحسن معجمات المعاني، ولا يزال مخطوطا على كثرة نسخه، وقد رجعت إلى نسخة مصورة في مكتبة جامعة الامام– ف ٣٢٤، وهي غير مرقّمة الصفحات، والباب باختصار في المزهر ١ / ٤١٩.

وفي كتابه «غريب الحديث» يتعرض للموضوع، ونراه وهو ينقل الحديث عن «الشُبْرُم»[١٩]: (إنه حارّ جارّ) يقول: «وبعض الناس يروونه (حارّ يارّ) وهو أكثر» ثم قال: «وقال الكسائي وغيره: الحارّ من الحرارة، ويارّ إتباع، كقولهم: عطشان نطشان، وجائع نائع، وحسن بسن، ومثله كثير في الكلام، وإنما سمّي إتباعا لأن الكلمة الثانية إنما هي تابعة للأولى على وجه التوكيد لها، وليس يتكلّم بها منفردة، فلهذا قيل: إتباع».[٢٠]

وقال: «وقال بعض الناس في (بيّاك)[٢١] إنما هو إتباع، وهو عندي على ما جاء تفسيره في الحديث أنه ليس بإتباع، ذلك أنّ الاتباع لا يكاد يكون بالواو، وهذا بالواو».[٢٢]

وفي موضع آخر من الكتاب – في حديث العباس وابنه عبد الله – رحمهما الله – في زمزم: (لا أُحلّها لمغتسل، وهي لشارب حِلّ وبِلّ) قال: «فأمّا قولهم (بِلّ) فإن الأصمعي قال: كنت أقول في (بَل) إنه إتباع، كقولهم: عطشان نطشان، وجائع نائع، حتى أخبرني معتمر بن سليمان[٢٣] أنّ (بِلا) في لغة حمير: مباح. قال أبو عبيد: وهو عندي على ما قال معتمر؛ لأنّا قلّ ما وجدنا الإتباع يكون بواو العطف، وإنما الإتباع بغير واو، كقولهم: جائع نائع، وعطشان نطشان، وحسن بسن، وأشباه ذلك إنما يتكلّم به من غير واو، فإذا جاءت واو العطف فهي من كلمة أخرى».

قال: «وقد كان بعض النحويين يقول في حديث آدم عليه السلام، إنّه لما قتل أحد ابنيه أخاه، فمكث مائة سنة لا يضحك، ثم قيل له: (حيّاك الله وبيّاك) قال: وما بيّاك؟ قال: أضحكك، يبيّن لك أنه ليس بإتباع، إنما هي كلمة أخرى. قال: ويقال: إنّ بلاً شفاء، كما يقال: قد بلّ الرجل من مرضه واستبلّ، إذا برأ».[٢٤]

(١٩) وهو حَبّ كالعدس – القاموس – شبرم.

(٢٠) غريب الحديث: ٢/ ٢٧٨.

(٢١) أي في (حيّاك الله وبيّاك).

(٢٢) غريب الحديث: ٢/ ٢٨٠.

(٢٣) توفي سنة ١٨٧هـ، كان محدّث عصره، من كبار العلماء وثقاتهم، ينظر سير أعلام النبلاء: ٨/ ٤٢٠.

(٢٤) غريب الحديث: ٤/ ٢٦ – ٢٩.

ويلحظ هنا عناية أبي عبيد ومن نقل عنهم بالموضوع، وأن الإتباع مقيّد بكون الكلمة الثانية لا يتكلّم بها مفردة، وأن لا يكون بين الكلمتين واو عطف، فإن كان للثانية معنى وتفرد في الكلام، أو كان بينهما الواو فليس بإتباع.

وإذا انتقلنا إلى القرن الرابع الهجري- عصر الازدهار اللغوي - وجدنا المبحث ينال من الدراسة نصيبا، ويلتفت إليه علماء العصر والمؤلفون.

فأبو إسحق الزجاج المتوفّى سنة ٣١١هـ- له رأي في الإتباع نقله عنه ابن سيده، يتلخّص في أنّ اللفظة لا تعدّ إتباعا إلّا إذا كانت مما لا يفرد في الكلام ولا يفصل، وهذا لا يختلف عمّا نقلنا آنفا عن علماء العربية:

قال أبو إسحق في (قسيم وسيم): «ليس و سيم» إتباعا لـ «قسيم» كما أن قولهم (مليح صبيح) ليس صبيح إتباعا لمليح، وانما يكون اللفظ مقضيًا عليه بالإتباع إذا لم يكن يفصل، كقولهم: (عطشان نطشان) فنطشان لا يفصل من عطشان، ولذلك قيل في نحو هذا إتباع، لأنه لا معنى له إذا جيء به وحده، فأما وسيم فقد جاء دون قسيم»(٢٥)

وقال في (مضيع مسيع، وضائع سائع): «ليس مسيع إتباعا لمضيع، ولا سائغ إتباعاً لضائع، فإنهم يقولون: ضاعت الناقة وساعت، وناقة مضياع ومسياع، وقد ساعت تسوع، وإنما غرّ من قال إنّه إتباع قولهم: مسياع، وأصله من الواو، فتوهّموا أنهم قلبوها ياءً إتباعا لمضياع، كيف وهم. يقولون: مسياع مضياع، فيقدمون مسياعا على مضياع».(٢٦)

فالإتباع عنده ما كان لتقوية المعنى ولا يفصل عن متبوعه، وهو أحد الأقوال في الباب.

وذلا أبو بكر بن دريد الأزدي- توفّي سنة ٣٢١هـ- بدلوه مع الباحثين في

(٢٥) المخصص: ١٤/ ٣٠.

(٢٦) المصادر السابق: ١٤/ ٣١.

(٢٧) الجمهرة: ٣/٤٢٩-٤٣١.

أمثلة إتباعية، وقال بعد نقل عدد منها: «فهذه الحروف إتباع لا تفرد» ثم قال: «وتجيء أشياء يمكن أن تفرد». فهو لا يشترط أن تكون الألفاظ الإتباعية مما يجب عدم إفراده، وإن كان ذلك هو الأكثر عنده وفيما أورد من الأمثلة. كما أن في ثنايا الجمهرة أمثلة للإتباع.(٢٨)

وفي آخر مخطوطة «الإتباع والمزاوجة «لابن فارس نقل ناسخها عن ابن دريد»:(٢٩) أن من كلامهم الإتباع والمزاوجة والقلب والإبدال: فالإتباع يكون بلا واسطة ولا حرف، كقولهم: (حسن بسن) ونحوه، والمزاوجة بالحرف كقولهم: (هان ولان)، وهذا الرأي موافق لما نقلنا قريبا عن أبي عبيد من اشتراطه أن يكون الإتباع بغير الواو.

وفي «الأمالي» لأبي علي القالي المتوفى سنة ٣٥٦هـ - باب واسع للإتباع، أورد فيه أمثلة كثيرة من ألفاظه، وقام بتفسيرها وشرحها:(٣٠)

بدأ أبو علي الباب بقوله: «الإتباع على ضربين: فضرب يكون فيه الثاني بمعنى الأول، فيؤتى به تأكيدا، لأن لفظه مخالف للفظ الأول. وضرب فيه معنى الثاني غير معنى الأول».(٣١)

قال: «فمن الإتباع قولهم: أسوان أتوان في الحزن، وأسوان من قولهم: أسِيَ الرجلَ يأسَى، أسىً: إذا حزن، ورجل أسيان وأسوان: أي حزين. وأتوان: من قولهم: أتوْته، أتوه: بمعنى أتيْته آتيه، وهي لغة لهذيل... فمعنى قولهم: أسوان أتوان: حزين متردّد، يذهب ويجيء من شدّة الحزن».(٣٢) «ويقولون: عطشان نطشان، فنطشان: مأخوذ من قولهم: ما به نَطيش: أي ما به حركة، فمعناه: عطشان قلق».(٣٣)

---

(٢٨) ينظر الجمهر: ١/٢٩٢، ٣٠١، ٣/٢٠٨.

(٢٩) في تشتربتي- رقم ٤٦٢٤، كتبت سنة ٦٢٧هـ.

(٣٠) الأمالي ٢/ ٢١١ - ٢٢٢. وقد نقل ابن سيده في المخصص ١٤/ ٢٨ - ٣٧ الباب عن القالي، ولم يشر إلى مصدره، وأضاف رأي الزجاج الذي نقلناه قريبا، كما نقل - ص ٣٨ عن الجمهرة.

وقال: «ويقولون: شيطان ليطان، فليطان مأخوذ من قولهم: لاط حبُّه بقلبي، يلوط ويليط: أي لصق... فمعنى شيطان ليطان: شيطان لصوق...»[٣٤].

فهذه أمثلة مما فسّر فيه القالي الثاني بمعنى مغاير للأول، وهو إتباع- وإن كان له معنى. وممّا فسر فيه أبو علي الثاني بمعنى الأول:

«ويقولون: كثير بثير، فالبثير هو الكثير، مأخوذ من قولهم: ماء بَثْر: أي كثير، فقالوا: بثير لموضع كثير».[٣٥]

وقال: «ويقولون: ضئيل بئيل، فالبئيل هو الضئيل. قال أبو زيد: بَؤُل الرجل بآلة: إذا ضؤل».[٣٦] ومنه: «ويقولون: عَكّ وأَكّ، فالعَكّ والعَكّة والعَكيك: شدّة الحرّ. والأكّ والأكّة: الحرّ المحتدم. يقال: يوم ذو أكّ...»[٣٧]

وقال: «ويقال: إنّه لمُعْفِت مُلْفِت، فالمعفت الذي يُعفت الشيء: أي يدقّه ويكسره، ويقال: عفت عظمه: إذا كسره، والملفت مثله في المعنى...»[٣٨]

فالمبحث قيّم عند القالي، لم يقتصر فيه المؤلّف على عرض الأمثلة - ككثير من العلماء، بل تجاوز ذلك إلى تفسير الألفاظ، وهو يبيّن إن كان الثاني بمعنى الأول أو مخالفاً له، والأول سمّاه العلماء توكيدا، وهو موافق لهم في ذلك، إلا أنّ التأكيد عنده من الإتباع.

---

(٣١) الأمالي: ٢/ ٢١١.
(٣٢) المصدر السابق: ٢/ ٢١١.
(٣٣) المصدر نفسه: ٢/ ٢١٢.
(٣٤) المصدر والصفحة السابقة.
(٣٥) المصدر السابق: ٢/ ٢١٤.
(٣٦) المصدر والصفحة نفسها.
(٣٧) المصدر نفسه: ٢/ ٢١٩.
(٣٨) المصدر نفسه: ٢/ ٢٢٢.
(٣٩) حقّق المرحوم عزّ الدين التنوخي الكتاب عن نسخة فريدة تنقص جزءا من المقدمة، وقدّم له بمقدمة نافعة، وشرح ألفاظه، وعلّق عليه تعليقات قيمة، وجمع في آخره عدداً من ألفاظ الإتباع.

وكان أبو الطيب اللغوي – عبد الواحد بن علي الحلبي – توفي سنة ٣٥١هـ – ثاني عالمين ألفا في الإتباع[٣٩] فيما وصلنا – وخصّاه بكتابين مستقلين:[٤٠]

حدّ أبو الطيب الإتباع: بما لا يصحّ أن يفرد وحده. فإذا كان للفظ معنى لكنّه لا يُفرد، أو لم يكن له معنى فهو الإتباع، أما إذا كان له معنى بحيث يمكن إفراده فلا يرد عنده في الإتباع، وهو إلى جانب ذلك لا يعتدّ بالواو، فسواء أكانت الكلمة بالواو أم بغيرها – فهي إتباع إن توافر فيها ما سبق، قال في الجزء الموجود من المقدمة: «يقولون: هذا جائع نائع، فهو عندهم إتباع، ثم يقولون في الدعاء على الإنسان: جوعا له ونوعا: فيدخلون الواو، وهو مع ذلك إتباع، إذ كان مُحالاً أن تكون الكلمة مرة إتباعا، ومرة غير إتباع، فقد وضح أن الاعتبار ليس بالواو».[٤١]

رتّب أبو الطيب الكتاب على حروف المعجم، مراعياأصول حروف الإتباع، فـ: بسلاً أسلا– في الهمزة، و: لحمه خظا بظا – في الباء، وإنه لسَهْد مهد – في الميم... وهو يقسّم ألفاظ كلّ حرف قسمين: باب الإتباع من الحرف، وباب التوكيد منه، فهو يفصل بين الإتباع والتوكيد فصلا واضحا ويجعل لكلّ سماتِه كما سنرى:

فمن الإتباع: «تقول العرب في صفة الشيء بالشدة: إنه لشديد أديد، وهو من الأدّ، والأدُّ: القوة، إلّا أنّ الأديد لا يفرد».[٤٢]

«ويقال: شحيح أنيح، من قولهم: أنَح بحمله، يأنح، أنوحا: إذا تزحّر[٤٣] به من ثقله، ولا يفرد الأنيح[٤٤]». ومنه: «ويقال: مكان عمير بجير، فالعمير من العمارة، فعيل بمعنى مفعول، وبجير إتباع».[٤٥]

---

(٤٠) والكتاب الثاني لابن فارس – سيأتي – وقد ذكر ابن النديم في الفهرست ٦٤ أن لأبي حاتم كتابا في الإتباع.

(٤١) الاتباع: ٣.

(٤٢) المصدر السابق: ٤.

(٤٣) تزحّر كزحر: أصدر أنينا.

(٤٤) الاتباع: ٧.

(٤٥) المصدر السابق: ٢٠.

ومنه: «تقول العرب: لا بارك الله فيه ولا تارك، ولا يقولونه إلّا هكذا، فهو وإن كان مأخوذا من الترك فلا معنى له في هذا الموضع إلا الإتباع»: .[٤٦]

وأورد في الكتاب: «ويقال: قضى الله كلّ حاجة وداجة بالتخفيف، وقد أقبل الحاجّ والداجّ بالتشديد، وزعموا أنّ الداجّ الذين يدجّون خلف الحاج، أي يدبّون بالتجارات وغيرها، ولا يفرد الداجّ».[٤٧] وفي الكتاب: «وقال أبو عمرو: يقال: رجل طَبٌّ لَبٌّ، وهو العالم، واللبّ من قولك: رجل لبيب، واللبيب: العاقل، إلا أنه لا يقال رجل لبّ مفردا، فلذلك جعلناه من الإتباع».[٤٨]

ومما ذكره في الإتباع: «يقال: هو قبيح شقيح، بيّن القباحة والشقاحة، وقد قبح وشقح، وهو من قولهم: شقّح البسر، يشقح، تشقيحا: إذا تغيرت خضرته ليحمر أو ليصفرّ، وهو أقبح ما يكون حينئذ، ولا يستعمل شقيح إلا في هذا الموضع، فلهذا ذكرناه في الإتباع... وأما قولهم: اذهب مقبوحا مشقوحا فمعناه: مكسورا، ويقال: قبحته، أقبحه، قبحا: أي كسرته، وكذلك: شقحته، أشقحه، شقحا، وهذا من التوكيد لا من الإتباع».[٤٩]

وإذا انتقلنا إلى القسم الثاني عنده– وهو التأكيد– وجدناه يورد فيه: «يقال: فرّ وله كَصيص وأصيص وبَصيص من الفزع، وكلّه بمعنى الصوت الضعيف».[٥٠]
وفيه: «وقال الفراء: يقال: رجل صيّاح تيّاح، قال: والتياح والصياح واحد».[٥١]

وفي توضيح الفرق بين الإتباع والتوكيد نذكر قوله: «ويقال في الدعاء على الرجل: جُوعا له وجُودا وجُوسا، فالجود هو الجوع بعينه، وقولهم: جوسا إتباع، هذا قول، وقد قيل: الجوس: الجوع أيضا، فإن كان هذا ثبتا فهو من التوكيد لا من الإتباع».[٥٢]

---

(٤٦) المصدر نفسه: ٢٨.

(٤٧) المصدر نفسه: ٤١.

(٤٨) المصدر نفسه: ٧٧.

(٤٩) المصدر نفسه: ٥٥ – ٥٧.

(٥٠) المصدر نفسه: ٢١.

(٥١) المصدر نفسه: ٣٣.

(٥٢) المصدر نفسه: ٣٥.

ومن التوكيد الذي أوله راء: «ويقال: ضبٌّ سِبَحْل رِبَحْل، وكلاهما الطويل الضخم، وكذلك فحل سِبَحْل رِبَحْل».(٥٣)

وذكر في التوكيد: «إنه لطبيب لبيب».(٥٤)

وهكذا فمناط التفرقة بين الإتباع والتوكيد مبني على إمكان إفراد الثاني أو عدمه، فالإتباع ما لا يفرد، فإن صحّ إفراده كان توكيدا، ولا اعتداد بغير هذا القيد عند أبي الطيب.

أما العالم الثاني الذي ألّف كتابا في الإتباع فهو أبو الحسين أحمد بن فارس – توفي سنة ٣٩٥هـ قد سمّى كتابه الإتباع والمزاوجة»(٥٥). وقبل الحديث عن الكتاب نشير إلى بعض الملحوظات عليه: فالمؤلف لم يعرّف الإتباع أو المزاوجة، ولم يذكر الفرق بينهما، وكان يورد العبارات مختلطة كما سنرى، وابن فارس هو الذي نقلنا عنه في أول البحث تعريفه للإتباع من كتابه الصاحبي.

وقد رتب ابن فارس الكتاب على حروف المعجم، من باب الباء إلى حروف العلة، ولكنه راعى آخر الحرف من لفظ الإتباع لا أوله كما عند أبي الطيب، فتركت فلاناً سادحا رادحا – في الحاء، وسدمان ندمان في الميم....

بدأ ابن فارس الكتاب بقوله: «هذا كتاب الإتباع والمزاوجة، وكلاهما على وجهين: أحدهما أن تكون كلمتان متواليتان على رويّ واحد، والوجه الآخر أن يختلف الرويّان ثم تكون بعد ذلك وجهين: أحدهما: أن تكون الكلمة الثانية ذات معنى معروف إلا أنها كالإتباع لما قبلها، والآخر أن تكون الثانية غير واضحة المعنى ولا بنية الاشتقاق».(٥٦)

وممّا نصّ على أنه إتباع: «يقال: ثَعْد معد: إذا كان غضّاً، مَعْد إتباع».(٥٧)

---

(٥٣) المصدر نفسه: ٤٩.

(٥٤) المصدر نفسه: ٨٢.

(٥٥) اعتمدت هنا على الطبعة التي صدرت سنة ١٩٤٧م بعناية كمال مصطفى.

(٥٦) الاتباع والمزاوجة: ٢٨.

(٥٧) المصدر السابق: ٤٠.

وقال: «ويقولون: تاعس واعس، من التعس، وقد يقال: ناعس واعس، من النعاس، والواعس إتباع». [58] ومنه: «ويقال: هو عَييّ شَيِيّ، وما أعياه وأشياه، وكان من عيّ وشي، فالعي معروف والشيّ إتباع»[59].

ومما ذكره ابن فارس: «ويقال: خَراب يَباب، وقد يفرد اليَباب، قال عمر بن أبي ربيعة:

كَسَتِ الرياحُ جديدَها من تُربها دُقَقاً، وأصبحت العِراصُ يَبابا

فهذا إتباع إلا أنه أفرده»[60]

ومما أشار فيه ابن فارس إلى «التوكيد» ما نقله عن الأصمعي: «لا آتيك سجيس عجيس، أي الدهر، وسجيسه: آخره، ومنه قيل للماء الكدر: سجيس، لأنه آخر ما يبقى، والعجيس تأكيد، وهو في معنى الآخر.»[61]

ويتضح أنه يغلب على الإتباع عنده ما لا يفرد التابع، أو ما يكون له معنى مختلف عن المتبوع، أما إن وافقه فهو توكيد.

ونقل ابن فارس في الكتاب أمثلة للمزاوجة وأمثالاً للعرب، وغير ذلك:

قال: «ومن المزاوج» ما له هارب ولا قارب»، أي ما له صادر عن الماء ولا وارد، ومنه قولهم عند المبالغة: «لا شوب ولا روب، ولا شيب ولا عيب».[62]

«ومن المزاوج قولهم: «نعوذ بالله من التَّرح بعد الفرح «الترح: التنغيص.»[63]

«ومن المزاوجة قولهم فيمن ينفع مرة ويضر مرة: «هو جيش مرة وعيش مرة.»[64]

---

(٦٠) المصدر نفسه: ٢٩.
(٦١) المصدر نفسه: ٤٩.
(٦٢) المصدر نفسه: ٣١
(٦٣) المصدر نفسه: ٣٦.
(٦٤) المصدر نفسه: ٥١.
(٥٨) المصدر نفسه: ٤٩.
(٥٩) المصدر نفسه: ٦٩.

«ويقولون في أسجاعهم: «من شاخ باخ»(٦٥)

«ومن الأسجاع– وليس من الباب– ما عنده خير ولا مير.»(٦٦)

وهكذا يمتلىء كتاب ابن فارس بالعبارات التي ينص أحيانا على كونها إتباعا أو مزاوجة، ويسكت في أكثر الأحيان.

وقد ذكر السيوطي في المزهر الكتاب وقال: «وفاته أكثر ممّا ذكره، وقد اختصرت تأليفه وزدت عليه ما فاته في تأليف لطيف سمّيته «الإلماع في الإتباع».(٦٧) ولا نعرف شيئا عن كتاب «الإلماع»، رغم عناية الباحثين كثيرا بمؤلفات السيوطي ومحاولات حصرها. وقد أورد السيوطي في المزهر ألفاظا من الإلماع، يبدو منها أنه جرد الكتاب مما ليس إتباعا، كالمزاوجة، والأمثال والأسجاع وغيرها، واقتصر على ما شاع بين العلماء أنه إتباع.(٦٨)

ولا نجد بعد القرن الرابع عملا مميزا في بحث الموضوع، ولم يزد المتأخرون شيئاً ذا بال إلى الموضوع، وأحسن ما يذكر في هذا المجال ما قدّمه السيوطي في المزهر، فقد جعل النوع الثامن والعشرين من أنواع اللغة للإتباع(٧٠)، نقل فيه كدأبه في الكتاب– آراء العلماء في الموضوع، وأمثلة إتباعية عن عدد من المراجع، إضافة إلى تأليفه «الإلماع» كما مرّ.

---

(٦٥) المصدر نفسه: ٣٨.

(٦٦) المصدر نفسه: ٤٣.

(٦٧) المزهر: ١/ ٤١٤.

(٦٨) ما ذكرنا يمثل جهود أشهر علماء العربية في بحث الموضوع، ومن كان لهم دور بارز في درسه، وقد نقل كثرة من العلماء في تلك الفترة الفاظا اتباعية، من ذلك ما نجده في: التقفية للبندنيجي، والزاهر لابن الانباري، وديوان الادب للفارابي، وتهذيب اللغة للازهري والصحاح، المقاييس، وغيرها. اما بعد القرن الرابع فنجد الثعالبي ينقل عبارات الصاحبي، وابن سيدة كما سبق– نقل كلام القالي وابن دريد، ثم نلحظ بعد ذلك تناثر العبارات الاتباعية في كتب الامثال كمجمع الامثال، والمستقصى، ومعجمات العربية كاللسان والتاج.

(٧٠) المزهر ١/ ٤١٤–٤٢٥.

الخلاصة ومعالم الإتباع:

رأينا فيما سبق عناية علماء العربية بالإتباع واهتمامهم به، وقد اتّفقوا على أن الإتباع أن تلي الكلمةُ كلمةً أخرى، وأنّ الغرض منه تقوية الكلام وتوكيده، ولكنهم اختلفوا في معالمه وقيوده: منهم من يشترط في التابع ألاّ يكون ممّا يفرد في الكلام، أو ممّا لا معنى له، أو له معنى متكلّف، ومنهم من لا يشترط ذلك ويعدّ اللفظ إتباعا ولو صحّ إفراده وأمكن فصله عن المتبوع، أو كان له معنى بيّن، ثم إنّ من العلماء من حاول إخراج ما عُطف بالواو، وأكثرهم لم يلتفت إلى ذلك.

وللإتباع- سواء أخذنا برأي المقيّدين أم برأي المتوسعين فيه- صور وأشكال يَرد عليها، فقد يكون التابع اسما، أو فعلا، أو جملة:

يقال: «بَسْلاً له وأسْلا، أي حرام محرم.»(٧١)

ويقولون: «إنه لجميل بكيل.»(٧٢)

وقالوا: «رجل حاذق باذق.»(٧٣)

ومن أمثلة الإتباع غير الاسمية قولهم: حَظِيَتْ المرأة عند زوجها وبَظِيت».(٧٤)

ويقال: «أرْغَمَه الله وأدْغَمه».(٧٥)

وقال أبو زيد: «سمعت بني أسد يقولون: ما يَليق بك الخير وما يَعيق.»(٧٦)

والإتباع لا يشترط أن يكون بكلمة واحدة، فقد يكون التابع أكثر من كلمة:

قال أبو مالك: «يقال حارّ يارّ جارّ، ويقال: رجل حرّان يرّان جرّان: إذا أصابته مصيبة.»(٧٧)

---

(٧١) الإتباع: ٥.
(٧٢) المصدر السابق: ١٣.
(٧٣) المصدر نفسه: ٢٠.
(٧٤) الغريب المصنف، والإتباع: ١٩، والمزهر: ١/ ٤١٩.
(٧٥) الإتباع: ٤١، والأمالي: ٢/ ٢١٩.
(٧٦) الإتباع: ٦٣.
(٧٧) المصدر السابق: ٦٢، والامالي: ٢/ ٢١٧.

ويقال في الكثرة: «إنه لكثير بثير بذير عفير، وعمير أيضا، يوصف بها كلّها الكثرة.»[٧٨]

ويقال: «إنه لَحَسَن بسن قسن وإنه لبيّن الحُسْن والبَسانة والقَسانة.»[٧٩]

★ ★ ★

التابـع والمتبوع على وزن واحـــد:

ذكر بعض العلماءأن التابع يكون على زنة متبوعه، من ذلك ما نقلنا عن ابن فارس من تعريفه الإتباع: «أن تُتْبَع الكلمة الكلمة على وزنها أو رويها[٨٠]»، وقول الرضي: «ويجب أن يُراعى تجانس اللفظين في باب الإتباع بما يمكن[٨١]»، وقال السبكي: «فالتابع شرطه أن يكون على زنة المتبوع.»[٨٢]، وفي شرح الكوكب المنير: وهو- أي التابع- على زنة متبوعه، حتى لو وُجد ما ليس على زنته لم يحكم بأنه من هذا الباب،[٨٣].

والحقيقة أن هذا الشرط أغلبي وليس واجبا، فأكثر ما روي من الأمثلة الإتباعية يصدق عليها هذا القيد- فالتابع على زنة المتبوع ورويّه، ولكن ذلك لا ينفي ورود القليل مما لم يلتزم به ذلك، فمقدمة ابن فارس للإتباع التي نقلناها جاء فيها أن الكلمتين قد تكونان على رويّ واحد أو مختلفتين، وهو مخالف لما حَدّه به في الصاحبي.

فمما ورد من الإتباع غير موافق لمتبوعه زنة ورويًا، ما جاء في كتاب أبي الطيب: «أعطاه عطاء وَتْحا شَقِنا، ووَتِيحا شَقِنا، كلّ ذلك يُوماً به إلى القِلّة»[٨٤]

ويقال «له الويل والأليل، وله الويل والأويل، ولا يُفرد الأليل ولا الأويل في معنى الويل».[٨٥]

---

(٧٨) الإتباع: ٦٢.
(٧٩) المصدر السابق: ٧١.
(٨٠) الصاحبي: ٤٥٨.
(٨١) شرح الكافية: ١/٣٣٣.
(٨٢) المزهر: ١/ ٤١٥.
(٨٣) شرح الكوكب المنير: ١/١٤٥.
(٨٤) الإتباع: ٥٨، والجمهرة ٣/ ٤٣٠، والأمالي ٢/٢١٧.
(٨٥) الإتباع: ٨.

وفيه: «يقال في الدعاء على الرجل: جوعاً له وجُوداً وجُوسا، فالجود هو الجوع بعينه، وقولهم: جوسا– إتباع.»[٨٦]

وفي الجمهرة– فيما يفرد من الإتباع: «جديد قشيب»، وذكره أبو الطيب في التوكيد. ومثل ذلك كثير من الألفاظ التي نقل أبو الطيب في التوكيد– لا الإتباع– لا يأتي على وزن المؤكد، كقولهم: «قليل حقير» «وقليل نذير»، و «ما به نطيش ولا نويص»[٨٨]

والذي نخلص إليه من هذا أن أكثر أمثلة الإتباع جاءت مطابقة للمتبوع زنة، موافقة له رويّا.

تغيير الألفاظ لتحقيق الموافقة:

ومن أجل ما سبق من كثرة المطابقة بين التابع والمتبوع فقد حدث تغير في التابع، وهو ما يمكن أن يطلق عليه الضرورات النثرية، وقد عُرف هذا في أقوال العرب وأمثالهم، من ذلك قولهم: «لكلِّ ساقطةٍ لاقطة»، فمما قيل في المثل: أن الأصل: لكل ساقطة لاقط، قال المفضل بن سلمة: «فأدخل الهاء لمكان ساقطة لازدواج الكلام.»[٨٩]

ومن أمثلة هذا في الإتباع قولهم: «لا دريت ولا تليت، ويروى: ولا ائتليت»، قال المفضل: «ويقال: معناه: لا دريت ولا تلوت، أي: ولا أحسنت أن تتلو، فقلبوا الواو ياء للازدواج».[٩٠] وقالوا: «هو رِجْس نِجْس» قال ابن الأنباري: «الرِجْس: النتن... والنِجْس بمعنى النَّجِس، إنما تكسر نونه إذا جاء بعد رِجْس، فإذا أُفرد قيل: نَجِس ولم يقل نِجْس.»[٩١]

---

(٨٦) المصدر السابق: ٣٥.

(٨٧) الجمهرة. ٣/ ٤٣٠، والإتباع: ٧٢.

(٨٨) ينظر الإتباع: ٣٩، ٩٩، ١٠٠.

(٨٩) الفاخر: ١٠٩.

(٩٠) الفاخر: ٣٨، وينظر الإتباع: ٣٠.

(٩١) الزاهر: ٢/ ٢١٣، وينظر الإتباع: ٥٨.

وذكر الزجاج في «ناقة مِضياع مِسياع» : «وإنما قالوا: مسياع وأصله مسواع ، لأنه من ساع يسوع – على وجهين : إمّا أن يكون معاقبة ، وقد سمعنا بناقة مسواع ، وإما أن يكون شاذا . »(٩٢)

وفي قولهم «حياك الله وبيّاك» أقوال للعلماء ، منها ما نقل عن الأحمر : أراد : بوّأك منزلا ، فقالوا بيّاك لازدواج الكلام ليكون تابعا لـ : حيّاك ، كما قالوا : جاء بالعشايا والغدايا يريدون : بالغدوات ، وقالوا الغدايا للازدواج . »(٩٣)

وفي شرح الكافية : «ويجب أن يُراعى تجانس اللفظين بما يتمكن ، فلهذا قلبوا واو «بَوْص» ياء وأصله : حيص بيص . »(٩٤)

وقال القالي : «ويقولون : عَيِيّ شَييّ ، وشييّ أصله شَوِيّ ، لكنه أُجرى على لفظ الأول ليكون مثله في البناء . »(٩٥)

ونقل أبو الطيب عن الفراء : «ويقال : أتيته فمنّاني وهنّاني ، غير مهموز ، وهو إتباع . »(٩٦) والذي يلحظ هنا تسهيل همزة «هنّاني» ليوافق «منّاني»

وقال ابو الطيب : «ويقال : إنه لذو جُود وسُود ، فقال قوم : هو إتباع ، وقال آخرون : إنما أرادوا به : ذو جود وسُودَد ، فأسقطوا إحدى الدالين ليكون على وزن جود . »(٩٧)

ومن الإتباع : «كثير بثير» قال القالي : «فالبثير هو الكثير ، مأخوذ من قولهم : ماء بثر : أي : كثير ، وقالوا بثير لموضع كثير ، كما قالوا : مُهرة مَأمورة وسكة مأبورة ، وإني لآتيه بالغدايا والعشايا . »(٩٨)

---

(٩٢) المخصص ١٤ / ٣١ .

(٩٣) الفاخر ٢ .

(٩٤) شرح الكافية ١ / ٣٣٣ .

(٩٥) الأمالي ٢ / ٢١٢ ، وينظر الإتباع ٥٨ .

(٩٦) الإتباع ١٠٨ .

(٩٧) المصدر السابق ٥١ .

(٩٨) الأمالي ٢ / ٢١٤ . قال في القاموس أمر «والأصل مُؤْمَرَة ، وإنما هو للازدواج أو لغيّة»

ونقل أبو الطيب في التوكيد: «ويقال: رجل مليّ وفيّ»(٩٩)، وقد ذكر في اللسان: مَلُؤ الرجل، يَمْلُؤ مَلاءة، فهو مليء. ثم قال: وقد أولع فيه الناس بترك الهمز وتشديد الياء.(١٠٠)

والمُثُل التي نقلنا– ومثلها كثير– تبيّن لنا ما حدث في الألفاظ من تغيّر في الضبط أو قلب حروف العلة، أو تسهيل الهمز، أو تغيير الصيغة– كلّ ذلك لأجل أن يكون التابع والمتبوع متناسبين وقعا، مؤثّرين معنى.

* * *

الإتباع والتوكيد:

عرفت العربية صُورا مختلفة للتوكيد، وترجم النحويون لباب مستقل في مؤلفاتهم بـ «التوكيد» أو «التأكيد»، وجعلوه قسمين: معنويا بألفاظ محدودة معروفة، ولفظيا: وهو تكرار اللفظ بنفسه أو بمرادفه. قال ابن مالك: «وهو أن يعاد اللفظ بعينه مجردا أو مقرونا بعاطف، إلا أن المقرون بعاطف مع اتّحاد اللفظ قلّما يكون إلاّ جملة، كقوله تعالى: ﴿وما أدراك ما يوم الدين* ثمّ ما أدراك ما يوم الدين﴾(١٠١)، وكقوله: ﴿أَوْلَى لك فأولى* ثم أَوْلَى لك فأَوْلى﴾(١٠٢). ثم قال: «وأكثر وقوع التوكيد اللفظي بجملة».(١٠٣)

وقال السيوطي «والأجود مع الجملة إذا أكدت الفصل بينهما وبين المعادة بـ «ثم»... وهذا إذ لا لبس يحصل، فإن حصل لم يؤت بها.»(١٠٤) وأجاز الرضي أن يكون العطف في التوكيد اللفظي بالفاء إضافة إلى الهمزة.(١٠٥)

(٩٩) الإتباع ١٠٥.

(١٠٠) اللسان ملأ

(١٠١) سورة الانفطار ١٧، ١٨.

(١٠٢) سورة القيامة ٣٤، ٣٥.

(١٠٣) شرح الكافية الشافية ٣/ ١١٨٣، ١١٨٤، وينظر المساعد لابن عقيل ٢/ ٣٩٩، والتصريح للشيخ خالد ٢/ ١٢٧.

(١٠٤) همع الهوامع ٢/ ١٧٥.

(١٠٥) شرح الكافية ١/ ٣٣٣.

وقد ربط بعض النحويين بين الإتباع والتوكيد، فذكر الرضي: «التأكيد اللفظي على ضربين: لأنك إمّا أن تعيد لفظ الأول بعينه نحو: جاءني زيد زيد، وجاءني جاءني زيد، أو تقويه بموازنة مع اتفاقهما في الحرف الأخير، ويسمى إتباعا.»(١٠٦) ونقل السيوطي: قال ابن الدهان في «الغرة» في باب التوكيد: منه قسم يسمى الإتباع نحو عطشان نطشان، وهو داخل في حكم التوكيد عند الأكثر، والدليل على ذلك كونه توكيدا للأول غير مبيّن معنى بنفسه عن نفسه، كأكتع وأبصع مع أجمع، فكما لا ينطق بأكتع بغير أجمع، فكذلك هذه الألفاظ مع ما قبلها، ولهذا المعنى كررت بعض حروفها في مثل حسن بسن، كما فعل بأكتع مع أجمع، ومن جعلها قسما على حده حجته مفارقتها أكتع لجريانها على النكرة والمعرفة، بخلاف تلك وأنها غير مفتقرة إلى تأكيد قبلها بخلاف أكتع. قال: والذي عندي أن هذه الألفاظ تدخل في باب التأكيد بالتكرار ... وقال قوم: هذه الألفاظ تسمّى تأكيداً وإتباعا. وزعم قوم أن التأكيد غير الإتباع، واختلف في الفرق، فقال قوم: الإتباع منها ما لم يحسن فيه واو، نحو حسن بسن، وقبيح شقيح، والتأكيد يحسن فيه الواو نحو: حِلّ وبِلّ.»(١٠٧)

ويظهر من كلام النحويين اشتراطهم أن يكون التوكيد اللفظي بلفظ المؤكد أو بمرادفه وأنه يجوز العطف بين المؤكّد والمؤكّد إذا كان جملة بغير الواو.

أما ما رواه اللغويون من ألفاظ، وما نصوا على أنه من التوكيد – ليفرقوا بينه وبين الإتباع، وليقيدوا الإتباع – فمنه ما يتفق مع التوكيد النحوي:

قال الفراء: «يقال: رجل صيّاح تيّاح، قال: والتياح والصياح واحد.»(١٠٨)
وقال أبو زيد: إنه لقليل حقير، وقليل، حَقِر، والحقير والحَقِر واحد: وهو الصغير، الذليل».(١٠٩)

ويقال: ضبّ سِبَحْل رِبَحْل: وكلاهما الطويل الضخم.»(١١٠)

---

(١٠٦) المصدر نفسه.
(١٠٧) المزهر ١/ ٤٢٤.
(١٠٨) الإتباع ٣٣.
(١٠٩) المصدر نفسه ٣٩.
(١١٠) المصدر نفسه ٤٩.

ويقال: «إنه لمضيع مشيع: إذا كان يضيع ماله ويشيعه في الناس.»(١١١)

ويقال: «جاءنا واحدا فاردا، وهما واحد.»(١١٢)

وكلّ ما سبق توكيد نحوي، وهو يوافق تماماً ما اشترطه النحويون في التوكيد. ولكن كثيرا ممّا ورد في التوكيد اللغوي ليس موافقا للتوكيد النحوي، إمّا لأن اللفظ الثاني- التابع أو المؤكد له معنى مختلف عن الأول، أو لوجود الواو بينهما:

ففي إتباع أبي الطيب ممّا عدّه توكيدا: «فرّ وله كصيص وأصيص وبصيص من الفزع، وكلّه بمعنى الصوت الضعيف.»(١١٣)

ويقال «هو يحفّنا ويرفّنا: أي يعطينا ويميرنا»(١١٤)

ويقال: «بفية التراب والكُباب، والكباب هو التراب بعينه.»(١١٥)

وممّا يختلف فيه معنى التابع قولهم: «ما له جرب وحَرب، من الحَرَب.»(١١٦)

ويقال: «إنه لَساغِب لاغِب، والساغب: الجائع، واللاغب: المعيي.»(١١٧)

ويقولون: «رجل أيمان عيمان، والأيمان: الذي ماتت امرأته، والعيمان: الذي هلكت إبله فهو يعام إلى اللبن، أي يشتهيه.»(١١٨)

ويقال: «ما له ثَلّ وغَلّ: إذا دعي عليه بالهلاك، فقولهم: ثلّ من الثَّلَل: وهو الهلاك، وغَلّ من الغلة: وهو العطش.»(١١٩)

ويقال: «بلد عريض أريض، فالعريض الواسع، والأريض الحسن النبات.»(١٢٠)

وعبارات كثيرة صنفها المؤلف- أبو الطيب- في باب التوكيد لا يتوافر فيها ما تقدم من شروط التوكيد اللفظي كما عرضه علماء العربية، وقد رأيت أن المقصود هنا نوع آخر من التوكيد، وهو تقويةالمعنى، ويضاف هذا إلى أساليب التوكيد الكثيرة المعروفة في العربية.

---

(١١١) المصدر نفسه ٦٠.

(١١٢) المصدر نفسه ٧٠.

(١١٣) - (١٢٠) ينظر الإتباع- الصفحات ٢١، ٤٨، ٧٤، ٣٨، ٨٠، ٦٤، ٦٩، ١٠، على التوالي.

الإتبـــاع والترادف:

الترادف في اللغة: دلالة أكثر من لفظ على معنى واحد، وبين علماء العربية خلاف: أتدّل الألفاظ المختلفة على الشيء الواحد باعتبار واحد أم باعتبارات مختلفة(١٢١)؟

وقد فرّق الباحثون بين الإتباع والترادف، فالمترادفان يفيدان فائدة واحدة من غير تفاوت، أما التابع فلا يفيد معنى وحده.(١٢٢)

قال ابن النجار: «ولا ترادف في نحو شَذَر مذر على الصحيح، لأنّ الذي بعد الأول تابع لا يفيد شيئا غير التقوية، وشرط الترادف أن يفيد أحد المترادفين لو انفرد، لأنه مثل مرادفه في الرتبة.»(١٢٣)

والذي عليه الألفاظ الإتباعية بمعناها الواسع– إتباعا أو توكيدا– يكشف وجود كثير من المرادفات عدّت إتباعا، وقد نقلنا أمثلة منها في الصفحات السابقة عند حديثنا عن التوكيد، وذلك أن يكون الثاني مرادفاً للأول.

والباب الذي عقده القالي للإتباع استند فيه إلى تقسيم التابع إلى قسمين: ما يكون فيه الثاني بمعنى الأول فيُؤتى به توكيدا، وضرب يكون فيه الثاني مخالفا للأول.

فمن ذلك: «أشِر أفِر، فالأشر: البَطِر المرح، وكذلك الأفِر عند ابن الأعرابي».(١٢٤)

ويقولون: «ضئيل، بئيل، فالبئيل هو الضئيل.»(١٢٥). ويقولون: «مضيع مسيع، والإساعة: الإضاعة»(١٢٦)

وكثير ممّا أوردنا من الأمثلة وممّا في كتب الإتباع ومصادره تظهر لنا أن من ألفاظه ما جاء مرادفا لمتبوعه– سواء أعدّ ذلك من الإتباع أو التوكيد.

---

(١٢١) ينظر المزهر ١/ ٤٠٢ وما بعدها.
(١٢٢) ينظر المحصول ١/ ٣٤٨، والمزهر ١/ ٤٠٢.
(١٢٣) شرح الكوكب المنير ١/ ١٤٣.
(١٢٤) الأمالي ٢/ ٢١٥.
(١٢٥) المصدر السابق ٢/ ٢١٤.
(١٢٦) المصدر السابق ١/ ٢١٥.

الإتباع والإبـــدال:

الإبدال في اصطلاح اللغويين: إقامة حرف مكان حرف في موضعه، أو اتفاق الكلمتين في جميع الحروف عدا حرفا واحدا، مع تناسب المعنى بين اللفظين، كمدح ومده، وجذا وجذا، ويكثر أن يكون الحرفان المبدلان ممّا تقاربا صفة أو مخرجا، وقد يقع الإبدال في غير المتقاربين

وعلاقة المبحث بالإتباع أنّا وجدنا ألفاظا ذكرها العلماء في الإتباع وهي ممّا يُعَد من الإبدال أو العكس:

وهذه نماذج لذلك نبدأها بما ذكر أبو الطيب في كتابه «الإبدال»- وهو أوسع كتب العربية في هذا الموضوع، ونجد الألفاظ أنفسها في كتابه الإتباع:

أورد المؤلف في ابداله: «رجل ضئيل بيّن الضآلة، وبئيل بين البآلة»(١٢٨)، واللفظ عينه مذكور في إتباعه، وذكره غيره من المؤلّفين(١٢٩)، وكونه من الإبدال بعيد لتباعد الضاد عن الباء مخرجا ولاختلافهما صفات، ولكن لاتفاقهما معنى جعلا من الإبدال.

ومنه ما ذكر في الإبدال عن الفراء: «أفلَت وله بَصيص وكصيص»(١٣٠)، على أن الباء والكاف مبدل أحدهما من الآخر، وهو بعيد كسابقه، ثم إن المؤلف ذكره في كتابه الإتباع- قسم التوكيد.(١٣١)

وفي إبدال الذال والميم- على ما بينهما من اختلاف مخرجا وصفات- ذكر المؤلف: «رجل مهذار، ورجل مهمار: إذا كان كثير الكلام، وهو يهذر في كلامه ويهمر»(١٣٢)، وفي الإتباع: «ويقال: إنه لَهذِر مَذِر. والهذر: الكثير الكلام.»(١٣٣)

---

(١٢٧) ينظر كتابنا ظاهرة الإبدال اللغوي ١١ وما بعدها.

(١٢٨) الإبدال لأبي الطيب ١٣/١.

(١٣٠) الإبدال ١/ ٣٤.

(١٣١) الإتباع ٢١.

(١٣٢) الإبدال ٢/ ٢٦.

(١٣٣) الإتباع ٨٦، والأمالي ٢/ ٢١٥.

وفي الإبدال بين السين والهاء– وما أبعد حدوث ذلك– أورد أبو الطيب: «السَمَلّع والهَمَلّع: الذئب»(١٣٤)، وأورده في إتباعه من التوكيد، كما ذكره القالي في الإتباع.(١٣٥)

وفي ابدال السين والعين نقل أبو الطيب عن اللحياني: لا آتيك سجيس الدهر، وعجيس الدهر، اي آخر الدهر.(١٣٦) وأورده ابن فارس في الإتباع والمزاوجة عن الأصمعي، وقال: والعجيس: تأكيد وهو في معنى الاخر.(١٣٧)

ومما جاء في الإبدال لابن السكيت: عن الفراء: ذهب القوم شِذَر مِذَر، وشِذَر بِذَر، وشَذَر مَذَر، وشَذَر بَذَر: إذا تفرقّوا.(١٣٨) وهو ممّا يروى في الإتباع.(١٣٩)

ونقل ابن السكيت في إبدال الباء والميم كسابقه: يقال: مَهلا وبَهلا في معنى واحد، وعن أبي عمرو أن مهلا وبهلا إتباع.(١٤٠)

وفي إبدال الهمزة والعين – وابدالهما كثير في اللغة – « الفراء: يقال: يوم عَكّ، ويوم أكّ من الحَر.(١٤١)وهو في الاتباع(١٤٢) وكذلك: ذهب القوم عَباديد وأباديد، وعباديد أباديد(١٤٣) وهو ما أورده أبو الطيب في الإتباع.(١٤٤)

وهذه نماذج مما ورد في العربية مختلفا فيه بين الابدال والاتباع وتَتبُّع هذا المبحث يُظهر كثيرا من الخلط بينهما، كما يبين عن التوسع الواضح في الاتباع، وان علماء العربية حشروا في الابدال ما ليس منه، وأن المصطلحات ليست واضحة المعالم تماما.

---

(١٣٦) الإبدال ٢/٢١٢
(١٣٧) الاتباع والمزاوجة ٤٩.
(١٣٨) القلب والإبدال ١٣.
(١٣٩) الاتباع ٨٧
(١٤٠) القلب والابدال ١٦
(١٤١) المصدر السابق ٢٣
(١٤٢) الاتباع: ٨
(١٤٣) القلب والإبدال ٢٣
(١٤٤) الاتباع: ١١.

من أمثلة الاتباع

نقدم هنا بعض العبارات الاتباعية، ونبين آراء العلماء فيها واختلافهم في تفسيرها فمن ذلك: هو في حِلّ وبِلّ «وللعلماء في هذه العبارة أقوال وآراء في تفسيرها: فقد سبق رأي أبي عبيد في إخراجها من الإتباع وعدّها جملة جديدة لمكان الواو، ونقل في الصحاح - بِلّ كلام أبي عبيد، أما ابن فارس فاقتصر على القول: « وهو حِل وبِلّ اي مباح وذكرها أبو الطيب في قسم التوكيد من كتابه، وابن دريد جعلها اتباعا يجوز ان يفرد (١٤٥).

ومثل ما سبق قولهم: «حيّاك الله وبيّاك»، فممّا قيل في معنى بيّاك - ما سبق من إنكار الإتباع فيها عند أبي عبيد لأنها بالواو، وأما أبو الطيب فجعلها توكيدا، ولم يبين ابن فارس موقفه من العبارة وهي عند ابن دريد اتباع يجوز افراده (١٤٦)

ويقولون: عريض أريض، فأبو الطيب يجعلها توكيدا، ويوردها القالي ويفسر الأريض بمعنى الخليق للخير الجيد للنبات. وابن فارس - كما يغلب على الكتاب - لا يذكر شيئا عنها، اما ابن دريد فأدخلها في الاتباع الذي يفرد. وقال في الصحاح: وشيء أريض عريض اتباع له، وبعضهم يفرده ويقول: جدي أريض: أي سمين (١٤٧)

ومن الاتباع عند أبي الطيب: رجل حاذق باذق ومثله في الصحاح، وقال في الأمالي: فباذق يمكن أن يكون لغة في «باثق» كما قالوا: قَرَب حثحاث وحذحاذ، (١٤٨) ونبيثة ونبيذة: لتراب البئر، فكأن الاصل - والله أعلم - أن رجلا سقى فأجاد وأكثر، فقيل: حاذق باذق، أي حاذق بالسقي باثق للماء (١٤٩)

(١٤٥) ينظر: الجمهرة ٣/٤٣٠، والاتباع ٢٣ والاتباع والمزاوجة ٦٢ والصحاح - بل.
(١٤٦) ينظر الجمهرة ٣/٤٣٠، والاتباع ٢٤ والاتباع والمزاوجة ٦٩.
(١٤٧) الجمهرة ٣/٤٣٠ والامالي ٢/٢١٢ والاتباع ١٠ والاتباع والمزاوجة ٥٢.

(١٤٨) القرب: سير الليل، والحذحاذ: السريع (١٤٩) الاتباع ٢٠ والامالي ٢/٢١٧، والصحاح حذق.

ومن ذلك ما جاء في الصحاح: «ورجل نادم سادم، ونَدْمان سدمان، ويقال: هو إتباع له.»: «سادم نادم» وهو من التوكيد عند أبي الطيب: «نادم سادم.»(١٥٠) وفي الامالي: «ويقولون خَزْيان سوْآن» فسوآن مأخوذ من قولهم: سَوْأة سوآء: أي أمر قبيح...».

وهو في الجمهرة من الإتباع الذي لا يفرد، على أنه من التوكيد عن أبي الطيب.(١٥١)

ومن الإتباع عند أبي الطيب: مائق دائق من قولهم: رجل مدوّق اي محمّق، والدُّوق: الحمق، وكذلك المُوق، ويقال ماق الرجل، يموق موقا. ثم قال: ولا يتكلم بالدائق مفردا. ويقال: إنه ليموق مواقة، ومؤوقا، وداق يدوق دَواقة ودَؤوقا أيضا. وقال ابن فارس: هو مائق دائق – اتباع».
وهو في الجمهرة مما لا يفرد (١٥٢)

ونختم هذه الأمثلة بما نقل أبو الطيب في الإتباع: ويقال: انه لخاسر دابر، وَخَسير وذَبِرٌ، وما له خَسِرَ وَدَبِرَ. ثم قال: في باب التوكيد: أنه لخاسر دامر، الدامر: الهالك ....وانه لَخَسِرٌ دَمِر، فإذا قلت: خاسر دابر بالباء فلا وجه له إلا ان يكون اتباعا، أو تكون الباء مبدلة من الميم (١٥٣)

وبعد، فهذا فنٌ من فنون العربية، وباب من أبوابها الطريفة، استعمله فصحاء العرب توكيدا للكلام وتزينا، وقد أوجزنا الحديث فيه، وعمّا يتعلّق به من المباحث اللغوية، آملين ان نكون قد وُفقنا فيما قصدنا، نسأل الله المزيد من فضله، والواسع من غفره وغفوه

والحمد له رب العالمين

والصلاة والسلام على سيد الانبياء والمرسلين

---

(١٥٠) الإتباع ٥٤ والامالي ٢/٢١٨ والصحاح – سدم.

(١٥١) الجمهرة ٣/٤٢٩، والاتباع ٥٢ والامالي: ط/٢١٢

(١٥٢) الجمهرة /٤٣٠، والاتباع ٤٢ والامالي ٢/٢١٥ والاتباع والمزاوجة ٥٩

(١٥٣) الإتباع ٤٣–٤٥، وينظر: الامالي ٢/٢١٨ والاتباع والمزاوجة ٤٥

مراجع البحث

القرآن الكريم.

- الإبدال – لأبي الطيب اللغوي الحلبي – تحقيق عز الدين التنوخي – مجمع اللغة العربية – دمشق ١٣٨٠هـ
- الإتباع – لأبي الطيب اللغوي – تحقيق عز الدين التنوخي – مجمع اللغة العربية – دمشق ١٣٨٠هـ.
- الاتباع والمزاوجة لأحمد بن فارس بعناية كمال مصطفى – مطبعة الخانجي – القاهرة ١٩٤٧م.

  ونسخة مخطوطة عن تشستربيتي ٤٦٢٤.
- الأمالي – لثعلب أحمد بن يحيى، تحقيق عبد السلام هارون – مكتبة المعارف – القاهرة ١٩٤٨م.
- الأمالي – لأبي علي القالي – مطبعة بولاق – القاهرة ١٣٢٤هـ.
- جمهرة اللغة – لابن دريد – دائرة المعارف العثمانية – حيدر آباد الدكن – الهند – ١٣٤٥هـ.
- الزاهر في معاني كلمات الناس – لأبي بكر بن الانباري – تحقيق د. حاتم صالح الضامن – دار الرشيد – بغداد ١٣٩٩هـ.
- سير أعلام النبلاء – للذهبي الجزء الثامن – تحقيق نذير حمدان – مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠١هـ.
- شرح الكافية – للرضي الأستراباذي – مصورة عن طبعة الآستانة ١٢٧٥هـ.
- شرح الكافية الشافية – لابن مالك – تحقيق د. عبد المنعم هريدي مركز البحث العلمي. جامعة أم القرى – مكة المكرمة ١٤٠٢هـ.
- شرح الكوكب المنير في أصول الفقه – لابن النجار – تحقيق د. محمد الزحيلي، و د. حماد. مركز البحث العلمي – مكة ١٤٠٠هـ.

- الصاحبي في فقه اللغة لابن فارس – تحقيق السيد أحمد صقر – مكتبة عيسى الحلبي – القاهرة ١٩٧٧م.
- الصحاح – للجوهري – تحقيق أحمد عبد الغفور عطار – دار العلم للملايين – بيروت ١٣٩٩هـ.
- ظاهرة الإبدال اللغوي د. علي حسين البواب، دار العلوم، الرياض، ١٤٠٤ هـ.
- العين للخليل بن أحمد، تحقيق د. إبراهيم السامرائي، ود. مهدي المخزومي، دار الرشيد، بغداد ١٩٨١م وما بعدها.
- غريب الحديث لأبي عبيد القاسم بن سلام – دائرة المعارف العثمانية – حيدر آباد الدكن – الهند ١٣٨٤هـ.
- الغريب المصنف، لأبي عبيد القاسم بن سلام، مخطوطة مصورة، جامعة الامام، ف ٣٢٤.
- الفاخر، للمفضل بن عاصم، تحقيق عبد العليم الطحاوي، مطبعة الحلبي، القاهرة، ١٩٦٠م.
- الفهرست، لابن النديم، تحقيق رضا تجدد، المكتبة الاسدية، طهران ١٩٧١م.
- القاموس المحيط، للفيروزأبادي، المطبعة المصرية، القاهرة ١٩٣٥م.
- القلب والابدال، لابن السكيت (ضمن الكنز اللغوي) تحقيق أو غست هفنر، المطبعة الكاثوليكية، بيروت ١٩٠٣م.
- الكتاب، لسيبويه، بولاق، ١٣١٦هـ.
- لسان العرب، لابن منظور، دار لسان العرب، بيروت.
- المحصول في أصول الفقه، لفخر الدين الرازي، تحقيق د. طه جابر العلواني، مطبوعات جامعة الامام، الرياض، ١٣٩٩هـ.
- المخصص، لابن سيده الأندلسي، المكتب التجاري، بيروت.

- المزهر في علوم اللغة وأنواعها ، للسيوطي ، تحقيق محمد أحمد جاد الله وزميله ، مطبعة الحلبي ، القاهرة ١٩٥٨م.
- المفردات ، للراغب الأصفهاني ، تحقيق محمد أحمد خلف الله ، مكتبة الأنجلو ، القاهرة ١٩٧٠م.
- مقاييس اللغة ، لابن فارس ، تحقيق عبد السلام هارون ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ١٩٧٢م.
- همع الهوامع ، للسيوطي ، دار المعرفة ، بيروت .

وقائع
مؤتمر مجمع اللغة العربية بالقاهرة
في الدورة الثانية والخمسين
١٩٨٦

للدكتور عدنان الخطيب
(عضو مجمع دمشق)

انعقد مؤتمر مجمع اللغة العربية في دورته الثانية والخمسين، بمدينة القاهرة في المدة الواقعة من ٢٢ من جمادى الآخرة الموافق ٣ من آذار (مارس) إلى ٦ من رجب سنة ١٤٠٦ه الموافق ١٧ من آذار (مارس) سنة ١٩٨٦م، عقد فيها ثلاث عشرة جلسة، منها جلستا الافتتاح والختام.

وفيما يلي عرض موجز لما دار في المؤتمر من بحوث وما انتهى إليه من مقررات وتوصيات:

أولا: جلسة الافتتاح

عقدت جلسة الافتتاح العلنية في القاعة الكبرى من مبنى جامعة الدول العربية، وحضرها لفيف كبير من العلماء والأدباء ورجال الفكر والإعلام **برياسة الدكتور إبراهيم مدكور رئيس مجمع اللغة العربية**، وتم فيها ما يلي:

١ - كلمة وزير التعليم العالي والبحث العلمي.

ألقاها الدكتور محمد محمد الهاشمي رئيس جامعة عين شمس نيابة عنه، حيّا فيها المؤتمرين مرحبا بالوافدين منهم من الأقطار العربية الشقيقة والبلاد الأخرى الصديقة قائلا: «يحقّ لي أن أنوه، بل **أفاخر بمجمعنا اللغوي الذي يتسم بالطابع العالمي في تكوينه** منذ إنشائه عام ١٩٣٢، حيث تكوّن أعضاء المجمع من **المصريين والعرب والمستعربين**» وأردف يقول: «.. وها هو المجمع يستقبل اليوم ثمانية أعضاء، **من الجزائر والعراق وسورية والأردن وبريطانيا وفرنسا وألمانيا الاتحادية..**

فإلى هؤلاء الأعضاء الكرام خالص تهنئتي، مشفوعة بأصدق أمنياتي، وإني لأتطلع معكم إلى إسهامهم المجمعي، في سبيل لغتنا العربية الخالدة».

وأنهى السيد الوزير كلمته بالثناء على المجمعيين مشيداً بجهودهم في خدمة العربية داعيا لهم بالتوفيق.

٢ - كلمة رئيس المؤتمر

ألقى الدكتور إبراهيم مدكور رئيس مجمع اللغة العربية، كلمة استهلها بتحية المؤتمرين وبالترحيب بالوافدين على مصر منهم واصفا إياهم بقوله: «..**الذين يسهمون معنا في خدمة اللغة العربية، وجعلها وافية بمتطلبات العلم والحضارة**».

ثم قال: «ولست في حاجة أن أشير إلى أنهم يحسون بمدى سرورنا بلقائهم، وتعويلنا على إسهامهم. وهم لا يترددون في أداء الرسالة التي اضطلعوا بها، وتجيء استجابتهم دائماً مشجعة معاونة».

ثم تكلم السيد الرئيس عن الحصاد الغزير لدورة المؤتمر الماضية، ووقف عند النقط الثلاثة التالية:

الأولى: لغة العلم، قائلا: إن المجمع «قد قطع أشواطا بعيدة ومتلاحقة، وأخرج منها معجمات متخصصة متعددة.. وهي بين مطبوعات المجمع أشدها طلبا وأكثرها ذيوعاً، وأملنا وطيد في أن يلتقي علماء العربية اليوم عند لغة علمية واحدة في العالم العربي جميعه شرقا وغرباً، كما التقوا عندها إبّان الحضارة الإسلامية الزاهية..».

الثانية: لغة الحاسب الآلي، وقد عُني بها المجمع أخيراً، وأشار السيد الرئيس إلى الجهود المختلفة التي تبذل من أجلها في مشرق العالم العربي ومغربه، داعياً إلى تعاون صادق لدفع أي تشتت أو بلبلة في هذا المضمار.

الثالثة: التراث اللغوي، وذكر السيد الرئيس جهود المجمع بإحياء هذا التراث، بعد أن رسم خطة لهذا الإحياء تقوم على أساس علمي دقيق، وقد استطاع معها إخراج «نحو اثني عشر مرجعاً بعضها معجمات كاملة ككتاب (**الجيم**) **للشيباني** الذي يُعدّ من أقدم المعجمات العربية التي وصلتنا، وكتاب (**التكملة والذيل**) **للصغاني** وكتاب

(**الأدب**) **للفارابي**، وإلى جانب هذه المعجمات مؤلفات أخرى مختصرة (**كالأفعال**) **للسرقسطي** و (**الابدال**) **لابن السكيت**».

وأنهى السيد الرئيس كلمته قائلا: «في وسعي أن أقرر أنه خلال الثلاثين سنة الأخيرة استطاع مجمعنا أن يخرج من مطبوعاته مكتبة لها منزلتها وطلابها»، يبحثون عنها ويتابعونها بانتظام.

٣ – كلمة الأمين العام

ثم ألقى الأستاذ عبد السلام هارون الأمين العام لمجمع اللغة العربية كلمة أكَّدَ فيها على أن المؤتمرات السنوية للمجمع تثبت: «أن اللغة العربية لغة مرنة طيعة، **قادرة على الوفاء بمطالب هذا العصر وما بعد هذا العصر**، وليس بمعجزها أن تساير كل جديد، وأن تجاري ما يجري في غيرها في مجال العلوم والفنون والآداب». واستشهد الأمين العام على هذه الحقيقة بما ينشره المجمع من مطبوعات قائلا: «إن مجمع القاهرة بالتعاون مع أشقائه من المجامع العربية يقوم بدور رائد في مجال نهضة اللغة العربية العامة ومجال النهضة الثقافية العربية بخاصة».

ثم بدأ السيد الأمين العام بتبيان ما صنعه مجمع القاهرة في المدة الواقعة بين مؤتمر العام الماضي وهذا المؤتمر، مشيراً إلى الأعضاء الذين حظي المجمع باستقبالهم، والأعضاء الذين افتقدهم، وإلى من تم انتخابهم.

وعدد الأمين العام المطبوعات التي انتهى المجمع إلى نشرها، والتي ما زالت قيد الطبع. ثم ختم كلمته بتكرار الترحيب بالحاضرين، وخصّ الوافدين على مصر بأوفره مع أجزل الشكر.

٤ – كلمة الأعضاء الوافدين

وختمت الجلسة بكلمة ألقاها الدكتور ناصر الدين الأسد عضو المجمع من الأردن ناب فيها عن زملائه أعضاء المجمع من مختلف أقطار العروبة، مقدماً باسمهم أطيب التحيات وأسمى مشاعر التقدير إلى مجمع القاهرة وإلى مصر العظيمة العزيزة على مختلف أجيال العرب في أحقاب التاريخ المتلاحقة.

ثانيا : استقبال أعضاء جُدد

١ – افتتح جلسة الاستقبال (١) الدكتور ابراهيم مدكور رئيس المؤتمر ، بكلمة تحدث فيها عن أجيال من صفوة الصفوة تعاقبت على مجمع اللغة العربية منذ تأسيسه سنة ١٩٣٢ ، قائلا :« .. كان الرعيل الأول مكوناً من عشرين عضواً **نصفهم من المصريين والنصف الآخر من غير المصريين،** التقوا في مصر باسم اللغة العربية في جلسات وجلسات متلاحقة كل عام ... ويكفي أن أشير إلى اسمائهم فمنهم : **محمد ابراهيم حسين وعلى الجارم، ومن العرب: حسن حسني عبد الوهاب ومحمد كرد علي...**

أما الرعيل الثاني فكان منهم : أحمد لطفي السيد وعبد العزيز فهمي و مصطفى المراغي ومحمد حسين هيكل... والرعيل الثالث تكون من عشرة أعضاء، وقد سماهم الأستاذ أحمد أمين في حفل استقبالهم : **« العشرة الطيبة »** وقد قدر لي أن أكون أحد هذه العشرة الطيبة .. هذه العشرة الطيبة كان على رأسها الدكتور عبد الرزاق السنهوري والأستاذ محمود شلتوت والدكتور أحمد زكي والدكتور محمد شرف ... ولم يمض إلا خمسة عشر عاماً حتى رزقنا برعيل رابع يقوم على خمسة عشر عضواً ...

وها نحن اليوم نستقبل رعيلا خامساً يقوم على ثمانية من الأعضاء خمسة من العرب وثلاثة من المستعربين (٢)

وليس لي أن أقول عنهم شيئاً فهذا ما سيتولاه الأستاذ الأمين العام .. » .

---

(١) كان من المقرر أن يتم استقبال الأعضاء الجدد في أمسية اليوم الأول لافتتاح المؤتمر ، غير أن تأخر بعضهم عن الوصول إلى القاهرة قضى بتأجيل جلسة الاستقبال إلى عصر يوم العاشر من آذار(مارس) ١٩٨٦ .

(٢) كان مجلس المجمع يضم ، منذ تأسيسه عام ١٩٣٢ ، أعضاء عاملين مصريين وعرب ومستعربين، فلما كانت سنة ١٩٥٨ قصر القانون الصادر فيها عضوية المجمع العاملة على العرب من مصر والأقطار الأخرى، وعندما صدر قانون المجمع الجديد ذو الرقم ١٤ لسنة ١٩٨٢، سمحت نصوصه باختيار أعضاء عاملين من الأجانب المستعربين.

وتابع السيد الرئيس قائلا: «.. كل ما أريد أن أشير إليه هو: **إن زملاءنا لم يجيئوا عن طريق التعيين، ولا عن طريق سلطة خارجية عن المجمع، وإنما كان ذلك نتيجة اختيار الزملاء القدامى لهم**، فضلا عن أنهم جميعاً من رجال المجمع العاملين فيه منذ زمن بعيد كضيوف أو مراسلين..».

وأنهى السيد الرئيس كلمته مستشهداً بقول الشاعر:

أولئك آبائي فجئني بمثلهم ... إذا جمعتنا يا جرير المجامع

٢ - استقبل الاستاذ عبد السلام هارون الأعضاء الجدد. بكلمة مطولة قال فيها: «**ليس من المعقول أو المفروض أن استطيع أو يستطيع مثلي أن يجلو في هذا الوقت المحدود تلك الصورة العميقة لهؤلاء العمالقة ذوي المجد التالد، والعطاء العزيز الثرّ، في تاريخ سعد بمعاصرتهم، ونعم برؤيتهم متسابقين إلى البذل في سبيل العلم والخدمة الصادقة للغة الضاد**، والغيرة على النهوض بها والارتفاع إلى مستوى نقي نظيف، يرعون الأمانة فيه، ويحملون عبء الصيانة، وينفون عبث من حاولوا قديما أو يحاولون حديثا، أن ينالوا شيئا من هذا الصرح الشامخ شموخ الأهرام وسط لغات الأرض جميعا.

هؤلاء الأعضاء الكرام الثمانية الذين يحملون مع زملائهم عرش الفصحى، لهم جميعا سبق طويل في الصلة بمجمعنا هذا الموقر، وبعضهم كان على صلة تمتد جذورها إلى سنة ١٩٥٦، أي نحو ثلاثين عاما تباعا. فكان اختيارهم لعضوية الزمالة اختيارا حكيما موفقا تتويجا للاعتراف بفضلهم واعترافا برفقة قديمة لمع فيها وفاؤهم، وتألق برّهم بهذا المجمع الام الكبرى، ونعم البّر ونعم الوفاء».

ثم أردف يقول: «لقد حرت أيما حيرة حين عُهد إليّ أن اقدم هذه العبقريات في حفل استقبالهم، **وهم متساوون في الفضل، متسامتون في القدر، فلم أر أقرب إلى العدالة وأدنى إلى الكياسة، من أن يكون نظام استقبالهم وفق حروف الهجاء**».

وكان مجلس المجمع قد انتخب ثمانية من أعلام أهل الفكر، خمسة منهم من العرب وثلاثة من المستعربين، وهم السادة :

أحمد طالب الابراهيمي	من الجزائر
أحمد عبد الستار الجواري	من العراق
جاك بيرك	من فرنسا
حسني سبح	من سورية
روبرت برترام سرجنيت	من انكلترا
رودلف زلهايم	من ألمانيا الاتحادية
عبد الكريم خليفة	من الاردن
عدنان الخطيب	من سوريا

واخذ الاستاذ هارون يترجم لكل واحد من هؤلاء الاعلام على حدة، مشيرا إلى تاريخ مولده، مبينا مؤهلاته العلمية، معددا انتاجه العلمي والفكري والأدبي، ذاكرا المناصب التي تولاها والمهمات التي كلف بها فأداها. ثم ختم كلمته قائلا :

«مرحبا بكم أيها السادة الزملاء الذين يستقبلكم مجمعكم الأم. بما تستحقون من اجلال وتكريم مقرونين بالغبطة، وتوقع الخير الكثير بمعاونتكم، وشكرا لكم أيها السادة الذين شاركوا في هذا الحفل. وسلام الله عليكم ورحمته وبركاته».

٣ - ألقى الدكتور حسني سبح نيابة عن المستقبلين وهو أكبرهم سنا وأقدمهم صلة بالمجمع، كلمة استهلها بالشكر العميق لأعضاء مجمع اللغة العربية بالقاهرة على الثقة الغالية التي أولوه وزملاءه اياها بانتخابهم أعضاء عاملين يشاركونهم حمل الأمانة التي يضطلعون بها، بكل جدارة وعزم، في خدمة العربية والدفاع عن الفصحى.

ثم وجه خالص الشكر إلى الأستاذ عبد السلام هارون لما **أفاضه عليه وعلى زملائه من خلال حميدة وصفات جليلة، ولما وجهه إليهم من جمّ المديح ووافر الثناء.**

وعرّج الدكتور سبح بعدئذ على أهم ما يشغل المجمعيين وعلماء العربية اليوم، وهو وجوب **تدريس العلوم في مختلف جامعات الوطن العربي باللغة العربية**» مبينا تاريخ هذا الموضوع وأسبقية مصر فيه، والعثرات التي تحول دونه اليوم في بعض الأقطار والجهود المبذولة للتغلب عليها، فأفاض وأجاد.

ثالثا: المصطلحات العلمية

درس المؤتمرون وناقشوا، في جلساتهم اليومية، ما رفعته إليهم اللجان المختصة عن طريق مجلس المجمع، من مصطلحات علمية وفنية أنجزتها، فأقروا غالبيتها بالاجماع، وبعضاً منها بالأكثرية، كما أقروا ما تبقى بعد تعديله.

وبلغ عدد المصطلحات التي عُرضت على المؤتمر (٣١٩٤) مصطلح موزعة بين مختلف العلوم والفنون على الشكل التالي:

١٩٢	مصطلح في الهندسة الميكانيكية
٢١٥	مصطلح في الفيزياء (الفيزيقا)
١٦٨	مصطلح في القانون (التشريعات الاجتماعية)
٢٤٢	مصطلح في علوم الاحياء والزراعة
١٠٨	مصطلح في علم النفس
٤٥	مصطلحا في التربية
١١٦	مصطلح في التاريخ واثار الاسلامية
٣٣٠	مصطلح في المعالجة الالكترونية للمعلومات
٢٤١	مصطلح في مصطلحات الرياضية
٧٧٩	مصطلح في العلوم الطبية
٤٥٣	مصطلح في النفط
١٦٦	مصطلح في الكيمياء والصيدلة
٩٧	مصطلحا في الفلسفة
٤٢	مصطلحا في ألفاظ الحضارة

رابعا: البحوث والدراسات

كانت البحوث والدراسات التي قُدمت لتلقى أثناء انعقاد المؤتمر، تحتاج الى أضعاف الزمن المخصص لها، فاكتفي ببعضها على أن تنشر جميعها في الكتاب الخاص ببحوث مؤتمر هذه الدورة. وقد استمع المؤتمرون إلى البحوث والدراسات التي نقدم عرضا موجزا لها ولما دار حولها من تعليقات ومناقشات، فيما يلي:

تيسير تعليم العربية في التراث: دراسة مفصلة أعدها وألقاها **الدكتور عبد الكريم خليفة عضو المجمع من الأردن**، حوت عرضا رائعا لمحاولات تيسير تعليم العربية بتيسير دراسة النحو، وقد رافقت نشوءه من القرن الثاني للهجرة.

استهل الدكتور خليفة دراسته بقوله: «إن تيسير العربية وإحياء نحوها وتجديده من الموضوعات التي شغلت أذهان علماء أمتنا ومفكريها قديما وحديثا. ولا غرابة في ذلك فالقضية اللغوية، تحتل دوما مكانة متميزة في نهضة الامة. وان العربية، لغة القرآن الكريم، هي التي أعطت لأمتنا جوهر وجودها، واستمرار بقائها، ومن خلالها وحدها يمكن أن تنهض أمتنا وتتخلص من حالة التبعية الفكرية والعلمية فضلا عن التبعية السياسية. **وبالعربية السليمة وحدها، يمكن أن تشارك أمتنا في بناء الحضارة الحديثة مشاركة أصيلة ومبدعة**».

ثم عرض الباحث أثر الهجمات الاستعمارية التي سبق ان تعرضت لها الاقطار العربية على سيادة اللغة القومية فيها مستهجنا استمرار منازعة اللغات الأجنبية للعربية في اكثر جامعات الاقطار العربية «ومؤسساتها العلمية والاقتصادية والثقافية. **ويردف ذلك سياسة، غير معلنة، تقتضي بتشجيع العامية من ناحية، وعدم الالتزام بسلامة اللغة في مراحل التعليم وفي جميع مؤسسات الدولة ودوائرها**».

وأشار الباحث إلى ما قام به علماء الامة الغيارى على لغتها وتراثها من محاولات وجهود مرموقة في موضوع «**تيسير العربية**» مقارنا هذه الجهود بما بذله أئمة العربية في عصر ازدهارها الحضاري للتصدي للموضوع نفسه يوم كانت العربية تسود أقطار الدولة الاسلامية المتباعدة، حتى أنها « لم تقتصر على الجماهير التي اعتنقت الاسلام بل

تعدتها إلى تلك الفئات التي بقيت محافظة على دياناتها حتى أصبحت العربية لغة العلوم والأدب والثقافة، ولغة عباداتها وصلواتها أيضا لعدة قرون».

وعاد الباحث بمستعميه إلى الزمن الذي وضع فيه سيبويه «**الكتاب**» المجمع على اعتباره المصدر الاساس لنحو العربية. عارضا منهجه والاسس التي أقام عليها **القواعد النحوية**) مما أدى إلى نشوء خضم من الدراسات النظرية وإلى «ظهور علماء يقفون حياتهم على البحث في دقائقه – علم النحو – ويتخذونه مهنة لهم في معاشهم». وأدى في الوقت نفسه إلى: «**رسم صورة للعربية يكتنفها الغموض والتعقيد**» إلى أن ظهرت في القرن الرابع عصر الازدهار العلمي «محاولات مبدعة في وضع مصنفات في النحو من أجل تيسيره وتسهيل تعلمه.»

ثم عدد الباحث أهم الكتب والمؤلفات التي عرفها التراث في تيسير علم النحو، وحلّلها وبيّن الدوافع إلى تأليفها والمدى الذي وفق إليه مؤلفوها. وبعد أن عرض الباحث نماذج من عدة كتب تدعم رأيه قال: «لدى دراستنا لهذه الكتب التعليمية.... نجد أنها انطلقت من أجل تحقيق أهداف تعليمية محددة. ومن هنا نجد أنها جميعا تسير في اطار المنهج التعليمي، على اختلاف فيما بينها من حيث التبويب والشرح والامثلة والشواهد فهي تهدف إلى عرض المسائل النحوية والصرفية الظاهرة بعبارات واضحة ودقيقة، تقربها إلى نفوس الناشئة والمتعلمين» إلى أن قال: «وقد أدرك أئمة النحاة الذين تصدوا لوضع هذه المصنفات التعليمية، أن هنالك اختلافا جوهريا بين منهج يهدف إلى دراسة جزئيات النحو ودقائق اللغة، وبين منهج يهدف إلى تيسير تعليم اللغة إلى الناشئة والراغبين في تعلمها..»

وبعد عرض سريع لما ذكره ابن خلدون في مقدمته عن علم النحو وصناعته، وبعد **مناقشة آرائه وتفنيدها ختم الباحث دراسته بقوله: «إن القرنين الرابع والخامس الهجريين** قد شهدا وضع المصنفات التعليمية التي تهدف إلى تيسير العربية وتسهيل تعلمها، وكذلك وضع أهم المعايير النظرية للمفهوم التعليمي للنحو وقواعد العربية ...» وشكر الرئيس الدكتور إبراهيم مدكور للباحث هذا العرض الشامل الذي يوضح **أن تعليم النحو شيء وفلسفة النحو شيء آخر** قائلا: ولعل الباحث« قصد بذلك أنه أصبح من الملائم

الآن أن نكتب نحوا يصلح لتعليم الجماهير كلها، **لأن التعليم والثقافة يحتاج إليهما الناس** كافة، وقد عني مجمع اللغة العربية بهذا المطلب الملح، وقد تمثلت هذه العناية في أن تيسير النحو كان موضوعا رئيسيا بمؤتمر سابق من مؤتمراته».

وطلب الدكتور أحمد عز الدين عبد الله الكلمة وقال: **اللغة العربية مظلومة في هذه الآونة، وحقيقة الامر أن القائمين على أمور اللغة هم الذين اساءوا إليها**، فقد ازدهرت اللغة العربية إزدهارا كبيرا في النصف الاخير من القرن الماضي، وفي النصف الاول من القرن الحالي وكان من اسباب ذلك **ان اللغة العربية كانت اداة من ادوات إيقاظ الروح القومية والشعور القومي**، ويؤكد كلامي هذا أن أساتذتي في القانون ألفوا في أوائل هذا القرن كتبا رفيعه المستوى باللغة العربية رغم أنهم درسوا بالأجنبية، ورجعوا إلى مراجعها مع أنهم كانوا يعانون من الاحتلال البريطاني...

فإذا قارنا كتب تعليم اللغة العربية التي تدرس في مدارسنا الآن، وما كنا ندرسه في مراحل التعليم في طفولتنا وشبابنا نجد البون شائعا. فلا يكفي لحسن تعليم العربية**أن نعرف قواعد النحو والصرف بل لابد ان نضيف إليها الممارسة بالقراءة والكتابة**وقد كانت كتب المطالعة التي طالعناها تطبق عليها ما تعلمناه من نحو وصرف، وكانت كتب المطالعة من كتب التراث ومنها كتاب كليلة ودمنة، وكتاب ادب الدنيا والدين. ومن ثم تعلمنا اللغة العربية تعلما عميقا، اما اليوم فقد شاب كتب اللغة العربية الكثير من الضعف والركاكة التي أضرت باللغة وبمن يتعلمونها أيضا».
وأردف الدكتور عبد الله يقول: «إذن فليس الأمر تيسير بقدر ما هو أمر الارتفاع بمستوى التعليم، **وأن يتولى القانون المهيمن على التعليم اصلاح مستوى المعلم اولا**...

فليس بمعقول ولا مقبول ان تقبل مدارس تأهيل المعلمين من لا يؤهله مجموعة دخول باقي الكليات، لا بد لهذه السياسة التعليمية من أن تتغير حتى تتغير أحوال اللغة العربية إلى الأفضل والأحسن. سبب آخر ساعد على اضمحلال اللغة العربية، وهو أنه في عهد عدم الاستقرار الاجتماعي والاقتصادي والسياسي تهتز لغة الشعوب ومن مظاهر هذا الاهتزاز **اجتياح البلاد موجات أجنبية في أسماء كثير من السلع المتداولة وأسماء المحلات التجارية وفي لغة التخاطب العادية**».

وكان لكلمة الدكتور عبدالله هذه صدى طيبا في نفوس الكثيرين، فقال الدكتور مهدي علام مؤيدا مطالبته بحسن اعداد المعلمين، بعد أن شكر للدكتور خليفة دراسته الكاملة المفصلة.

وأيد الدكتور شوقي ضيف ما ورد في دراسة الدكتور خليفة عن اختلاف مستويات التعليم، واصفاً كلمة الدكتور عبدالله. بأنها ذات **موضوع خطير وكبير يحتاج الى مؤتمر خاص** بل مؤتمرات تعقد لمناقشة المشكلات التي تثيرها.

٢ - **التراث اللغوي والتقدم الاجتماعي:** بحث مهم ألقاه الدكتور أحمد عبد الستار الجواري عضو المجمع من العراق، عالج فيه مسألة «**وحدة اللسان في الامم الكبرى**» تلك الامم التي تتسع لها الرقعة، وتمتد بين أقطارها المسافات وتتلاقى فيها عدة حضارات، وتختلف فيها عروق الجماعات التي تتألف منها الأمة، وأثر كل هذا على اللغة التي يتم بها التفاهم بين أفرادها، وتساءل الباحث عما إذا كان من طبيعة ذلك الاتساع والتنوع في الحضارات والاختلاف في العروق، ان يؤدي الى انعزال الشعوب المتباينة عن بعضها مما يستتبع أن تغدو لها لغات مختلفة بعدد تلك الشعوب؟

وعرض الباحث أقوال العلماء في هذا الموضوع، ونقد من قال منهم: «**إن التطور اللغوي في لسان ما لا بد ان يفضي إلى الانشطار والانقسام، فتصبح اللغة الواحدة لغات او لهجات متعددة** مستشهدين في نظريتهم هذه على ما كان من أمر اللغة اللاتينية وانشطارها إلى لغات بعدد الشعوب التي كانت تتكلم بها، وأكد الباحث على أن ذلك الواقع التاريخي ليس من التقدم الصحيح أو من التطور المحمود في شيء، وما هو إلا أثر من آثار اتباع الغرائز والرضى بسلطانها و « الإخلاد إلى الخمول والانحلال والسلبية التي ليس لها من ثمرة إلا التخلف والجمود والانحسار» مستشهدا على هذا بما فعله الاستعمار في البلاد الافريقية حيث شجع اللهجات المحلية أو القبلية **ثم فرض لغته لغة مشتركة للتفاهم بين أفراد القبائل المختلفة**.

وهاجم الباحث من يدعون الى اصطناع لغات مختلفة في الوطن العربي تحت اسم **اللهجة المحكية** في كل قطر من أقطاره مؤكدا على أنه برغم الاخفاق الذي مني به أولئك الدعاة بعد أن تكشفت سوآتهم، إلا أنه ما زالت منهم بقية في أقطار معينة تعمل

على مناهضة الفصحى، متخذة وسائل متنوعة سالكة سبلا مختلفة...معلنا أن **منهم من يعارض التعليم باللغة العربية بحجج ظاهرها فيه الرحمة وباطنها من قبله العذاب...»**

وأنهى الباحث حديثه بقوله: «إن الذي ثبت واستبان للباحثين في علم اللغة من الوجهة الاجتماعية ان وحدة اللغة في الأمة دليل على تقدمها الفكري وبرهان على حيوتها وهي معيار استعدادها لاستيعاب الأفكار الجديدة، وقدرتها على التعبير الدقيق عن تلك الأفكار والمشاعر الإنسانية الصادقة».

وأهاب الباحث أخيرا بالأمة العربية **التمسك بالفصحى والوقوف في وجه كل من يحاول الإساءة إليها بكل حزم وقوة.**

وشكر الرئيس الدكتور ابراهيم مدكور للباحث الامتاع في حديثه، مؤكدا على أن العهد المليء بالمآسي الذي أشار إليه لن يعود مرة أخرى، **وأن العالم العربي اليوم يحسّ بأن العربية هي لغته كتابة وحديثا**، وعليه أن يحافظ عليها ويحقق التقدم بها والارتفاع بمستوى الحديث بها في شؤون الحياة جميعها.

وعلق الدكتور أحمد عز الدين عبد الله على البحث ذاكرا أن تعدد اللهجات في اللغة الواحدة أمر مألوف وشائع، ونفي أن يشكل أي خطر على مكانه الفصحى وأرجع ضعف الطلاب بالعربية الى المدارس التي تعلموا فيها، مؤكدا على ضرورة اتقان اللغات الأجنبية للتحصيل العالي مدعيا أن الاستعمار في افريقية إنما فرض لغته لأنه لم يجد لغة قومية واحدة يتفاهم بها أبناء القبائل المختلفة.

وأثارت فكرة الدكتور عبد الله الأخيرة موجه من التعليقات الصاخبة، اشترك فيها الأساتذة محمد الفاسي وعبد الكريم خليفة وحسين مؤنس الذي أيد الباحث ومن والاه وقال: **إن الاستعمار يقصد قصدا إلى القضاء على لغتنا العربية، حتى يتسنى له بعد ذلك القضاء على الاسلام، وهناك سياسة مرسومة للقضاء على بقايا لغتنا العربية في البلاد الافريقية»** وأنهى تعليقه بأن اقترح على المؤتمر المبادرة الى توصية بانشاء معهد أو أكثر لتدريس العربية في كل بلد افريقي.

وعلق الدكتور أحمد السعيد سليمان على البحث ومما قاله: «**... من جرائم الاستعمار في البلاد العربية نفسها** أن السير ديميسون روسي الانكليزي ورد على القاهرة

سنة ١٩٣٢ وقابل الملك فؤادا، واقترح عليه في خبث ودهاء **أن تكتب اللغة العربية بالحروف اللاتينية، كما فعل مصطفى كمال أتاتورك باللغة التركية** التي كانت تكتب بالحروف العربية وصارت تكتب الآن بالحروف اللاتينية، وزعم (السير) للملك فؤاد أن هذا التغيير في اللغة التركية كاد يمحو الأمية في تركية، ولولا أن الملك فؤاداً **كان حسن الاسلام وغيورا على اللغة العربية رغم ما في عروقه من دم تركي مسلم**، لاستجاب له.

وأبان الدكتور ابراهيم مدكور عن موقف المجمع برفضه الجازم فكرة استبدال الحروف اللاتينية بالحروف العربية. ودافع الدكتور أحمد عز الدين عبد الله عن موقف عبد العزيز فهمي الذي لا يشك أحد في وطنيته، وأنه ما دعا إلى تبني الحروف اللاتينية إلا بناء على اقتناع شخصي غير متأثر برأي أحد ما..!

وأكد الدكتور شوقي ضيف منزلة الفصحى في يومنا الحاضر مشيداً **بجهود مجامع اللغة العربية في هذا الميدان، مبشرا بيوم تتراجع فيه العامية وتسود الفصحى** لغة للحياة في كل مناحيها...

٣ - ما زال تراثنا العربي منارة للفكر- حديث ألقاه الأستاذ عبد الرزاق البصير عضو المجمع المراسل من الكويت، حدد فيه المعنى المقصود من لفظه (**تراث**) ثم حمد الله على أن التراث العربي، رغم ما حلّ به من كوارث، ما زالت بقاياه تدعو للفخر والاعتزاز، وأن إحياءه اليوم عنوان يقظة الأمة العربية وحيوتها.

وتكلم الباحث عن التطور الذي رافق تحقيق كتب التراث الى حد أصبح معه التحقيق علما قائما بنفسه لا يمارسه إلا المتخصصون، وعرض أمثلة غريبة من كتب محققة في أوقات متفاوتة أو من التي تعاور على تحقيقها أكثر من محقق واحد.

وأتى الباحث على ذكر ما حقق من كتب التراث التي أثرت المكتبة العربية، ودلت على عمق في التفكير وحرية في الرأي، وهي تثبت مساهمة العرب والمسلمين في تنمية الحضارة الانسانية في الآداب والعلوم والفنون. وأنهى الباحث حديثه متمنيا على المؤتمر أن يصدر توصية بتنظيم تحقيق التراث وتنسيق جهود المحققين دفعا لهدر بعضها عندما يكررون تحقيق مادة واحدة.

وتولى الاستاذ عبد السلام هارون، كبير محققي التراث الشكر للباحث، مبينا فوائد ازدواجية التحقيق وصعوبة الحيلولة دونه، وأيده في هذا الدكتور عبد الواحد وافي.

٤ – **التراث العربي والمعاصرة**: بحث أعده وألقاه الدكتور يوسف عز الدين عضو المجمع المراسل من العراق، وقد استهله بقوله: **الجديد والقديم، والتراث والمعاصرة، والمحافظة والتجديد سمة كل عصر، وطبيعة كل تطور في الحياة، ومظهر كل تبدل في معايير الحضارات التي عمت وجه الأرض.**

وأشار الباحث إلى طبيعة معارك الفكر والمتناقضات الكثيرة في المجتمعات النامية، وطفق يبين محتوى التراث العربي، وقد ضاع جزء كبير منه من جراء الغزوات المتعددة، حتى إذا ما استيقظ العرب من سباتهم وكانوا قد تعرفوا على حضارة الغرب، انقسم المفكرون فيهم بين معتز بعروبته شديد التمسك بتراثها أو عازف عنه، وبين مستغرب مستخف بالشرق وبالتراث العربي بعد أن بهرته أنوار الحضارة الغربية، بينما هذا كله بنظر الغرب على ما قال الشاعر العربي:

ان العروبة لفظ إن نطقت به فالشرق معناه والاسلام والضاد

ثم عرّج الباحث على التراث العربي يقومه ويبين ما فيه من جيد وحسن وسيء، داعيا إلى غربلته والاستفادة من جيدة في حياتنا المعاصرة مؤكدا على أنه لن يتم هذا الهدف الكبير، إلا إذا وعينا هذا التراث وفهمنا واقعه الحضاري **باحصاء شامل للجيد منه والمبدع** الذي برز فيه المفيد الذي يساير الحياة المعاصرة من شعر ونثر وفكر وفلسفة وفن وعلم صرف ونقد بناء».

ثم دعا الباحث إلى احتواء الحضارة الغربية، ونبذ الخوف منها إذ فيها النافع المفيد وما لا يمكن الاستغناء عنه في الحياة المعاصرة، عارضا نبذاً من كتب الرواد الذين واجهوا الحضارة الغربية عندما ابتعثوا إلى أوروبة لتلقي العلم فيها، كما استشهد بأقوال كثير من المفكرين مستغربين كانوا أو محافظين ذاكرا بعض الطرائف التقطها من كتب الأوائل منهم.

وعلق الدكتور أحمد السعيد سليمان على ماورد في البحث من استهجان اعراض العرب والمسلمين عن الاخذ من حضارة الغرب المشار اليه في البحث مبينا أن هذا الاعراض **لم يكن الا نتيجة للحروب الصليبية**

وعلق الاستاذ محمد الفاسي قائلا: « بخصوص أخذ العرب والمسلمين عن الغرب ثم عدولهم عنه بعد ذلك السبب **أننا كنا في موقف قوة وحضارة وشموخ، أما في العصر الحديث فإننا في موقف ضعيف**».

٥ - **إحياء التراث في المملكة العربية السعودية** بحث ألقاه الاستاذ عبد الله بن خميس عضو المجمع المراسل من المملكة العربية السعودية عرض فيه صورة شاملة مستفيضة عن حركة إحياء التراث العربي الاسلامي في المملكة في النصف الثاني من القرن الرابع عشر **وكان حديثا طريفا عن النشاط المحمود القائم في الجزيرة العربية** قدم المؤتمرون عقبه الشكر للباحث عليه.

٦ - **التراث العربي ورؤية الأوروبي له أمس واليوم**: بحث ألقاه الأستاذ جمال محمد أحمد عضو المجمع المراسل من السودان، تكلم فيه عن أثر الاستعمار الغربي في أواسط القارة الافريقية التي كان الإسلام قد تغلغل فيها، ثم عما صنعه التبشير ورجاله للحد من إنتشاره، وكيف جعلوا همهم الأول الإساءة إلى العرب والمسلمين معتمدين على قصص ألف ليلة وليلة للتشهير بالعرب والحط من حضارتهم.

واستشهد الباحث بعدد من الروايات الخيالية التي صدرت عن دور نشر أوروبية، قارئا بعض ما حوته من افتراءات وأكاذيب تشوه سمعة العربي عند قارئها الافريقي، **داعيا إلى العمل من أجل الوقوف في وجهها والقضاء على آثارها**.

وشكر الدكتور مجدي وهبه للباحث، في تعليقه على الحديث غوصه في «أعماق حساسية العصر الذي نعيش فيه والأوهام التي تميزه « وتسيطر على السياسة فيه، مؤكدا على أن **رؤية الافريقي بمختلف ألوان بشرته لا تتفق تماما مع رؤية المبشر الأوروبي. فالأول يتكلم عن تجارب تاريخية حقيقية في حين أن الثاني قد يكون مستسلما**

لمقتضيات دعواه التبشيرية ...» ثم قال: «..إن الكتّاب والروائيين الذين ذكرهم الأخ جمال محمد أحمد **كلهم من الصهيونيين الذين اتخذوا من قصصهم أداة بينة للدعاية الصهيونية المعاصرة**» إلى أن قال: « ...نحن في أشد الحاجة إلى رصد وتسجيل الترجمات من التراث العربي قديمة وحديثة».

وعلق الدكتور أحمد عز الدين عبد الله وقال: « إن العداء والصراع والتباين والتناحر بين الشعوب هي أمور صاحبت المجتمعات البشرية منذ بدء الخليقة..» إلى أن قال: « يجب أن لا ننتظر من شعوب العالم المتقدم أن يتقدموا لإصلاح أمورنا ،**وإنما يجب علينا أن نفتش عن عيوبنا وأن نعالج هذه العيوب** » وختم تعليقه بقوله: « إن الرجوع إلى التراث أمر واجب، وانما يكون ذلك بالقدر الذي يفيدنا في حاضرنا..»

٧- **حوار بين شعراء العرب الكبار**،تخيل الشاعر الطبيب حسن علي إبراهيم عضو المجمع أنه قد دار بين كل من أبي تمام والبحتري والمتنبي وأبي العلاء المعري، فجاء الشاعر بثلاثة وخمسين بيتا منها: ستة أبيات على لسان أبي تمام، وتسعة على لسان البحتري، واثنا عشر على لسان أبي تمام، وتسعة على لسان البحتري، واثنا عشر على لسان المتنبي، وتسعة عشر بيتا على لسان أبي العلاء المعري، وقد تفاخر كل واحد منهم بما عنده من أبواب الشعر التي عرفها تاريخ الأدب العربي، مدعيا الاجادة فيها، ومتنبئاً لشعره بالخلود ما دامت العربية خالدة ثم ختم الشاعر الحوار بسبعة أبيات على لسان الاربعة معاً، قال فيها:

لا يعرفُ الغيب حقا غيرُ خالقه	لكل فرد لدى خلاقه رُتَبُ
قلنا القريض، وهذي كل مقدرة	كانت لدينا، وإن الغيب محتجبُ
قد يذكر الناس ما قلت فينقلهُ	قوم لقوم، وقد يُنسى وينسحبُ
في الشعر كل له درب أعدّ له	كلّ له وطر في الشعر أو أربُ
لنترك الامر للأجيال إن رغبت	ولن نكون بذي الدنيا فنرتقب
لفظ ومعنى، لإبهار الأنـام به	هو القريض وقد قمنا بما يجب
من المخلّدُ فينا؟ ليس نعلمه	إنّا أجدنا، وإنّ الدهر ينتخبُ

وقد خلد الدهر شعرهم جميعا

٨ - **بين لغة القرآن ولغة الفلسفة**: بحث ألقاه الدكتور توفيق الطويل عضو المجمع، مهد له بقوله: « إن الهدف من هذا الحديث هو محاولة الكشف عن أهم الخصائص التي تميز لغة القرآن، باعتباره وحيا من الله على من اصطفاه رسولاً لهداية البشر، والكشف عن أهم الخصائص التي تميز اللغة التي يصطنعها الفلاسفة للتعبير عن أفكارهم ومذاهبهم »، ثم نفى عن نفسه ان يكون قد تورط التورط الذي وقع فيه رشيد رضا في تقديمه لكتاب (**اعجاز القرآن**) **لمصطفى صادق الرافعي**.

وتكلم الباحث عن صلة الفكر باللغة، مؤكدا على أن القرآن ليس كتابا في الفلسفة، رادا على ماجاء به محمود يوسف موسى في كتابه (**القرآن والفلسفة**)، ثم تحدث عن (**لغة القرآن الكريم**) التي تحدى بها الله العرب وهم أئمة البيان، وقد أعجزتهم معارضته قائلا: «**أو ظل القرآن طوال الأربعة عشر قرنا بعيدا عن التحريف، واعترف بذلك المنصفون من المستشرقين**» مسميا بعضهم مثل (نولدكه) و (لوبلوا)، ثم تحدث عن (لغة الفلسفة) و (مكان اللغة من الفلسفات المعاصرة وعن (**وهم الاعتقاد في التعارض بين الفلسفة والدين**) وأفاض في الكلام عن (التقاء الفلسفة بالدين)، وعن (موقف فلاسفة الإسلام في العصور الوسطى).

وختم الباحث حديثه بقوله: « ... **فلغة القرآن وحي إلهي لم يطرأ عليها تغيير أو تطور، وهي تخاطب العقل والوجدان**، وتستهدف التأثير في قلوب الناس، ومن هنا جاء إعجازها البلاغي، بينما نرى أن لغة الفلاسفة من وضع بشري، وهي تختلف باختلافهم ولا تتفق إلا في أنها **تخاطب العقل دون الوجدان**».

وما كاد الباحث ينهي كلامه حتى طلب الدكتوب أحمد السعيد التعليق وقال: «لقد خشي الزميل أن يتورط تورط الشيخ رشيد رضا، ويخيل إلي أن السيد رشيد رضا لم يخطىء ولم يتورط حين قرظ كتاب (**اعجاز القرآن لمصطفى صادق الرافعي**). وأما عبارته التي قال فيها إن كل مسلم يقتني في مكتبته مصحفا يحسن به أن يقتني أيضا كتابا في إعجاز القرآن ليتذوق النص القرآني.. وقد سبق لسعد زغلول أن قال عن هذا الكتاب: «**كأنه تنزيل من التنزيل او قبس من آي الذكر الحكيم**»، وأنهى تعليقه بتبرئة رشيد رضا من التورط قائلا: « أما المستشرق نولدكه فلا يمكن إدراج اسمه في

قائمة المؤمنين بالقرآن **لأنه من ألد أعداء القرآن، وقد خص القرآن الكريم بكتاب (تاريخ القرآن)** كله بذاءة، وحصل على جائزة من الأكاديمية الفرنسية ..».

وعلق الأستاذ محمد الفاسي مؤيدا تبرئة رشيد رضا، وأما عن المستشرقين الذين ذكروا بأن القرآن لم يتغير ولم يتبدل فقال: **«انا لا أرى أحدا من المعتمدين ذكر خلاف هذا»** ثم أثنى على الطبيب الفرنسي موريس بوكاي الذي الف كتابا عن القرآن والإنجيل والتوراة وأعلن إسلامه.

وعارض الدكتور عمرو فروخ كلام الدكتور السعيد عن (نولدكه) قائلا: « ... إن موقفه من القرآن الكريم **لا غبار عليه بالنسبة لغيره من المستشرقين»** على كثرة أخطائه ثم قال: ..أنا شخصيا أكره كثيرا من المستشرقين، ولكن **هنالك نفرا من المسلمين أساءوا إلى القرآن أكثر مما أساء إليه المستشرقون...».**

وشكر الدكتور سليمان حزين للباحث **دراسته الممتعة مقترحا عليه تغيير عنوانها قائلا:** « ... العنوان عندما يوضع أمام الجمهور يؤدي إلى أن يفهم بعض الناس فهما خاطئا إذا لم يقرأوا البحث »، وقال عن المستشرق نولدكه: إنه « ككل المستشرقين لا يمكن أن ننتظر منه أن يدافع عن القرآن ».

ورد الباحث على منتقديه بقراءة النص الذي كتبه رشيد رضا من **الطبعة الثامنة من كتاب الرافعي**، ذاكرا بأن سعيدا العريان عندما أشرف على الطبعة التاسعة أباح لنفسه حذف الجملة غير المعقولة إلى جانب خروجه عن الأمانة العلمية في أمور أخرى.

٩ — **جانب العلم في ديوان امرىء القيس:** دراسة اعدها وألقاها الدكتور عمر فروخ عضو المجمع من لبنان استهلها بالحديث عن العلماء الذين شرحوا كتباً لعلماء سبقوهم، أو الذين شرحوا دواوين كبار الشعراء، أو علقوا عليها الحواشي أو الذيول ليجلوا غامضها ويسهّلوا فهمها، ثم عرض ماران على تحقيق الكتب في عصرنا من فساد يدفع إليه حبُ جني المال أو التطلع إلى الجاه أو لمجرد الكسل، وجاء بأمثلة عن كتب طبعت حديثا ثم ردّ على من يقول إن دراسة الأدب لاصلة لها بالعلم ولا بالدين ولا بالأخلاق.

وأكد الباحث على **أن الشرح أو التحقيق يجب أن يحوي جميع المعارف المستفادة من النص،** وهنا ضرب مثلا بشعر امرىء القيس واصفا الشاعر بأنه « كان مثقفا فيما يتعلق بالآراء التي كان يبذلها وبالمعارف التي يكشف ديوانه عنها ...» .

وجاء الباحث بأمثلة عديدة من ديوان امرىء القيس شارحا عدة أبيات مبينا ما فيها من علم بالفلك أو بالفيزياء أو ببعض جوانب من علوم أخرى، استخلصها الشاعر من تجاربه ومن دقة ملاحظته فقادته إلى (الحكم) في بعض شعره إلى أن قال: « وديوان امرىء القيس ليس كتاب تاريخ أو كتاب جغرافية **ولكنه مصدر مساعد لعلم الجغرافية او التاريخ»** وعدد الباحث أسماء عدة مدن وبلاد وردت في شعر امرىء القيس، كما فصل الكلام على عودته خائبا من رحلته القيصرية ففجأه الموت في الطريق، مبينا الأسباب المنطقية لخيبته .

وانتهى الباحث إلى القول: « إن كل ما أردته من بحثي هذا أن يولي الباحثون في الأدب عندنا جانب العلم اهتماما الى جانب اللغة والنحو، وان ينظروا الى النصوص الأدبية نفسها وما فيها إلى جانب نقلهم مختلف الروايات عنها » .

وتلقى الدكتور فروخ الشكر على بحثه من الرئيس وممن علّق على حديثه تعليقات هادئة تتصل بالجوانب العلمية التي أشار إليها، وكان من المشتركين بهذه التعليقات كل من الأساتذة: عبد الرزاق البصير ومجدي وهبة ومهدي علام وحامد جوهر .

١٠- أبعاد النجوم: حديث علمي خالص أطرف المؤتمرين به الدكتور حسن علي ابراهيم عضو المجمع، عارضا عليهم آخر ما توصل اليه العلماء من معرفة حول الفضاء الكوني اللامحدود، وجاء فيه بأرقام تذهل ذي اللبّ ولكنها تثبت عظمة مبدع الكون سبحانه وتعالى .

وزاد الباحث المؤتمرين امتاعا في رده على الذين علقوا على حديثه، وقد اشترك فيه كل من الأساتذة : يوسف عز الدين ومهدي علام وعمر فروخ ومحمود مختار وابراهيم الدمرداش .

١١- ملحمة بيولف ومكانتها من الأدب الأوروبي

دراسة أعدها وألقاها الدكتور مجدي وهبة، تحدث فيها عن الشعر في الآداب الانكليزية القديمة، مبينا أن الآثار الأدبية للعصر الوثني في الجزر البريطانية اندثرت ولم يبق منها إلا ما تناقله الرواة حتى تم تدوينه في العهد المسيحي.

ثم أتى على ذكر أبيات من الشعر القديم ذي الصبغة الدينية، والذي تبرز فيه أخبار القديسين، إلى أن أتى على ذكر ما يعرف ب **ملحمة بيولف** Beowulf والتي تبدو وثنية في روحها لولا ما تضمنته من استطرادات مسيحية بجذور ولولا التفسير المسيحي لوقائع حدثت قبل دخول المسيحية للبلاد.

وملحمة بيولف هي **أهم ما وصل إلى العصر الحديث من آثار شعراء الانكليز القدامى**، وعرض الباحث على المؤتمرين أقوال مؤرخي الأدب فيمن يكون صاحب الملحمة، وفي أي السنين عاش، وهل هي لشاعر واحد أم تعاور على نظمها عدد من الشعراء؟

ثم شرح الباحث الأحداث التي سجلتها الملحمة، وما يمكن أن يستنتج منها من عبر، وأنهى حديثه ببيان مكانة الملحمة في الأدب الأوربي، فاصلا فيما اختلف عليه بشأنها، مختتما الحديث بقوله: « والشاعر المسيحي الذي أنشأها كان متأثرا بالمسيحية تأثرا عميقا لذلك ....لم يقع اختياره إلا على الوقائع والقيم الجرمانية التي أقرتها المسيحية ليحتفظ من جانب بمجد الجرمان، وليحي من جانب آخر المسيحية التي يؤمن بها».

١٢- من كناشة النوادر: وهي الحلقة السابعة من سلسلة الأحاديث التي يلقيها الأستاذ عبد السلام هارون الامين العام للمجمع، في المؤتمر السنوي، تضم طرائف وأخبارا عثر عليها في كتب التراث، وتضمنت هذه السنة نبذاً عديدة، نقتطف منها النبذ التالية:

أ- اليوبيل

اليوبل كلمة عبرية معناها الأصيل هو (الكبش) وهو أيضا قرن الكبش الذي تصنع منه الأبواق التي يستعملها اليهود في أعيادهم ثم استعمل اللفظ من بعد بمعنى العيد،

ويأتي عندهم في السنة الخمسين لاستغلال الأرض وزرعها، إذ تنص التوراة على الراحة في السنة السابعة وترك الأرض وثمارها للعبيد والخدم والطيور، وتسمى هذه السنة السابعة (الشابوع)[٣] ودخول كلمة **اليوبيل** في لغة العرب قديم جدا، قدم تعريب التوراة في نحو سنة ٣٣٠ للهجرة، وهو تعريب سعيد بن يوسف الفيومي اليهودي المشهور بسعديا جاعون المتوفى سنة ٣٣١. وقد طبعت هذه الترجمة في باريس سنة ١٨٩٣م وهي طبعة درنبورج

وقد تطور اللفظ في العبرية الحديثة فاستحدث اليهود من اليوبيل انواعا:

اليوبيل الفضي: ومدته خمس وعشرون سنة

اليوبيل الذهبي : ومدته خمسون سنة

اليوبيل الألماسي: ومدته ستون سنة

اليوبيل الثمانيني: ومدته ثمانون سنة[٤]

---

(٣) جاء في قاموس الكتاب المقدس الطبعة الثانية بيروت ١٩٧١ ما يلي : (اليوبيل : اسم عبري معناه « قرن الخاروف ، بوق » ومعناها الاصلي النفخ بالبوق لأنهم كانوا ينفخون بالأبواق في يوم الكفارة في سنة اليوبيل وهي السنة التي تلي أسبوع الأسابيع اي سنة الخمسين وفي هذه السنة كان يعود الأشخاص والعائلات والعشائر إلى حالتهم الأسلية. فكان يحرر العبيد العبرانيو الاصل ، حتى الذين كانت تقب آذانهم ، وترد جميع الرهائن والاراضي الى أصحابها الأصليين، ما عدا البيوت في المدن المسورة...وكان اليوبيل تاج النظام السبتي. وكانت السبوت لراحة الانسان وتنمية الأحاسيس الروحية . وكانت السنين السبتية لراحة الأرض . وكان اليوبيل لراحة الجمهور...)

(٤) تذكر بعض المراجع القديمة أسماء أو صفات للأعياد التي يحتفل بها كل خمس أو عشر سنوات ، غير أن الحديث من المعاجم أو الموسوعات تكتفي بذكر صفات لثلاثة أعياد يحتفل فيها في العصر الحاضر كل خمس وعشرين سنة وهي التالية:

(١) العيد الفضي لمرور خمس وعشرين سنة
(٢) العيد الذهبي لمرور خمسين سنة
(٣) العيد الألماسي لمرور خمس وسبعين سنة.

ب – المخابرات

هذا اصطلاح محدث، إذ تقول الصحف في أخبارها: (كشف رجال المخابرات كذا وكذا..) وليست المخابرات ضربا واحدا أو نوعا معينا، بل تتنوع ضروبها، فمنها المخابرات العسكرية والبحرية والسياسية، ومخابرات الشرطة والثغور (الجمارك) إلى غير ذلك مما تتطلبه الدول في نظمها المختلفة. فماذا كانت التسمية في القديم لمثل هذا؟

عثرت على نص في كتاب الأغاني يرويه أبو الفرج عن المدائني:

أنه لما دارت الدوائر على آل برمك وأمر الرشيد بقتل الفضل بن يحيى فقتل وصلب، اجتاز به الرقاشي الشاعر وهو على الجذع فوقف يبكي أحر بكاء ثم أنشأ يقول:

أما والله لولا خوف واش وعين للخليفة لا تنام
لطفنا حول جذعك واستلمنا كما للناس بالحجر استلام
فما أبصرت قبلك يا ابن يحيى حساما حتفه السيف الحسام
على اللذات والدنيا جميعا ودولة آل برمك السلام

فكتب **أهل الاخبار** بذلك الى الرشيد فأحضره فقال له: ما حملك على ما قلت؟ فقال: يأمير المؤمنين، كان إليّ محسنا، فلما رأيته على الحال التي هو عليها حركني احسانه، فما ملكت نفسي حتى قلت الذي قلته. قال وكم كان يجري عليك؟ قال: ألف دينار في كل سنة. قال فإنا قد أضعفناها لك.

ونظير هذا النص ما ورد في تاريخ الطبري:

وذكر بعضهم أن عبد الله **كان على خبر الناس للرشيد** فكان أخبره عن أنس بن أبي شيخ أنه على الزندقة فقتله لذلك، وكان أحد أصحاب البرامكة.

ولا ريب أن مدلول **أهل الاخبار** ومدلول **كان على الناس** يعني **الرجال المعينين لما يسمى اليوم عندنا بالمخابرات**.

ج – الحرامية

بمعنى اللصوص كلمة عربية صحيحة نسبة **إلى الحرام ضد الحلال**، والسرقة إحدى الكبائر التي توجب الحدّ، فالحرامي: الذي يأكل المال الحرام المغتصب بالسرقة، واللفظ مولد صحيح، وقد وجدت استعماله في كامل ابن الأثير المتوفى سنة ٦٣٠ في حوادث ٤٨٢ يقول: وفي هذه السنة **قطعت الحرامية الطريق على قفل كبير** [٥] بولاية حلب، فركب آق سنقر في جماعة من عسكره فتبعهم، ولم يزل حتى اخذهم وقتلهم فأمنت الطريق بولايته.

د – الشاطر والمشطور

هذه الدعاية التي تندرّ بها القوم على مجمعنا هذا الموقر، إذ يقولون ظلما إنه ابتدع للشطيرة لقبا خاصا هو (**شاطر ومشطور وبينهما طازج**) وقد يظن السادرون أن الشطائر أمر جديد مستورد من الخارج، وليس الأمر كذلك، فالشطائر قد عرفها العرب وصنعوها في زمان قديم.

يروي الطبري في حوادث سنة ١٧٠ عن عبد الله بن مالك والي الشرطة في أيام المهدي الخليفة، أنه لما آلت الخلافة إلى ولده الهادي، وكان الهادي موتوراً منه لتضييقه عليه في أيام والده المهدي. يقول عبد الله هذا وهو يصف دخول الهادي عليه في منزله:

فإني لجالس وبين يدي بنية لي في وقتي ذلك، والكانون بين يدي ورقاق أشطره بكامخ وأسخنه وأضعه للصبية، وإذا ضجة عظيمة حتى توهمت أن الدنيا قد اقتلعت وتزلزلت بوقع الحوافر وكثرة الضوضاء، ووافاني من أمره ما تخوفت، فإذا الباب قد فتح، وإذا الخدم قد دخلوا وإذا أمير المؤمنين على حمار في وسطهم، فما رأيته وثبت من مجلسي مبادرا...

---

(٥) القفل محركة القافلة

ويستمر والي الشرطة في تصوير ذلك الفراغ الذي انتهى بطلب الخليفة منه أن يطعمه ما يطعم، وذلك ليزيل وحشته.

وقال: فأدنيت إليه ذلك الرقاق وتلك السُكُرَّجة التي فيها الكامخ فأكل منها...

١٣- مقدمة ابن خلدون: دراسة مطولة اعدها الدكتور علي عبد الواحد وافي عضو المجمع، استهلها بتحديد ما يطلق عليه اسم (مقدمة ابن خلدون)[٦] مبينا أن أغراض ابن خلدون من دراسة الظواهر الاجتماعية، **هي الكشف عن القوانين التي تخضع لها** الظواهر، مؤكدا على أن اتجاه ابن خلدون في دراسته **اتجاه جديد لم يعرض له أحد من قبل**

وبيّن الباحث أن من دراسة ابن خلدون لظواهر الاجتماع يتكون علم جديد لم يتطرق إليه أحد من قبل، وقد أطلق عليه ابن خلدون اسم (**علم العمران**) و(**الاجتماع الانساني**) وهو علم يتفق كل الاتفاق في موضوعه وأغراضه مع ما يسمى الان **علم الاجتماع** لهذا يكون ابن خلدون هو المنشىء الأول لهذا العلم وليس أحد علماء الإفرنج، كما يدعي كثير من علماء الغرب.

ومن ثم عرض الباحث رأي ابن خلدون وزبدته: إن ما تمتاز به ظواهر الاجتماع الانساني أنها لا تجمد على حال واحدة. بل تختلف أوضاعها باختلاف المجتمعات والأمم والشعوب كما تختلف في المجتمع الواحد باختلاف العصور.

ثم أوضح الباحث للمؤتمرين منهج ابن خلدون في البحث وطريقته في عرض الحقائق، وما اعتور استقراءه من نقص في شؤون السياسة والحكم، لأن ما انتهى إليه فيهما لا يصدق إلا على الأمم والشعوب التي درس ظواهرها الاجتماعية.

---

(٦) قام الدكتور علي عبد الواحد وافي بتحقيق هذه المقدمة ومهدّ لتحقيقه بالتعريف بها وبمؤلفها، وأثبت الفصول والفقرات التي كانت ساقطة من جميع طبعاتها العربية القديمة، شارحا مسائلها معلقا عليها بنحو من ثلاثة الآف تعليق فجاءت المقدمة في ثلاثة أجزاء بلغ عدد صفحاتها الفا وخمسمئة صفحة - انظر الطبعة الثالثة الصادرة عن «دار نهضة مصر للطباعة والنشر» في القاهرة.

وضرب الباحث أمثلة عن مبالغة ابن خلدون في آثار البيئة الجغرافية ومبالغاته في آثار القادة والحكام في شؤون الحياة الاجتماعية، مؤكدا على **خطل رأي من اتهم ابن خلدون بالتحامل على العرب**(٧)، موضحا بأن ابن خلدون لا يقصد بلفظه (العرب) سوى معنى (الأعراب) الذين يعيشون في الخيام خارج المدن متنقلين من مكان إلى مكان طلبا للمرعى(٨).

ودافع الباحث عن ابن خلدون قائلا: « لا تثريب على ابن خلدون فيما وقع فيه من الأخطاء.. فما كان ينتظر من منشيء العلم أن ينشئه كاملا مبرءا من كل عيب... » ثم أنهى دراسته مؤكدا على أن البحوث الاستطرادية في المقدمة تدل على مكانة ابن خلدون العلمية قائلا: «... **إنه نسيج وحده في عالم العبقريات**، فقد أتى بمجمع ما أتى به ووصل إلى ما وصل إليه من شأو رفيع في ميادين الفكر والابتكار والتأليف ورسوخ القدم في معظم انواع المعارف السائدة في عصره مع اضطراب حياته وشدة كوارثها وكثرتها، ومع استئثار الوظائف الديوانية والسياسية والقضائية بمعظم وقته وجهوده في معظم مراحل حياته، ومع عدم إلمامه بأيه لغة أجنبية **لتيح له الاحتكاك بثقافة أخرى غير ثقافته العربية** ».

١٤- مؤرخ مصري مغمور: بحث ألقاه الأستاذ حمد الجاسر عضو المجمع من المملكة العربية السعودية، تحدث فيه عن مؤرخ عاش في القرن العاشر الهجري اسمه **عبد القادر بن محمد الانصاري الجزيري الحنبلي** كانت أسرته تعيش في الجزيرة الفراتية، وقد انتقل أحد أجداده في القرن الثامن إلى القاهرة. ترجم له بإيجاز صاحب كتاب (**السحب الوابلة على ضريح الحنابلة**) ترجمة شابتها أخطاء عديدة وعنها نقل كل من **الزركلي في أعلامه وبروكلمان في تاريخه** ترجمة المؤرخ الجزيري.

---

(٧) ذكر الباحث أن من هؤلاء المرحومين الدكتور طه حسين والاستاذ عبد الله عنان.

(٨) فات الباحث أن يشير إلى أن ساطع الحصري كان من أصحاب هذا الرأي. انظر دراسات عن مقدمة ابن خلدون بيروت ١٩٤٣ - انظر الطبعة الموسعة القاهرة ١٩٦١

ثم ترجم الباحث للمؤرخ المذكور ، فذكر تاريخ ولادته وشيوخه إلى أن قال عنه تولى «ديوان أمير الحاج ما يقرب من ستة وثلاثين عاما متفردا بولايته وقبل ذلك كان مشاركا لابيه أربعة عشر عاما. ألف في خلال تلك المدة كتابة (**الدرر الفرائد المنظمة في أخبار الحاج وطريق مكة المعظمة**) ووصف هذا الكتاب قائلا: ليس من المبالغة وصفه بأنه أوفى كتاب وصل إلينا عن كل ما يتعلق بأمور الحج منذ فرضه الله على عبادته حتى الثلث الأخير من القرن العاشر الهجري» إلى أن قال: وختم كتابه بتراجم لمشاهير من حج من الأعيان رجالا ونساء من عهد الخلفاء الراشدين حتى زمنه».

وأضاف الباحث إلى ما وصف به محتويات الكتاب قائلا: «وحوى هذا الكتاب لمحات ذات قيمة تاريخية عن أحوال مصر، وحوادثها في الدولة التركية ، مما شاهده المؤلف وعرفه، فقد عاصر استيلاء هذه الدولة على هذه البلاد منذ سنة ٩٢٣ وهو في الثالثة عشرة من عمره حتى تجاوز الخامسة والستين، بحيث يعتبر ما كتب عن بلاد مصر من اهم المصادر لدراسة تاريخها في تلك الحقبة من الزمن».

وبعد أن استشهد الباحث بأمثلة مما ورد في الكتاب قال: «وليس من المستبعد أن يكون من أسباب عدم انتشار هذا الكتاب وعدم شهرة مؤلفه ما فيه من نقد شديد لأولئك الولاة ، ووصف جوانب من أفعالهم، وتعرضه للكلام في العلماء من القضاة وغيرهم ووصفهم بالجهل» [٩].

١٥- العالم الموسوعي عبد الرحمن الفاسي: بحث ألقاه الأستاذ محمد الفاسي عضو المجمع من المغرب، وصف فيه الدور الذي كان لاسرة بني الجدّ الفهرية في نشر العلم بأصقاع الجزيرة والمغرب الأقصى مذ كانوا بالأندلس وبعد انتقالهم إلى فاس سنة ٨٠٠ للهجرة[١٠]

---

(٩) سبق للباحث أن تولى تحقيق ونشر هذا الكتاب ضمن منشورات دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر في الرياض وقد تم طبعه في مطبعة نهضة مصر بالقاهرة في سنة ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣ م، ويقع مع الفهارس في ثلاثة أجزاء و ٢٣١٤ صفحة، وهو كتاب ممتع ومفيد ، وكان محب الدين الخطيب طبع الكتاب نفسه قبل خمس وعشرين سنة عن مخطوطة شابها نقص على ما ورد في طبعته الجديدة.

(١٠) لمعرفة أصول هذه الأسرة وفروعها ورجالها وانتقالها من الأندلس إلى المغرب انظر كتاب « عناية أولي المجد بذكر آل الفاسي ابن الجدّ » تأليف مولاي سليمان بن سيدي محمد، المطبعة بفاس ١٣٤٧هـ.

ثم ترجم الباحث لشيخ الاسلام أبي السعود عبد القادر بن علي المتوفي سنة ١٠٩١هـ وأبو السعود هذا هو والد العالم الموسوعي عبد الرحمن المترجم له والملقب بسيوطي زمانه لكثرة تآليفه في مختلف العلوم والفنون الشائعة في عصره.

وعدد الباحث المراجع التي استقى منها الترجمة، ثم ألحق ببحثه قائمة بتآليف أبي زيد عبد الرحمن بن عبد القادر الفاسي، أحصاها ابنه أبو عبد الله في كتاب أسماه (اللؤلؤ والمرجان في مناقب الشيخ عبد الرحمن)، وقد بلغ تعدادها اثنين وتسعين ومئة بين مؤلف وشرح واختصار لكتاب

١٦- الشعر الحرّ بين التراث الشعري والحداثة - محاضرة ألقاها الدكتور شوقي ضيف عضو المجمع على المؤتمرين ونخبه من أهل الفكر والأدب، عرض فيها للتطور الذي طرأ على الشعر والأدب بصورة عامة وفي العصر الحاضر بصورة خاصة تبعا للتقدم الحضاري.

وبين المحاضر دوافع التحلل من أوزان الشعر العمودي، وما نتج عن ذلك، واختلاف الرأي فيه وفي وصفه وانتهى إلى القول بأنه لا يمكن إخراجه جملة واحدة من دائرة الشعر، على ما ينادي به بعض كبار الشعراء والنقاد، إذ إن بعضه لا يخلو من الموسيقى وفيه أمائر تدل على شاعرية صاحبه من صدق وشعور مرهف.

وانقسم المعلقون على هذه المحاضرة بين مؤيد للمحاضر في آرائه المعتدلة، وكان منهم الأساتذة مهدي علام ويوسف عز الدين وعبد الله بن خميس، بينما هاجم كثيرون وبعضهم بشيء من العنف ما يدعى بالشعر الحرّ وما هو من الشعر على شيء وكان منهم الأساتذة عز الدين عبد الله وتمام حسان وأحمد عبد الستار الجواري وابراهيم الدمرداش وعمر فروخ الذي نعى على المحاضر عدم وقوفه فيما أبداه من رأي، لا في النور ولا في الظل.

خامسا الرموز والدلالات العلمية العربية

قُدّم إلى المؤتمر تقرير جاء فيه : « أجرت لجان العلوم الفيزيقية (الرياضة والفيزيقا والكيميا) دراسة شاملة في موضوع توحيد الرموز والوحدات والدلالات في اللغة العلمية عامة وفي علوم الرياضيات والفيزيقا والكيمياء خاصة وهي العلوم التي يكثر فيها استخدام هذه الرموز والوحدات في أعمال التدريس والكتابة العلمية .

وقد بنيت الدراسة على أسس ثلاثة هي :

١- الالتزام بما استقر استخدامه من الحروف والرموز والألفاظ العربية على مدى طويل في المجالات العلمية كافة .

٢ - استيفاء متطلبات العلوم الحديثة لكمّ هائل من الرموز والألفاظ الاصطلاحية .

٣- قابلية الرموز والألفاظ للاستخدام الميسر وتوافقها مع مقابلاتها الدولية ما أمكن» .

وبعد شرح المشروع المقدم مع التقرير ، علق الدكتور عبد الكريم خليفة عضو المجمع من الاردن بأن لدى المجمع الاردني مشروعا مقابلا سيناقش في ندوة يعقدها في عمان اتحاد المجامع العربية ، واقترح تأجيل البحث في المشروع المقدم .

وقال الدكتور إبراهيم مدكور رئيس المؤتمر : «إن مشروع المجمع الأردني كان حافزا لهذا المشروع المصري ، ودراسته مفيدة كما يمكن اعتبار هذا المشروع ورقة عمل تضم الى ملف ندوة اتحاد المجامع » فوافق المؤتمرون على هذا .

سادسا المعجم الكبير

عُرض على المؤتمرين الفصل الذي أتمّ مجلس المجمع دراسته من المعجم الكبير وهو الفصل المبتدىء من أول (الحاء والتاء وما يثلثهما) إلى آخر مادة في (ح ذ و - ي) .

واستمع المؤتمرون إلى كلمة ألقاها الدكتور مهدي علام مقرر لجنة المعجم الكبير عدد فيها المعاجم التي أصدرها المجمع **والمواد التي انتهى تحريرها من المعجم الكبير مشيدا بأعوانه في اعداد هذه المواد .**

وبعد أن استمع المؤتمرون الى ملاحظات كل من الأساتذة : أحمد عبد الستار الجواري وحسني سبح وعبدالله بن خميس وحمد الجاسر وعبد السلام هارون ، قرروا احالتها إلى اللجنة المختصة للنظر فيها .

سابعا : أعمال لجنة الأصول

عُرضت على المؤتمرين أعمال لجنة الأصول التي أقرها مجلس المجمع ووافق على عرضها على المؤتمر ، وتتضمن المسائل التسعة التالية :

المسألة الأولى: إعراب الاسم المرفوع بعد إن الشرطية.

قرار اللجنة:

«يجيء الاسم مرفوعا بعد إن الشرطية أحيانا في نصوص كثيرة في القرآن والشعر وللنحاة في إعرابه رأيان :

أ- رأي البصريين وهو أن هذا الاسم فاعل لفعل محذوف يفسره المذكور .

ب - ورأي الاخفش والكوفيين أنه مبتدأ.

واللجنة تؤثر الأخذ بالرأي الثاني ، لأن فيه أخذا بالظاهر واستغناء عن تقدير ما لا يحتاج إليه الكلام ، وتيسيرا على المعلمين والمتعلمين وتنظيرا بين إن ، وإذا الشرطيتين في مثل هذا الاستعمال» .

وبعد شرح الأسباب الموجبة التي جاءت في المذكرة التي قدمها الأستاذ عبد العليم السيد فودة الخبير في اللجنة **وافق المؤتمرون على القرار .**

المسألة الثانية: إعراب الاسم المرفوع بعد لو الشرطية:

قرار اللجنة:

«يقع بعد لو الشرطية الاسم الصريح مرفوعا بفعل ، وذلك كثير في القرآن والشعر القديم

أ – وكثير من النحاة يرون هذا الاسم فاعلا لفعل محذوف يفسره المذكور.
ب – وآخرون (منهم سيبويه وغيره) يرون إعرابه مبتدأ.

واللجنة تؤثر الرأي الأخير ، لأن فيه استغناء عن تقدير ما لا يحتاج إليه الكلام ، وأخذا بالظاهر ، وتيسيرا على المتعلمين ، وتنظيرا (للو) بإن وإذا في مثل هذا الاستعمال » .

وبعد شرح الأسباب الموجبة التي تضمنتها مذكرة الأستاذ عبد العليم السيد فودة خبير اللجنة **وافق المؤتمرون على هذا القرار.**

المسألة الثالثة :

(أفعال بصيغة (تمفعل) قديمة وحديثة .

قرار اللجنة

« تدعو الحاجة الى اشتقاق صيغ على وزن (تمفعل من كلمات مزيد فيها الميم على حسبان الميم أصلية مثل :
(تمحور – تمركز – تمفصل)

وعلى الرغم من أن ذلك لا يجري على القواعد المروية عن علماء اللغة التي تلزم بالرجوع إلى الفعل المجرد للصوغ منه فقد ورد في مسموع العربية ما روعي فيه استبقاء الحرف الزائد وبخاصة الميم عند الاشتقاق كما في :
(تمسكن – تمندل – تمنطق)

وقد علل فقهاء العربية ذلك بأن فيه استبقاء للمعنى ، وصيانة له من الاشتراك يضاف إلى هذا أن المجمع قد اتخذ من قبل قرارين بالاجازة باعتبار توهم الحرف الزائد أصليا وطوعا لذلك لا ترى اللجنة بأسا في إجازة ما يشيع في التعبير العلمي من هذا القبيل ...»

وبعد شرح الأسباب الموجبة التي ذكرها الدكتور شوقي ضيف في مذكرته **وافق المؤتمرون على قرار اللجنة المعدل من قبل المجلس.**

المسألة الرابعة:

قياسية صيغ المبالغة

قرار اللجنة:

«درج المؤلفون المحدثون في نحو العربية على القول بأن صيغ المبالغة سماعية كلها، كما جرت على ذلك كتب القواعد التعليمية في معظم البلاد العربية، وبخاصة مصر، وفي جمهرة كتب النحو المتداولة أنها تصاغ من الأفعال المتعدية.

ورعيا لما عرض له المجمع من قبل من القول بقياسية صوغ فَعَال وفَعُول من اللازم والمتعدي وهما من صيغ المبالغة الخمس المشهورة، وكذلك قياسية صوغ فعيل من اللازم والمتعدي، وصوغ فُعِلة باطلاق وهما من صيغ المبالغة غير المشهورة، واستظهاراً بما نقل عن البصريين من أن الأمثلة الخمسة منقاسة في كل ثلاثي متعد، وبما ورد به السماع بكثرة من اللازم.

ترى اللجنة إجازة القول بقياسية صوغ أمثلة المبالغة من الأفعال الثلاثية متعدية ولازمة».

وبعد شرح الأسباب الموجبة التي تضمنتها مذكرة الأستاذ محمد شوقي أمين وافق **المؤتمرون على قرار اللجنة.**

المسألة الخامسة:

صيغتا فَعِيل وفَعِل من صيغ الصفة المشبهة

قرار اللجنة:

«ترى اللجنة مع تسليمها بأن صيغ المبالغة الخمس قياسية في اللازم والمتعدي أن صيغتي فَعِيل وفَعِل من صيغ الصفة المشبهة الدالة على الثبوت والاستمرار لاطراد قياسها فيها ...»».

وبعد شرح الأسباب الموجبة الواردة في مذكرة الدكتور شوقي ضيف **وافق المؤتمر على قرار اللجنة.**

المسألة السادسة:

تيسير تذكير اسم العدد وتأنيثه
إذا كان المعدود مذكر اللفظ مؤنث المعنى أو العكس

قرار اللجنة:

«السائد المتعارف في قواعد العربية في أحكام العدد هو المخالفة في التذكير والتأنيث بين أدنى العدد – وهو من الثلاثة إلى العشرة – ومعدوده، فيقال: ثلاثة رجال وثلاث بنات. ولكن الاستظهار لما قال به جمهرة النحاة فيما أثر عنهم يبين منه أن ما كان لفظه مذكراً ومعناه مؤنثا، وكذلك ما كان لفظه مؤنثاً ومعناه مذكراً، يجوز معه الوجهان: المطابقة والمخالفة بين أدنى العدد ومعدودة في التذكير والتأنيث، فيقال مثلا: خمسة عيون أو خمس عيون، شخوص فيقال: ثلاث شخوص أو ثلاثة شخوص، ويقال مثلا: أربع بطات، وأربعة بطات. وفي إجازة ذلك ما يرفع الحرج عمن يجده في مراعاة قاعدة المخالفة».

وبعد شرح الأسباب المذكورة في مذكرة الأستاذ محمد شوقي أمين **وافق المؤتمرون على قرار اللجنة.**

المسألة السابعة:

(أ) تحقيق أفعال المطاوعة

قرار اللجنة:

«عبر جمهرة النحاة بأفعال المطاوعة – عن الأفعال التي تدل على قيام الفاعل بالفعل وقبول أثره – فهي بهذا التعبير تتناثر أحكامها وضوابطها في أبواب من النحو والصرف وفقه

اللغة، ومن ناحية التعدي واللزوم، ومن ناحية صيغها المتعددة، ومن ناحية دلالة الحروف الزائدة فيها.

ولما كان بعض النحاة قد عبر عن المطاوعة باللزوم فإن ذلك التعبير أجمع لشتات موضوعها وأبين في الدلالة عليها، إذ أن الفعل المسمى بالمطاوع ليس إلا فعلا تحوّل من فعل متعد إلى فعل لازم، ودلالة اللزوم وهي قيام الفاعل بالفعل وحدوث أثره فيه.

وعلى هذا يتسنى تحديد ضابط المطاوعة بأن الفعل المتعدي بتقاس تحويله إلى اللزوم في صيغ متعددة، تنحصر في ضوابط مقررة.(١١)

(ب) قياسية أفعال المطاوعة

قرار اللجنة:

«(أولا) صيغ قياسية:

١ - **انفعل** لكل فعل ثلاثي متعد دال على معالجة حسّية ما لم تكن فاء الفعل أحد حروف (ولنمر)

٢ - **افتعل** لكل فعل ثلاثي متعد إذا أريد به الدلالة على أصل الفعل مثل: حبست الماء فاحتبس، وكذلك لكل فعل ثلاثي دال على معالجة حسّية إذا كانت فاؤه أحد حروف (ولنمر)

٣ - **تفعّل** لكل فعل ثلاثي مضعف العين مطلقا مثل: علمته فتعلّم.

٤ - **تفعلل** لكل فعل على فعلل وما ألحق بها مثل: دحرجته فتدحرج.

(ثانيا): **صيغ غير قياسية:**

١ - **تفاعل** لكل فعل على صيغة فاعَل مثل: باعدته فتباعد وهي نادرة.

٢ - **فعل مثلثة العين:** لكل فعل مضعف العين مثل: قعدته فقعد وشجعته فشجع وعلمته فعلم، وهي صيغة نادرة تلتبس بدلالة الفعل الأصلية.

---

(١١) انظر الأسباب الموجبة في مذكرة الأستاذ محمد شوقي أمين، وفي الفقرة (ب) التالية نتيجة قرار اللجنة.

٣ – **أفعل** مثل: قشعت الريح السحاب فأقشع، وقد أنكرها الزمخشري وقال إنها للصيرورة.

٤ – استفعل مثل أحكمه فاستحكم، وأنكرها ابن هشام وقال إنها للصيرورة أيضا».

وبعد شرح مذكرة الدكتور شوقي ضيف عن (قياسية أفعال المطاوعة) ومذكرة الأستاذ محمد شوقي السابق الاشارة إليها عن (أفعال المطاوعة) **وافق المؤتمرون على قرار اللجنة**.

المسألة الثامنة:

في ضوابط الخبر

قرار اللجنة:

«تجمع الكتب النحوية التعليمية أو تكاد على أن الخبر يجب أن يطابق مبتدأه في أمرين: النوع والعدد، وهذا الضابط على اطلاقه يعارض ما يجري به الاستعمال الفصيح في منثور ومنظوم كما في قولك: الحياة نظام والبيت طبقات.

ولكي تتضمن ضوابط الخبر معظم الأمثلة من هذا القبيل يجب أن يحصر شرط التطابق في الخبر المشتق وحده ما هو بمنزلته، كما جاء ذلك في أقوال بعض النحاة».

وبعد شرح الأسباب الموجبة الواردة في مذكرة الأستاذ محمد شوقي أمين **وافق المؤتمرون على قرار اللجنة**.

المسألة التاسعة:

في ضوابط الحال

قرار اللجنة:

«المشهور في كتب النحو التعليمية بل الدراسية في تعريف الحال أنه لبيان هيئة الفاعل أو المفعول أو كليهما أو ما في معناهما وهذا الضابط النحوي لا يستوعب من الجملة الحالية ما رابطه الواو وحدها، كما في قولك تسلل اللص وأهل البيت نيام.

فالحال هنا ليست نفس صاحبها في المعنى، كما يقول بذلك أئمة من النحاة، والأمثلة على هذا تفوق الاحصاء، وهي سائغة ليس في فصاحتها جدال وعلى هذا يجب أن تتسع ضوابط الحال، فيقال:

إن الحال لبيان ما انبهم من هيئة تصاحب أو تلابس صاحب الحال من الفاعل أو المفعول أو كليهما».

وبعد شرح الأسباب الموجبة الواردة في مذكرة الأستاذ محمد شوقي أمين **وافق المؤتمرون على قرار اللجنة.**

ثامناً: أعمال لجنة الألفاظ والأساليب

نظر المؤتمرون في أعمال لجنة الألفاظ والأساليب التي وافق مجلس المجمع على عرضها على المؤتمر، وفيما يلي نص القرارات التي اتخذتها اللجنة، وموجز لما دار حولها من مناقشة، وما انتهى إليه المؤتمر بشأنها:

طمّن

قرار اللجنة:

«يجري في الاستعمال قولهم طمَّنه أي أدخل عليه الطمأنينة ومنه قولهم تطمين الخواطر أي تسكينها وتهدئتها، وقد يرد على هذا الاستعمال أن الوارد في اللغة إنما هو الفعل الرباعي طمأن وترى اللجنة تخريج الاستعمال الشائع طمَّن المضعف استنادا إلى وجود الصفة المشبهة وهي الطَّمِن الساكن كالمطمئن ووجه الترجيح أن المجمع أجاز استكمال مادة لغوية لم تذكر بقيتها في المعجمات، ولما كانت اللغة قد سجلت الصفة المشبهة فالفعل كما قال أبو علي الفارسي في الكف – وعلى هذا يقال طمَّنه أدخل عليه الطمأنينة – وطمَّنه تطمينا أدخل عليه الطمأنينة بمعنى طمأنه».

أعلن الأستاذ عبد السلام هارون رفضه للقرار لأن عامية الكلمة واضحة، وكانت تعليقات أخرى على شيء من الحدة اشترك فيها كل من الأساتذة محمد شوقي أمين

وشوقي ضيف ومحمود شاكر ومحمد الفاسي وحمد الجاسر وعند التصويت **قبلت الأكثرية قرار اللجنة** وطلب الأستاذ هارون تسجيل مخالفته.

٢ - المشبوهون - المشتبهون

قرار اللجنة:

«يشيع في الاستعمال التعبير بكلمة «المشبوه» وجمعها «المشبوهون» وكذلك مثل كلمة «حركات مشبوهة» والمراد بالمشبوه من حامت حوله ظنون السوء والانحراف عن السلوك المستقيم ويراد ذلك المعنى أيضا في دلالة «الحركات المشبوهة» وليس في اللغة فعل «شبَه» الثلاثي المتعدي ويمكن تخريج صيغة اسم المفعول أخذا من «الشُّبه» وهي اسم مصدر بمعنى «الاشتباه» باعتبار ذلك من قبيل استكمال المادة اللغوية، إعمالا للقرار المجمعي في هذا الموضوع على أن العربية تعرف فعل «اشتبه الشيء» بمعنى التبس وأشكل وكان مجالا للظّن أو الظِّنة ومنه «الأمور المشتبهات» أي التي يقع فيها الاشتباه فيقال «المشتبهون» و «الحركات المشتبهة» وفي ذلك تسويغ للشائع، وتنبيه إلى الاستعمال الفصيح».

وبعد تعليقات بين كل من الاستاذ محمد شوقي أمين من جهة، والأستاذين أحمد عبد الستار الجواري وعبد السلام هارون من جهة ثانية **قبل قرار اللجنة بالأكثرية**.

٣ - المرابي

قرار اللجنة:

«تشيع كلمة «المرابي» أي الذي يتعامل بالربا، ويعترض على هذه الصيغة بأن المسموع في اللغة، أربى فهو مرب. وترى اللجنة قبول تلك الصيغة إما على أن صيغة فاعل في اللغة تدل على الموالاة. وإما على أن صيغة أفعل تعاقب فاعل، كما في داينه بمعنى أدانه ويستأنس لقبول الكلمة بورودها في شعر المعري، إذ يقول:

أرابيك في الود الذي قد بذلته   وأضعف إن أجدى لديك رباء»

وبعد مناقشة سريعة **أعلن قبول قرار اللجنة**.

٤ - تمشيط المكان

قرار اللجنة:

«مما استحدث في التعبيرات العصرية قولهم: تمشيط المكان بمعنى تفتيشه ومعرفة ما يخفى فيه. ومع أن هذا التعبير مترجم فإنه في صيغته وفي دلالته ليس عن العربية ببعيد فهو من الفعل مَشَطَ الشعر خلله وسوّاه، وتضعيف الثلاثي للتكثير قياسي. وعلى هذا يجوز التمشيط».

وبعد تعليقات ظريفة، ذُكر أثناءها أن لفظه (إفتلى) المعجمية تتضمن المعنى المقصود، **قُبل قرار اللجنة**.

٥ - إجازة لحوق التاء بالأسماء في تعبيرات معاصرة

قرار اللجنة:

«من أشيع الكلمات في لغتنا المعاصرة هذه الأسماء: «اللوحة، النجمة، الوجهة، الفرخة، الطاسة، ويعترض على هذه الكلمات بأنها غير مسموعة وأنها أسماء دخلت عليها التاء التي لا تدخل قياسا إلا على الصفات وترى اللجنة قبولها على أن التاء فيها للدلالة على الوحدة أو التأكيد، وفي مسموع اللغة كثير من الأسماء ذوات التاء وقد سبق للمجمع أن أقر دخول تاء الوحدة على المصادر بلفظها باطلاق».

وبعد مناقشة سريعة **أعلن قبول قرار اللجنة بالاجماع**.

٦ - الطابق بمعنى الطبقة من البيت

قرار اللجنة:

« يستعمل المعاصرون كلمة الطابق للطبقة من المبنى ذي الطبقات، وهذا الاستعمال محدث في دلالته، وترى اللجنة إجازته حملاً على ما جاء في اللغة من قولهم: هذا الشيء وفق ذلك وطابقه بمعنى واحد، إذ كانت الطبقة مطابقة لما فوقها وما تحتها ».

وأعلن قبول قرار اللجنة بدون معارضة.

٧ - الرَفْرَف

قرار اللجنة:

« يستخدم المعاصرون كلمة (الرفرف) في معنى ما يحيط بجانبي السيارة، ولما كانت اللغة تثبت لمعنى الرفرف ما فضل عن الشيء وعُطِف، ومنه كِسر الخِبَاء، فاللجنة ترى إجازة ما يستعمله المعاصرون لما فيه من العلاقة بينه وبين المأثور ».

وأعلن قبول قرار اللجنة بدون معارضة. (١٢)

٨ - التحوير بمعنى التغيير

قرار اللجنة:

« درست اللجنة كلمة (التحوير) بمعنى التغيير في الشيء والتعديل فيه، وترى إجازتها بصيغتها لما في لسان العرب من قولهم حار الشيء إذا تغيّر من حال إلى حال على

---

(١٢) في هذا القرار تأييد لما ورد في المعجم الوسيط - الطبعة الثالثة - وكان المعجم في طبعته الأولى أثبت المعنى ولكنه أشار إلى أنه (مولد). وفي بلاد الشام يلفظون الكلمة بصيغة (رفراف) على الجناح الذي فوق عجلة السيارة، أو على ما يصنع للوقاية من المطر أو من حرّ الشمس.

أساس تضعيف عين الفعل للتعدية فيقال: حوّر الشيء تحويراً إذا غيّر فيه وعدّل، وبذلك يكون استعمال كلمة التحوير بمعنى التغيير في الشيء والتعديل فيه استعمالاً سائغاً».

وقبل المؤتمرون قرار اللجنة بالاجماع.

٩ - الأمن والأمان

قرار اللجنة:

«يجرى في الاستعمال الحديث قولهم (الأمن والأمان) متواليين في مقام واحد، ولما كان الأمن والأمان في اللغة بمعنى فإن الشُّبهة تعرض في استعمالها الحديث ولكن هذه الشُّبه تنجاب إذا لوحظ أن مقام استعمال كلمة (الأمن) وحدها هو مهمة الهيآت المحلية أو الدولية التي تتولى درء الجرائم أو الحروب عن المجتمع المحلي أو الدولي، أما استخدام (الأمان) وحده فهو بث الطمأنينة وبسط الاستقرار ونفي الخوف والقلق عن النفوس. ومن ثم يجاز اقتران كلمتي الأمن والأمان فتفيدان معا كلا المعنيين».

وجرت مناقشة حول هذا القرار بين كل من الأساتذة عز الدين عبد الله ومحمد شوقي أمين ومهدي علام، **انتهت بقبول القرار بالأكثرية.**

تاسعاً: أعمال لجنة اللهجات

تضمنت قرارات لجنة اللهجات في هذه الدورة الدراسات اللغوية الآتية:

أولا : الجزء الأول (من وجوه الاختلاف بين لغة الحجاز واللغات الأخرى، وآثار ذلك في اللهجات العامية المعاصرة)، استخلاصا من بحث للأستاذ الدكتور علي عبد الواحد وافي.

ثانيا : كلمات عامية يظن أنها غير عربية، استخلاصا من بحث للأستاذ محمد شوقي أمين.

ثالثا : التعاقب بين المضعف الثلاثي والمضعف الرباعي (المضعف والمضاعف)، استخلاصا من بحث للدكتور عبد الصبورشاهين.

رابعا : الحبال الصوتية الزائفة . مصطلح لهجي ، استخلاصا من بحث للدكتور عبد الصبور شاهين .

خامسا : تحقيق كلمة العلمانية صيغتها ومدلولها ، استخلاصا من بحوث للأستاذ الدكتور علي عبد الواحد وافي ، والأستاذ الدكتور مجدي وهبه ، والأستاذ الدكتور عبد الصبور شاهين .

غير أن مجلس المجمع لم يوافق إلا على ثلاث مسائل منها للعرض على المؤتمر ، وهي الأولى والثانية والخامسة ، أما المسألة الثالثة فلم يوافق المجلس على استحداث الفرق بين الجذرين المضعّف والمضاعف ، وفي المسألة الرابعة رئي استطلاع رأي اللجنة الطبية فيها .

وعندما عرض الأمر على المؤتمر ، وافق على المسألتين الأولى والثانية ، وأما الخامسة فقرر إعادتها الى المجلس لبحثها من جديد وبخاصة بعد أن تبين للمؤتمرين أن تعريف المعجم الوسيط للعلمانية اختلف في الطبعة الثالثة عما كان في الثانية .

عاشراً: توصيات المؤتمر واختتامه

عقد المؤتمرون جلستهم الختامية في السادس من رجب سنة ١٤٠٦هـ، الموافق للسابع عشر من آذار (مارس) سنة ١٩٨٦م، واستمعوا إلى تقرير الأمين العام الأستاذ عبد السلام هارون ، وقد تضمن موجزاً لما أنجزه المؤتمر في دورته القائمة ، كما تلا ما تلقاه من مقترحات الأعضاء وملاحظاتهم .

وبعد أن تداول المؤتمرون الرأي فيما قدّم إليهم من مقترحات وملاحظات أقروا بالاجماع ما يلي :

١ - يؤكد المؤتمر **توصياته السابقة** التي تنص على ضرورة العناية باللغة العربية في مراحل التعليم ، ولا سيما مرحلة التعليم الجامعي والعالي .

٢ - يوصي المؤتمر بضرورة الحرص على تعليم **قدر من القرآن الكريم حفظاً وتلاوة وتفسيراً** في مرحلة التعليم الأساسي .

٣ - يوصي المؤتمر بأن يلتزم المدرسون في مرحلة التعليم الأساسي **باللغة الفصحى في مختلف المواد**، حتى تتعود عليها الناشئة، مع العناية بعرض مختارات منتقاه من التراث العربي شعراً ونثراً ودراستها حتى تتمثل الناشئة الصياغة العربية السليمة.

٤ - يوصي المؤتمر بنشر ما وضعه المجمع من مصطلحات في مجال الحاسبات الالكترونية بهدف **توحيدها على امتداد الوطن العربي**.

٥ - يؤكد المؤتمر ضرورة العمل على توحيد المصطلحات العلمية في الوطن العربي، ويوصي بتكوين **هيئة قومية تتولى إنشاء مركز للمعلومات** تسجل فيه جميع المصطلحات العلمية باستخدام الآلات الحاسبة.

٦ - يوصي المؤتمر بأن تكون اللغة العربية السليمة، لغة المسرح **وبخاصة في مسارح الدولة**.

٧ - يدعو المؤتمر القادة والمسؤولين في الوطن العربي إلى **أن يحرصوا على أن تكون خطبهم الرسمية وكلماتهم إلى الجماهير بلغة عربية واضحة**.

٨ - تبليغ هذه المقررات والتوصيات إلى جميع الوزارات المختصة والجامعات والمجامع في أقطار الوطن العربي.

★

★ ★

وبعد تلاوة هذه التوصيات وإقرارها، أعلن الدكتور إبراهيم مدكور رئيس المؤتمر **ختام الدورة الثانية والخمسين**، شاكراً للمؤتمرين جهودهم، وللموظفين اسهامهم في إنجاح المؤتمر، متمنياً للأعضاء الوافدين على مصر والمشاركين في المؤتمر عودة إلى بلادهم ميمونة، آملا اللقاء بهم في العام القادم بإذن الله.

«شكري فيصل المتذوق الأمهر(١): مقاربته للأدب»

د. عبد النبي اصطيف
جامعة دمشق

أمارة وفاء

اسمحوا لي بادئ ذي بدء أن أحيي «اتحاد الكتاب العرب» ممثلا برئيسه، وأعضاء مكتبه التنفيذي، على هذه البادرة النبيلة التي تشي بالكثير من الوفاء لعضو بارز من أعضاء الاتحاد– الوفاء، هذه القيمة التي تخضع في أيامنا هذه إلى قسط كبير من الترشيد Rotioning، والتي تفتقدها في مختلف جوانب حياتنا، والثقافي منها على نحو خاص.

والحديث عن الوفاء في جلسة مخصصة لتأبين شكري فيصل ليس استطراداً تمليه اللياقة، لأن المرء إذا ما أباح لنفسه أن يغض طرفه عن كل ما قدمه الرجل، وهو أمر لا يجرؤ عليه إلا مكابر أو جحود، فإنه لن يستطيع أن يغض طرفه عن سمة واضحة وضوح الشمس فيه، هي وفاؤه الذي كان دينه ومعتقده حتى أنه طبع رؤيته للعالم. وغني عن القول أنه ترك بصمات واضحة على آثاره التي تبقى من أهم ما تركه للأجيال القادمة التي طالما أرقه مستقبلها.

ويتجلى هذا الوفاء أوضح ما يتجلى في مظهرين متصلين بعضهما ببعض هما.

١ – إشاراته التي لا يفتأ يكررها في مقدمات أعماله(*) لأساتيذه ولغيرهم ممن ساهم على نحو أو آخر في إخراج هذه الأعمال إلى النور، لا يغادر في ذلك حتى عمال المطبعة الذين نضدوا له حروف كتبه.

(*) يلاحظ المرء بأسف شديد هذه الأيام أن كثيراً من مقدمات الكتب الجامعية التي كانت رسائل جامعية– للماجستير والدكتوراة– تخلو من إشارة واضحة إلى أصولها، أو من تقدير لائق بمن أشرف عليها. وكأن هذه الإشارة، وذاك التقدير ينتقصان من قيمة ما فيها، أو مكانة مؤلفيها، ناسين أن قيمة أية رسالة جامعية تكمن– إضافة إلى جهد صاحبها– في منزلة الشيخ الذي قرأ صاحبها عليه.

٢ - أنه كان يبدأ في كل موضوع يطرقه من النقطة التي انتهى إليها الآخرون، وليس من نقطة الصفر، كما هو شأن الكثيرين من باحثي هذه الأيام الذي يجدون غضاضة في أن يعودوا إلى إسهامات غيرهم، ويراجعوا ما فيها ويستوعبوه ويكملوا بعد ذلك الشوط الذي بدأته، ولكنهم بالمقابل يدفعون ثمن ذلك تكراراً عقيماً، وجهداً بعيداً عن الجدوى، وسعياً محدود الثمار، وزرعاً ممجوج الأكل.

ورغم ذلك فإنه - رغم حرصه الشديد هذا على الوفاء للآخرين ممن سبقوه إلى دراسة أية ظاهرة أو قضية أو موضوع - لم يكن ليكتفي بمتابعة خطواتهم، والأنس بالآفاق التي حاولوا استشرافها، والقناعة بها. إذ إنه كان يحاول دائماً أن يتجاوزهم التجاوز الإيجابي الذي يعلم أن العصر الذهبي[٢] للإنسانية لم يمض بعد - كما ألح على ذلك أوفيد، وأنه قابع في نقطة ما، قريبة أو بعيدة من هذا التيار الجارف - الزمن، وأن السعي والجهد وحدهما الكفيلان ببلوغها.

خارجي يبحث عن هامش الأفضل

والواقع أن وراء مسعى شكري فيصل في مختلف الآفاق التي ارتادها تأليفاً وتحقيقاً، كان ثمة فكر ناقد على درجة سامية من الدقة والمرونة والمقدرة، **يؤمن بأن في كل عمل إنساني هامشاً للتطوير والتحسين وأن من واجب المرء أن يوجه مسعاه وجهده لتحقيق هذا الهامش**. ولعل هذا - فيما يبدو لي - كان سبب كون شكري فيصل في حياته كلها، ورغم كل ما يبديه من لطف ورقة وتهذيب ودماثة، الخارجي **the Outsider** الذي لا يرضى بوضع قائم على أنه الوضع النهائي، الوضع المثال والمآل، إذا ما استعرنا عبارة الدكتور أحمد عروة.

نعم كان خارجياً في الجامعة وفي المجمع وغيرهما، ليس لأنه يحب التفرد، ولو أحبه لغفرنا له، ولكن لأنه كان يعتقد بوجود هذا الهامش الذي أشرت إليه، ولأنه كان دائماً يحاول بلوغه، وإني لأشهد، كما يشهد غيري، أنه كثيراً ما بلغه.

وربما كان من أهم إجراءاته التي يستخدمها في مسعاه هذا :

١ – أنه كان يراجع ما سبق إليه ويحاول استيعاب ما فيه من مؤشرات إيجابية وسلبية .

٢ – وأنه كان بعد ذلك ينقده ما وسعه علمه وفكره وجهده ووقته وقدرته .

٣ – وأنه يمضي بعد هذا يقدم البديل، النموذج، يمهد السبيل به للآخرين.

٤ – وأنه في النهاية لا يفتأ يراجع هذا البديل بين الحين والآخر، يعاوده بالتنقيح والإضافة واستكمال النواقص، وسد الثغرات، ينظر إليه بعين ناقدة كما نظر من قبل إلى عمل غيره، باحثاً عن الأفضل دوماً يتجاوز به حتى نفسه، وقليل من هم كذلك .

إشارتـــان :

لست أريد أن أمضي طويلاً في هذا الحديث النظري عن شكري فيصل، ولا سيما أن الرجل، وأشرف بانتسابي إلى مدرسته، كان لا يطيقه، ولذلك نراه غالباً ما يمضي عنه راغباً إلى التطبيق، إلى النصوص ومواجهتها. فكم كانت تروقه، وكم كانت حصيلتها تروق الآخرين ممن أتيح لهم حظ مواجهتها، في محاضرة، أو لقاء، أو برنامج إذاعي، أو مرئي، أو في مقابسة، أو في كتاب. ولهذا فإني سأنتقل إلى إشارتين مقتضبة وموسعة قليلاً، أوجز في الأولى إذ سيكفينيها صديق لزم شكري فيصل على مدى عقود عدة، وأتوسع قليلاً في الثانية إذ كانت ألصق بمسعاي في الجامعة وخارجها .

أ – فأما الإشارة الموجزة فهي إلى عمل شكري فيصل في التحقيق[٣]. إن من يتتبع هذا العمل منذ بداياته في **الخريدة**، إلى **ديوان أبي العتاهية**، إلى **ديوان النابغة**، إلى **ابن عساكر**، سوف يلاحظ ما ذكرته بوضوح. ورغم أن المرء لن يجد على وجه الإجمال إلا عبارات الإطراء والتهنئة والتشجيع يسوقها إلى محقق **الخريدة**، إلا أنه لا يسعه إلا أن يبحث عن عبارات أبلغ، يحاول أن ينصف بها الرجل، عندما ينظر في **ديوان أبي العتاهية**، ويخونه سعيه عندما يأتي إلى **ابن عساكر**، الذي بلغ فيه شكري فيصل، ومن ساعده من تلامذته شأواً بعيداً، يمكن أن يعتبر بحق مفخرة للمحققين العرب، الذي يتكئون – في هذا العصر – على غيرهم حتى في مضمار دراسة ثقافتهم وأدبهم .

ورغم نشوة الفرح الغامر بهذا الإنجاز العظيم الذي كان حصيلة عمل دؤوب لسنين طويلة، فإن الغرور لم يداخله. وهكذا وجدناه يختم مقدمته المؤثرة قائلاً:

«وبعد، فما أكثر ما يخالط أعمال الإنسان أحياناً من هوى، وما يداخله من حظ النفس، وما أبعد ما يتطلع إليه دائماً من آفاق... فلنسأل الله سبحانه، ضارعين، أن يباعد بيننا وبين الأهواء، وأن يسقط من نفوسنا حظ نفوسنا حتى يبقى العمل خالصاً لوجهه، وأن يمدنا بالعون على تحقيق ما نتطلع إليه ليكون ذلك وفاء لبعض حقه علينا... في تراثنا الذي نجل، وتاريخنا الذي نقدر، ومستقبلنا الذي نرجو.

وحين نراجع الآن أكداس التجارب*، وحين ننظر في صور الأصول وخطوطها، لا نملك إلا أن نتوجه إلى الله سبحانه بالشكر على ما كان من تيسيره وتوفيقه، والضراعة إليه أن يقسم لنا من الخير فيما نستقبل أضعاف أضعاف ما قسم لنا فيما مضى، وأن يجعل حظنا من التوفيق لما فيه مرضاته أطيب الحظوظ، وهو الهادي إلى سواء السبيل. «**ربنا لا تُزِغ قُلوبَنا بَعدَ إذْ هَدَيتَنا، وَهَبْ لنا من لَدُنكَ رحمة إنّكَ أنتَ الوهّاب**» (٤)

٢ - وأما الإشارة الموسعة إلى حد ما، والمتصلة بمسعاي، **فهي دراسة الأدب العربي وتدريسه على الوجه الأنجع**. والحقيقة أن تتبع مسعى شكري فيصل في هذا الاتجاه مثير وشائق ودال؛ مثير بوقائعه، وشائق بتطوره، ودال بتضمناته.

حسّ نقدي مبكر في «مناهج الدراسات الأدبية»:

لقد بدأ هذا المسعى برسالة شكري فيصل لدرجة الماجستير، والتي قدمها إلى كلية الآداب في جامعة فؤاد الأول يومئذ، وجامعة القاهرة الآن، ونوقشت في الأول من تموز عام ثمانية وأربعين من قبل لجنة برئاسة الأستاذ المشرف أمين الخولي، وعضوية الأستاذين مصطفى السقا ومحمد خلف الله أحمد، وكانت بعنوان:

(*) وهي أكداس بالفعل كما يعرف كل من واكب هذا العمل من قريب أو بعيد.

«مناهج الدراسة الأدبية: عرض ونقد واقتراح»(٥)

هذه الرسالة التي وقفها على مراجعة مختلف النظريات التي تصدت لدراسة الأدب العربي: النظرية المدرسية، ونظرية الفنون الأدبية، ونظرية الجنس، ونظرية الثقافات، ونظرية المذاهب الفنية، والنظرية الاقليمية، ونقدها، ليخرج على الناس في نهايتها بمنهج جديد. وربما كان من أشد الأمور إثارة وأبلغها دلالة، أن الرسالة مكرسة، في جانب معتبر منها، لنقد آراء الأستاذ المشرف على إعدادها. ولنصغ إلى شكري فيصل يحدثنا عن لقاءاته بأستاذه المشرف وإلى ما انتهت إليه:

«ووجدتني في خلال ذلك ألقى أستاذي الأسبوع بعد الأسبوع والمرة بعد المرة، فأتحدث معه، وأستمع إليه، وأناقشه، وأفيد منه، ووجدتني بعد ذلك أرتضي منه شيئاً وأخالفه في شيء، وأحاوره في مسألة وأجادله في غيرها، حتى انتهى بنا الأمر إلى شيء كبير من خلاف في الرأي وتباين في الطريق... وصبر الأستاذ الخولي على هذا الخلاف صبر المطمئن إلى رأيه من نحو، والمطمئن إلى صاحبه من نحو آخر، واصطبرت كذلك اصطبار الواثق بنفسه والواثق بأستاذه أنه لن يخلفه أول الخطوط التي التقيا عندها واتفقا فيها، لأنها أول الخيوط التي تقوم عليها الحياة، والتي لا تقوم حياة إلا بها... **وذلك هو إتاحة الحرية في الرأي أبعد الحرية، وإتاحة المخالفة في النظرة أشد المخالفة، والاعتماد على أن الغاية من الإشراف ليست تكرار النماذج المتماثلة، وإنما هي إحياء العناصر الشخصية وتنمية الفردية الذاتية، والبلوغ بالقوى إلى أقصى غاياتها وأبعد مراميها.**»

«وكذلك ظلت هذه الرسالة أشهراً تنتظر المناقشة.. ولكن أسبوعاً من هذه الأشهر لم يخل من حديث فيها ونقاش حولها... ولم يكن من سبيل إلى أن ألتقي مع أستاذي في الرأي... ولم ننته إلى تطابق، ولكن ذلك لم يضرنا في شيء، فلم يكن هذا التطابق بين الأستاذ المشرف وصاحبه هو الذي ينشده من إشرافه أو يسعى إليه.»

«ولم يكن هذا التطابق هو الذي أنشده كذلك، ففي أعماقي تأبٍّ عنيف على كل مالا أطمئن إليه، لعل مصدره طفولة شاقة أبى عليها والدها إلا كل شاق عسير تسعى إليه بنفسها وتبلغه وحدها ...»

«وكانت مناقشة الرسالة في اليوم الأول من شهر تموز (يوليه) ٤٨، ظاهرة طيبة من ظواهر الحياة الفكرية، تستحق من هذا النحو، الإشارة إليها، والإشادة بها، وكان تقديم الرسالة صورة قوية حية للعلاقة الحرة التي يجب أن تسود ما بين المشرف والطالب ... فقد قدمها الأستاذ المشرف وهو مخالف لها مخالفة تقدير، وناقشها كذلك، لا مدافعاً عنها ولا ملتمساً لصاحبها العذر، بل مخالفاً ملحاً في هذه المخالفة، عنيفاً فيها شديد العنف، لا يغضي عن جزء في ذلك ولا كل.

وبذلك كانت الرسالة تقليداً جديداً من تقاليد الإشراف، لم أملك – وأنا أقدم الرسالة – إلا أن أنحني له ... لهذه الحرية التي يبيحها ولهذه المخالفة التي يتيحها، ولهذا البعد الذي يرتضيه ... مؤمناً أن الذين يعملون معه يجب أن يصدروا عن ذوات نفوسهم، وخاصة تفكيرهم، ونظرتهم التي كونوها لأنفسهم عن الأدب، وعما وراء الأدب في الكون والحياة»(٦)

وهكذا كان، إذ صدر شكري فيصل في رسالته هذه، عن تفكيره الخاص به، ونظرته التي كونها لنفسه عن الأدب، وعما وراءه في الكون والحياة. ولكنه في عرضه لما عرض من هذه النظريات وفي نقده لها، ومن ثم اقتراحه لمنهجه الجديد، **إنما انطلق من طبيعة الأدب العربي نفسه**، وهو **منطلق سليم، إذ أن طبيعة المادة هي التي تحدد النحو الأمثل لدراستها**. والمنهج الجديد الذي طرحه في خاتمة مواجهته لمشكلة دراسة الأدب العربي «إنما يستجيب – كما يذكر – **لواقع الأدب العربي**، هذا الأدب العريض الذي طوى شعوباً متباينة، وسار أقاليم كثيرة»(٧). يشير شكري فيصل إلى **ارتباط منهجه المقترح بطبيعة الأدب العربي فيقول**:

«ولم يكن غرض هذه الدراسة أن تعنى بتاريخ الأدب بوجه عام، تعرض كل النظريات التي تنتظمه، والمناهج التي تسوده، وآراء النقاد الكثر منذ

بدأت الدراسات في أوروبا مع النهضة الحديثة، ولكن غرض هذه الدراسة كان أن تعنى بالأدب العربي وحده، فهذا الأدب يختلف عن الآداب الأخرى في مادته ويختلف عنها في واقعه الزماني والمكاني والفني، وهو لذلك لا تصلح فيه مناهجها، لأن المنهج لا يمكن أن يكون شيئاً منفصلاً عن واقع المشكلة وعن مقتضياتها، ولذلك كان لا بد له من منهج أصيل ينبعث عن واقعه ويتجاوب مع حاجاته، ويلتئم مع هذه السعة في الزمان والمكان التي كانت من أبرز خصائصه[٨]».

«وكما كان هذا الأدب العربي كلاً لا تستطيع العصور وحدها أن تحتجزه، ولا الأقاليم وحدها أن تتوزعه، ولا الأنواع الأدبية أن تستأثر به، وإنما هو هذا الكل الذي تملأ جنباته هذه الطوابع المتقاربة، وتنطوي كل أجزائه على هذه الروح الواحدة، وتتشابك جداوله وفروعه، ولكنها تلتقي كلها في النبعة التي تصدر عنها والحوض الذي تنتهي إليه. كذلك كان لا بد لمنهج هذا الأدب الذي ننشده أن يكون هذا الكل الذي تذوب فيه الدراسات الإقليمية والفردية والزمانية لتنبع عنها هذه الدراسة الأخيرة التي ترسم مذاهبه وتخط مدارسه وتدل على الألوان الفنية التي غلبت عليه»[٩].

«وكما لم يكن هذا الأدب العربي ثمرة البيئة وحدها، ولا خلاصة العصور ولانتاج الأشخاص فحسب، وإنما كان هذا المزيج المتشابك من ثمرة البيئة، وطوابع العصر وآثار الشخصية الفردية بما تطبع الأدب وما تضيف عليه- كذلك لن يكون منهج دراسة هذا الأدب منهجاً واحداً ضيقاً تقتضيه البيئة أو تستأثر به العصور أو تتحكم فيه الحياة الشخصية، وإنما هو هذه الحقيقة التي تجتمع أجزاؤها من هذه الأشياء جمعاً حياً.. أعني أنها لا تكون أجزاء متحكمة مسيطرة، وإنما تلتف وتتمركز لتحقق الغاية من الدرس الأدبي»[١٠].

ولكن ما الغاية من الدرس الأدبي أو النقد؟

إن دارس اللغة (الـ Linguist، أو اللغوي أو اللساني) يسعى من وراء دراسته هذه إلى وضع يده على النظام اللغوي (أو الـ Langue) الذي يحكم الأشكال المختلفة للممارسة اللغوية (أو الـ Parol) في لغة ما. ولا يتحقق له ذلك إلا من خلال دراسة الإنشاء اللغوي الفردي على مختلف المستويات: المعجمي Lexical، والصوتي phonetical، والدلالي Semantic، والتركيبي Syntactical وغيرها. ودارس الأدب – ذاك الإنشاء اللغوي الذي تستخدم فيه اللغة على نحو خاص، وتسود فيه الوظيفة الجمالية(١١) Aesthetic Function على باقي الوظائف – يسعى كذلك للوصول إلى النظام الأدبي الذي يحكم إنتاج الإنشاءات الأدبية الفردية.

وطريقه في ذلك طريق عالم اللغة أي البدء من تفحص الإنشاءات الأدبية الفردية، أي النصوص الأدبية الفردية.

وشكري فيصل وبحسه السليم المبكر جداً، ونظرته النافذة إلى طبيعة الممارسة النقدية، أصر منذ عمله الأول على البدء من دراسة النصوص، الإنشاءات الفردية، وذلك بغاية الوصول إلى النظام الأدبي الذي يحكم إنتاجها. وهكذا نراه يكتب في الحديث عن منهجه المقترح:

«هدف الدراسة الأدبية إذن أن ننتقل من تعرف أدق الخصائص الفردية لكاتب أو شاعر، إلى الخصائص المشتركة التي تربط بين جماعة من الأدباء والشعراء... أعني أن هدفها أن تتوج هذه الدراسة بالتعرف إلى المدارس الأدبية والمذاهب الفنية التي سادت الأدب العربي على تطاول العصور» (١٢)

وبعبارة أخرى إن المنهج الذي يود شكري فيصل أن يصطنعه:

«يقوم على الانتقال من الفردي إلى العام، ومن الجزئي إلى الكلي.. فالدراسة الفردية هي أصل بنياننا الأدبي، كما تكون الأحجار المبعثرة هي أصل هذا الحائط القائم، وعلى مقدار ما عند هؤلاء الأفراد من تقارب وما بينهم من تجاوب، تتكون هذه الدراسة، كما

تتكون إقامة هذا القوس من هذه الأحجار التي يكمل انحناء بعضها انحناء بعض آخر»[١٣].

وإذا ما حوّلنا هذه اللغة المنمقة، التي قد تصرف القارىء إليها أكثر مما تصرفه إلى تضمناتها، **إلى لغة نقدية معاصرة**، فإننا نستطيع أن نقول إن شكري فيصل يودنا أن نبدأ **بالنقد الأدبي التطبيقي، بالتفسير، بدراسة الإنشاء الأدبي الفردي، وأن نقوم بممارسة هذه الفعالية المركبة الفنية، وعيننا على هدف أبعد هو الوصول إلى نظام أدبي خاص بهذا الإنشاء[١٤]، أو نظرية أدب داخلية، أو شعرية أو poetocs[١٥] خاصة بالنصوص التي كانت موضع دراستنا.**

والحقيقة أن هذا المصطلح في النقد الأدبي المعاصر يشير إلى مستويات ثلاثة في النظام الأدبي أو نظرية الأدب الداخلية:

١ - مستوى الإنتاج الأدبي الخاص بأديب ما.
٢ - مستوى الإنتاج الأدبي الخاص بمدرسة أدبية ما.
٣ - مستوى الإنتاج الأدبي الخاص بأمة ما.

وشكري فيصل واعٍ تماماً بهذه المستويات الثلاث وها هو يكتب في موضع آخر:

«إننا نهدف من هذه البداءة الفردية أن **نحدد مكان الشاعر في العالم الفني أن ندل على سمته، أن نرسم منحاه البياني**. نفعل ذلك مع كل **شاعر، ونعنى به في كل أديب، حتى إذا اجتمعت لنا هذه النماذج الفردية الكثيرة، هذه الخطوط البيانية المختلفة، أمكن لنا أن نلم ما ائتلف منها، وأن نجمع ما تقارب في مجموعات ينتظمها إطار ويوحدها أفق، ويتكون عنها مدرسة أدبية - جمعاً لا يخطئه التوفيق ولا يتحكم فيه الهوى ولا تتصرف به مواصفات الدراسات السابقة**.. ثم يكون لنا بعد ذلك أن ننتقل فنشهد التفاعل الذي يكون بين **الفرد والفرد** في المدرسة الواحدة، **والتأثير المتبادل الذي يكون بين مدرسة ومدرسة**، وأن نحقق هذه الموازنات الرائعة، وهذه الدراسات الخصبة، وهذا النفاذ العميق إلى بواطن الأشياء، وحينذاك نستطيع أن نحقق للدراسة الأدبية أغراضها، وأن

نضمن لها غاياتها، وأن نوفر لها كل ما يجب أن نوفر من اللذة والحقيقة، ومن المتعة والفائدة ومن العلم والأدب. فلا نكون قد ملنا بها إلى جفاف العلم، ولا إلى مرونة الأدب، وإنما جمعنا لها الخير من أطرافه كلها»(١٦).

ورغم اطمئنان شكري فيصل إلى ما وصل إليه، وإلى سلامة إجراءاته ومنطلقه، فإنه يقرّ بدينه لكل ما نقده من نظريات مسبقة، ويدرك أن خطوته التي خطاها باقتراح المنهج الجديد إنما تلت خطوات عديدة سبقته، وأتاحت له ما أتاحت من أفق جديد. وهكذا يكتب عن منهجه الجديد، التركيبي – كما يصفه – بأنه:

«جاء أثر هذا التتبع الطويل للمناهج السابقة، والخصام العنيف الحاد معها، إنما كان أشبه بالظفر بعد المعركة... إنه ثمرة كل المحاولات الماضية وخلاصة كل الحلول السابقة التي عاشت أو كان يمكن أن تعيش فيها الدراسات الأدبية، إنه مرحلة نهائية حققت كل نظرية سابقة خطاها فيه حتى بلغ هذه القمة، وليس في هذه القمة جديد، **إلا أنها تركيب نشيط خالق لهذه الوسائل الكثيرة**، وتكييف لها حتى تلتقي في هذا الأفق الذي نريد تحقيقه»(١٧).

ومما يجدر ذكره، إضافة إلى هذا المنطلق السليم النابع من نظرة نافذة إلى طبيعة الممارسة النقدية، التمييزات العديدة التي يشير إليها شكري فيصل في معرض حديثه عن أصول منهجه الجديد:

١ – بين **الدراسة الأصلية** – التي تتناول الأدب ومنتجه **والدراسة المساعدة** – التي تتناول المؤثرات الخارجية فيهما، كالإقليم والجنس والثقافة وغيرها.

وإصراره على أن الدراسة الأصلية «هي وحدها غرض البحث الأدبي الذي يجب أن يقتصر عليه وهدفه الذي يجب ألا يتعداه»(١٨). أي أن شكري فيصل يفصل من جانب ما بين الدراسة الأدبية Literary Study، والدراسة فوق الأدبية Extra-Literary Study: الدراسة الأدبية التي تعنى بالنص The Text، والدراسة فوق الأدبية التي تهتم بالسياق أو بما يحيط به Context، ولكنه يصر أيضاً على ضرورة التكامل فيما بينهما.

٢ – بين القضية الأدبية Literary Question الأصيلة، والقضايا الجانبية الأخرى، أو القضايا فوق الأدبية Extra-Literary Questions واعتباره القضية الأدبية أصلاً وما سواها تبعاً، وتأكيده حقها في أن تفرد بالدرس، فهي جوهر الدراسة الأدبية، وما سواها ليس إلا تمهيداً لظهورها وطريقاً للكشف عنها.(١٩)

٣ – بين الدليل النصّي «Textual Evidence»، وما بين الدليل فوق النصي «Extra-textual Evidence»، وتقديمه الأول على الثاني في الدراسة الأدبية.

٤ – بين الأدب الخاص، الأدب بالمعنى الضيق للكلمة Literature proper الذي تسود فيه الوظيفة الجمالية، والأدب العام؛ بين النص الذي ندعوه أدباً لأن اللغة فيه تؤدي أساساً وظيفة جمالية، وبين النصوص الأخرى التي تسود فيه سواها من الوظائف الأخرى – كما هو شأن مقدمة ابن خلدون وما شابهها.

والواقع أن كتاب **مناهج الدراسة الأدبية**، كتاب غني بالرؤى والاستبصارات النافذة التي تنطلق من إحساس سليم. وهو جدير بالفعل بدراسة متأنية آمل أن أنتهي منها في المستقبل القريب.

النموذج البديل، وتطور الغزل

لقد سبقت الإشارة إلى أن شكري فيصل لم يكن ليكتفي بمراجعة ما سبق إليه، ونقده، بل كان يتخذه منطلقاً يقترح على أساسه البديل – النموذج. Alternative-Model يقدمه على مستويين: – المستوى النظري، والمستوى التطبيقي.

وهكذا فإنه، بعد أن اقترح بديله النموذج في خاتمة كتابه «**مناهج الدراسات الأدبية**»، انصرف فيما تلاه من نتاج إلى تقديم مثال تطبيقي عنه هو كتابه العظيم والفريد بحق: «**تطور الغزل بين الجاهلية والإسلام من امرىء القيس إلى ابن أبي ربيعة**(٢٠)»، والذي ألقيت أصوله الأولى في جامعة دمشق عام ١٩٥١–١٩٥٢ على طلاب شهادة تاريخ العرب والإسلام في قسم اللغة العربية، وأغنيت بعض فصوله خلال الأعوام الستة التي تلته وطبع لأول مرة عام ١٩٥٩، هذا الكتاب الذي جاء ليرسخ المقترح النظري في **مناهج الدراسة الأدبية** بالتحقق من إمكانية تطبيقه على هذا الأدب.

وقد استطاع شكري فيصل من خلال دراسته لنصوص شعر الغزل في العصور الثلاثة: الجاهلي والإسلامي والأموي، من خلال تفحصه للإنشاءات الفردية الغزلية في هذه العصور أن يخرج بنظرية أدب داخلية لهذا الغرض الهام من أغراض الشعر العربي، أو شعرية Poetics، آنية Synchronicوتطورية Diachronic وكان عمله بحق كما يضعه ناشره نموذجاً فذاً من نماذج الدراسة الأدبية المعاصرة ارتفع فيه إلى مستوى الباحثين الكبار في تراثنا الأدبي العظيم. ولم يتحقق له ذلك إلا بسلامة إجرائه النقدي الذي قام على الانتقال من الإنشاء الأدبي الفردي، إلى النظام الأدبي الذي يحكمه. إن عملية التفسير التي كانت المنطلق كانت موجهة بالهدف الأخير الذي كان موضع نظر الناقد دوماً، وهو الخروج كما قلت بنظرية أدب داخلية، بشعرية خاصة بهذا الغرض الهام من أغراض الشعر العربي في العصور الثلاثة.

ومرة ثانية، فإن النجاح الذي حققه شكري فيصل في تطبيقه لهذا النموذج البديل، وهو نجاح تشهد عليه طبعات الكتاب العديدة من جهة، واعتماده مرجعاً أساسياً في معظم الجامعات العربية من جهة أخرى، لم يدفعه إلى التمسك الدوغمائي به كما هو، بل إنه، كما هو شأنه دائماً، سعى من جديد إلى بلوغ هامش التطوير الذي أشرت إليه من قبل. ولكن سعيه هذا لم تمله الرغبة في الوصول إلى الأفضل دوماً فقط، بل طبيعة المادة الأدبية أيضاً.

الصحافة الأدبية مهاد الأدب العربي الحديث

وهكذا فإنه عندما رغب في التوسع في عملية مسح رقعة الأدب العربي الواسعة، وجد أن الأدب العربي الحديث يفرض إجراءات أخرى متممة للمنهج المقترح (**مناهج الدراسة الأدبية**)، ثم المجرب والمستخدم بنجاح مشهود (**تطور الغزل**). وقد تبين له ذلك من خلال تفحصه لما قام به غيره، ونقده له. لقد وجد شكري فيصل أن دارسي الأدب العربي المعاصر غالباً:

> «ما يقفون عند الأثر الأدبي، عند الديوان أو عند الكتاب، أو يقفون عند صاحب الأثر الأدبي... ولكنهم يغفلون عن مراجعه التي نشأ فيها، وتقلب

في أعطافها في الحياة الأدبية، وقد لا يضعون دائما أدبه في مكان من النتاج الذي كان من حوله، أي لا يضعونه في حيّزه من لداته وأقرانه، في الظروف التي نشأ فيها، في الشرائط التي أحاطت به فكونته أو أخرجته هذا المخرج»[٢١].

وبعبارة أخرى إنهم يغفلون السياق Context الفعلي الحقيقي للنص الأدبي العربي الحديث، وهو الصحافة الأدبية وغير الأدبية التي نشأ فيها هذا الأدب وترعرع.

والحقيقة أن المجلة– أدبية كانت أم غير أدبية– ليست، كما يشير إلى ذلك شكري فيصل، وهو مصيب حقاً فيما يذهب إليه، مجرد وعاء خارجي ليس له من مهمة إلا أن يجمع جمعاً آلياً بين هذه الآثار الأدبية، أو بين هذه الأسماء الأدبية. إنها– كما يحاول أن يوضح ذلك من خلال التشبيه– بمنزلة «الأرض التي تنبت فيها هذه الآثار الأدبية. في أعماق تربتها تبدأ هذه الآثار حياتها، ومن هذه الأعماق تستمد غذاءها، وفي نطاقها، تتآخى، وتتجاور وتختصم، ويجور الجذر على الجذر، ويحجب النبات النبات: يحميه أو يغمه، يظله أو يقتله، يعينه أو يكون عوناً عليه... ونحن لا نملك أن ندرس الأثر الأدبي مجرداً عن هذه البيئة المادية والمعنوية التي ظهر فيها.. ومن الذي يستطيع أن يجرد المقالات الأدبية من روح المجلات الأدبية التي كانت تظهر فيها»[٢٢].

إن الصحافة الأدبية، بكلمات أخر، هي السياق المباشر الذي يحدد دلالة النص الحديث المدروس، وما لم يتم تبين هذا السياق، فإن الحديث عن دلالة هذا النص يكون ضرباً من البحث غير المجدي الذي طالما عانى منه أدبنا الحديث.

وفضلاً عن ذلك، فإن دراسة الأدب العربي الحديث من خلال الصحافة– على خلاف دراسته من الأعمال الكاملة التي تطلعنا على هذا الأدب في تشكلاته النهائية التي ظهر بها– تعرفنا إلى «التكون الأولي والبطيء لجملة هذه الآثار الأدبية التي يتألف منها الأدب المعاصر... إنها تعرفنا هذا الأدب في أطوار تشكله، وظروف نموه، وهي لا تعرفنا بأدب شاعر أو بأدب مذهب، وإنما تعرفنا بكل هذا الأدب أسبوعاً بعد أسبوع، وشهراً بعد شهر، وهي بذلك تضع النتاج الأدبي في أصل تربته التي نشأ فيها»[٢٣].

إن دراسة الأدب العربي الحديث من خلال الصحافة الأدبية تعيد علينا صورة الماضي كله .. صورة تشكله ونموه، صورة الشجرة كلها وصورة أغصانها وأوراقها والنباتات التي تعيش في ظلها، وبذلك نستطيع أن نجمع «بين النظرة الكلية لكل النتاج الأدبي في بيئته المعنوية وظروفه الدافعة وبين النظرة الفردية لأثر بعينه أو لأديب بذاته ومن المؤكد أن مثل هذا الجمع سيتيح من العمق في الدراسة حظاً أوفى ونصيباً أوفر»(٢٤).

وإذا كان الاستقصاء واستغراق النصوص - المارة شرطاً منهجياً، فإن دراسة الأدب العربي الحديث من خلال الصحافة شرط لآزب لسلامة مدخلنا لهذا الأدب:

«إن كثرة كثيرة جداً من نتاجنا الأدبي إنما عاشت أولاً في هذه المجلات الأدبية: ظهر فيها ونوقش على صفحاتها... وإن هذه المجلات توشك أن تكون الحافظة لهذا التراث والمؤتمنة عليه... وإن القدر الأقل من هذا النتاج هو الذي جمع بعد ذلك في كتاب، تتعاوره الأيدي ويفيد منه الباحثون .. أما الكثرة من هذا التراث فقد بقيت حيث هي من هذه المجلات.. وهذه المجلات لا تكاد توجد إلا في دور الكتب العربية الكبرى، وما أندر ما يقع عليها الإنسان كاملة»(٢٥).

ومعنى هذا أن دراسة الأدب العربي الحديث لن تكون دراسة قائمة على أسس سليمة ما لم تتلمس مادتها في الصحافة نفسها. وما لم تنظر إلى هذا الأدب في مهاده الصحيح، في سياقه المحدد لدلالته.

لقد وصل شكري فيصل إلى هذا الاستبصار المنهجي النافذ من خلال إحساسه السليم في التعامل مع الأدب العربي، واستجابته لطبيعة هذا الأدب التي كانت بحق الساحة المغناطيسية المحددة لإجراءات الممارسة النقدية لديه، أو لاستراتيجية في مواجهة النصوص التي كانت موضع اهتمامه الأول.

واستمر شكري فيصل في تطوير إجراءات ممارسته النقدية، وفي صقل استراتيجيته في مواجهة النصوص بحثاً عن هامش التطوير الذي كان شغله الشاغل، واستجابة لطبيعة هذه النصوص. وكانت حقول تجاربه، مختبراته، هي المحاضرات التي يلقيها في الجامعة، وتتناقلها الأيدي من سنة إلى سنة، تتتلمذ عليها سطوراً إن فاتها تتلمذ

الحضور. ومن المؤسف حقاً أن هذه المحاضرات لم تأخذ طريقها إلى النشر (رغم أن الكثير منها قد ظهر على نحو أو آخر تحت أسماء أخرى، أو توزعه الرسائل الجامعية مسخاً ونسخاً، كما هو شأن الكثير من كتب الدكتور إحسان عباس أيضاً) بسبب رغبة صاحبها في استكمالها، وإخراجها في الصورة التي ترضي طموحه. وهيهات.

ولكن ذلك لم يمنعه من استمرار مواجهته المتجددة للنصوص، ومن التوسع في هذه المواجهة لتشمل إضافة إلى نصوص الأدب[٢٦]، النصوص النقدية التي تحوّلت بأدوات تحليله المصقولة والبارعة إلى عوالم من الفكر النقدي حية وشائقة وغنية. ورغم حداثة مواجهته لها، إلا أن حظها في النشر كان أقل سوءاً من سابقتها– أعني مواجهة النصوص الأدبية– وهكذا خرجت بعض محاضراته في النقد الكلاسي[٢٧]، خروج الخفر، في مقالات استكتبته إياها المعرفة الدمشقية (التي تصدرها وزارة الثقافة) في السبعينات، لتعطي بعداً جديداً لهذا النقد، وبينت بوضوح أنه لم يدرس بعد الدراسة التي يستحق. ولنسمعه في فاتحتها يتحدث لنا عن أزمة النقد العربي الكلاسي المتمثلة بعدم توفر نصوصه على نحو مرض من جهة وبعدم دراسته دراسة جادة يقول:

> «إن هذا النقد لم يدرس بعد هذه الدراسة التي نتمناها له، ونتطلع إليها، وقد يبدو ذلك مفاجئاً، أو ثقيلاً، ولكنه واقع.. إن الذي حدث حتى اليوم أن النقد العربي قد أُرِّخ له فحسب... أو لنقل، في دقة: إنه قد عُرِّف به»[٢٨].

وبعد أن يشير إلى محاولات طه إبراهيم، وأحمد أمين، وشوقي ضيف، وزغلول سلام، وإحسان عباس، يضيف إن هذه الدراسات قد: «أتاحت للنقد العربي فرصاً طيبة.. وكانت عملية تعريف ومحاولة استقصاء، ولكنها– وهذا طابعها– كانت تأريخاً أقبل يفيد منه الباحثون والدارسون.

غير أن الذي حدث– بفعل ظروف شديدة التعقيد من داخل الثقافة العربية ومن خارجها– أن الفكر الأدبي العربي ظل، على الغالب، حبيس هذا التأريخ للنقد.. إنه لم يتجاوزه إلى الدراسة العميقة، وإلى المقارنة الذكية، وإلى التفاعل الخصب مع النقد الأجنبي، وظل هذا الذي كتبه هؤلاء ومن والاهم هو النقد العربي، وظل ما يصل إلينا عن طريق القراءة أو عن طريق الترجمة هو النقد الأجنبي، وظل ما بين النقدين هذا هو الطريق

المنقطع الذي لم تحاول الدراسات المحدثة أن تشقه في عمل دائب منظم»(٢٩).

ولنره بعد ذلك يجري الاستعارة التي تنطوي عليها الآية الكريمة ﴿واخفض لهما جناح الذل من الرحمة﴾ بطريقته الفيصلية حتى ينكشف لنا صواب ما ذهب إليه في مسألة تواضع مستوى خدمته للنقد العربي الكلاسي.

إننا حين نجري هذه الاستعارة على الطريقة التقليدية العقيمة نجريها وفق التعابير التالية: شبه الذل بطائر ثم حذف المشبه به وأبقى شيئاً من لوازمه وهو الجناح على طريقة الاستعارة المكنية. ولكن شكري فيصل ذا الذائقة النقدية المرهفة في حساسيتها ما كان ليقبل إجراءً كهذا يمسخ الإبداع في تعابير جاهزة مسبقة الصنعة، ويحوله إلى آلية رتيبة قاتلة في برودتها وهي تواجه نفحات الخلق ودفئه، لأنه يؤمن أن الأداء في المثل القرآني:

«لم ينطلق من عمل أسلوبي محدد مرسوم، التفكير فيه سابق عليه.. ولكنه انطلق من موقف.. هذا الموقف هو الذي قاد إلى هذا الأداء، وهو الذي أطلق خيوطه، وهو الذي نسج هذه الخيوط على هذا النحو، ثم هو الذي وشاها بعد ذلك هذه التوشية أو تلك.

من هذا الموقف، في قلب المنشيء وعقله، ينشأ الأداء.. ومن عدوى هذا الموقف من خلال الأداء ينشأ التذوق عند المتذوق، ومن الوصل بينهما يكون عمل الناقد»(٣٠).

وهكذا ينطلق شكري فيصل من الموقف الذي يصدر عنه الأداء، ويجري الاستعارة بنحوه الخاص فيه– النحو الفيصلي، السامي، المتألق إبداعاً، والفريد نفاذاً، والمتوهج دفئاً في تعامله مع النص:

«إن الآية الكريمة تنطلق إذن من هذا الموقف الذي يتلاقى فيه، في بيت واحد هذان الجيلان، جيل المقبلين على الحياة، وجيل المودعين لها.. المقبلون على الحياة يقبلون بكل اندفاعهم وقوتهم، بكل رغباتهم الجامحة الطموح يريدون أن يجتازوا كل عقبة، لا يتأثرون بعوامل الضعف ومظاهره، ولا يريدون أن يقفوا عندها.. على حين يكون المودعون للحياة يعيشون في أحضان الضعف: المرض والشيخوخة.. في هذا اللقاء تنبعث في جيل

الآباء المودعين للحياة ذاكرتهم لماضيهم. رعايتهم لأبنائهم، دفء الجناح الذي فرشوه لهم.. وتتفجر في جيل الأبناء المقبلين على الحياة إرادتهم وعملهم وواقع الحياة العنيفة وضغوطها عليهم.. الأبناء لا يأبهون لشيء إلا لما يتصل بامتداد ذواتهم والآباء لا يهتمون بشيء إلا بما يقي هذه الذات أن تتقلص، وبما يحفظ ظلالها أن تتلاشى.. في هذا الوجود المولي والوجود المقبل لا بد من ضوابط، الإنسانية وحدها هي التي ترسمها، وهي التي تدفع الأبناء في عنفوان اندفاعهم أن يوطئوا للآباء أكنافهم، وأن يبسطوا لهم رحمتهم.

ولكن الآية لا تتحدث عن الرحمة مباشرة، وإنما تتحدث عن المنزلة.. تضع هذه الرحمة في قالب الذلة.. والمذلة تعني شيئاً من قهر النفس وتطويعها.. ومن هنا كان التعبير بـ.. اخفض لهما.. وكان الأداء بـ: الجناح. حتى يكون هذا الجناح الذي يفرشه الآباء متجدداً من الجناح الذي كان بسطه الآباء لأبنائهم من قبل.. جناح الرحمة هناك وجناح الذل من الرحمة هنا حتى لا يكون الأمر إشفاقاً أو مداراة أو مقابلة.

من كل ذلك تتألف هذه (الاستعارة).. إنها موقف فكري واجتماعي وسلوكي يصوغ هذه (الوقفة) الإبداعية... ولذلك كان لا يمكن فيما أقدر، لابن المعتز أن يعرف «استعارته» التعريف الجامع المانع ولا أن يقسمها.. ولا أشك في أنه كان قادراً على شيء من ذلك ولكن كان متأبياً عليه.. ذلك لأن التعريف والتقسيم حصار وتجميد، والاستعارة مواقف حياتية ووقفات أدائية وليس لهذه المواقف أن يحصرها حدّ أو تقسيم» . (٣١)

لقد أثبتُّ إجراء شكري فيصل لهذه الاستعارة بكامله- رغم طوله- لكي أوضح كيف أن الإجراءات البلاغية التي تسود تذوقنا للنصوص قد بلّدت أحاسيسنا بالفعل، وغرّبتنا عن أجمل ما في تراثنا وأروعه وأسماه. إننا في أمس الحاجة بحق إلى نقاد ذوي حس مرهف، ورؤية نافذة، يماثلان ما ينضح به نص شكري فيصل المقبوس سابقاً، وجميع نصوصه النقدية الأخرى التي انتهت بها مواجهته للأدب العربي قديمه وحديثه. هذه النصوص التي تجاري ما تواجهه إبداعاً وتألقاً وشفافية.

في معرض تقويم محمد مندور لجهود الجيل الذي سبقه، يشير إلى أن هذا الجيل قد نجح في شيء، وأخفق في أشياء، ثم يضيف:

> «وأكبر مظاهر الإخفاق، فيما يبدو، هو خضوع ذلك الجيل لضغط الهيئة الاجتماعية، نعم إنني لا أجهل أن امتداد الزمن بالحياة كثيراً ما ينتهي بنا إلى الصلح معها، فالشيوخ عادة أكثر رضى وتفاؤلاً من الشبان الساخطين المتشائمين، كما أعلم أن طول التجارب كثيراً ما يبصرنا بحدود للممكنات لم نكن نفطن لضيقها أيام حداثتنا. بل إن كل تجربة عبء يثقل خطانا»(٣٢).

والحقيقة أن المرء، عندما يقوّم عمل شكري فيصل، يتردد في أن يستعير وصفاً كهذا لما قدمه الرجل. ذلك أن شكري فيصل كان أبداً متأبياً على الخضوع لضغط الوضع القائم، أو الرضى به. وهو كذلك لم يكن ليقبل أن يعترف بحدود للممكنات، ولا يرى التجربة عبئاً يثقل خطاه. لقد كان نظره مشدوداً دائماً إلى فسحة التطوير – الذي أشرت إليها أكثر من مرة فيما مضى – واحة يغذ السير نحوها، يمهد الطريق لغيره. ورغم أننا كثيراً ما ننسى، عندما نسير في الدروب الميسرة – أول من شقها، إلا أن الوضع يختلف لدى شكري فيصل. لأن الصوى، التي شكلها بإنتاجه معالم في طريق دراسة الأدب العربي، بقيت صوى تشير إلى عالم لم نعتده، وبالتالي نخاف ارتياده، لأننا في زمن دهره – على خلاف زمن أبي تمام(*) – يوم، وحقبه ساعة. زمن خلا من الحزم والعزم، زمن وصفه أوفيد(٣٣)، فأحسن وأجاد. ولكن شكري فيصل كان خارجياً أبداً، كان رائداً ضل قومه الطريق إليه، فيا لبؤسهم إذ مضى.

(*) الإشارة إلى بيت أبي تمام:

يومي من الدهر مثل الدهر مشتهر عزماً وحزماً وساعي منه كالحقب

هوامـــش

* نص المحاضرة التي ألقيت في يوم تأبين المرحوم الدكتور شكري فيصل والذي نظمه اتحاد الكتاب العرب بدمشق بتاريخ (٣٠) من شهر تشرين الأول ١٩٨٥، وشارك فيه محاضراً كل من صاحب هذه السطور والدكتور محمود السيد والأستاذ مطيع الحافظ، ومؤبناً كل من الدكتور حسام الخطيب والدكتور عمر موسى باشا والدكتور حافظ الجمالي والدكتور عدنان الخطيب والسيدة عاطفة فيصل، إضافة إلى الشاعر المعروف الأستاذ عبد الرحيم الحصني الذي ألقى قصيدة رثاء مؤثرة. وانظر **الموقف الأدبي**، العددان ١٧٨–١٧٩، شباط– آذار ١٩٨٦، ص ص (٣٠٥–٣٣٤).

(١) إشارة إلى وصف ت. س. إليوت لإزرا باوند «بالصانع الأمهر» عندما أهداه قصيدته الشهيرة «الأرض اليباب»

(٢) إشارة إلى قصيدة «أوفيد» لتحولات التي يرصد فيها انحدار الزمن من عصر ذهبي إلى عصر فضي، فنحاسي، فحديدي، فعصر صلب فتاك. وانظر نص القصيدة في: د. حسام الخطيب، **الأدب الأوربي: تطوره ونشأة مذاهبه**، دمشق، ١٩٧٢، ص ص (٤٤–٤٦)

(٣) تشمل تحقيقات شكري فيصل الكتب التالية:

١) **مقدمة المرزوقي في شرحه لحماسة أبي تمام** (١٩٥٢).

٢) **خريدة القصر وجريدة العصر للعماد الأصفهاني** (١ – ٣) (١٩٥٥ – ١٩٦٤).

٣) **أبو العتاهية أشعاره وأخباره** (١٩٦٤)

٤) **ديوان النابغة: صنعة ابن السكيت**، (١٩٦٨).

٥) **خريدة القصر وجريدة العصر «قسم شعراء الشام»** (١٩٦٨).

٦) **تاريخ مدينة دمشق: عاصم– عائذ** (١٩٧٧).

وانظر أيضاً: معهد المخطوطات العربية، **أسس تحقيق التراث العربي ومناهجه**، الكويت، ١٩٨٥ وهو نص التقرير الذي وضعته لجنة مختصة في بغداد عام ١٩٨٠ بتكليف من المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، وكان لشكري فيصل يد كبيرة في صياغته وإعداده.

(٤) شكري فيصل (محقق) **تاريخ مدينة دمشق: تراجم حرف العين المتلوة بالألف من عاصم– عايذ**، دمشق، ١٩٧٧، ص (٣٠).

(٥) ط٣، دار العلم للملايين، بيروت ١٩٧٣.

(٦) المرجع السابق، ص ص (ط–ك) من المقدمة.

(٧) نفسه، ص (٢٢٤).

(٨) نفسه، ص (٢٤١).

(٩) نفسه، ص (٢٢٧).

(١٠) نفسه، ص ص (٢٢٧–٢٢٨).

(١١) انظر مارك إ. سوينو «الوظيفة الجمالية، المعيار والقيمة كحقائق اجتماعية»، ترجمة عبد النبي اصطيف، **المعرفة**، السنة العشرون، العدد (٢٣٠)، نيسان، ١٩٨١، ص ص ٢٢٤ – ٢٢٩.

(١٢) أنظر شكري فيصل، **مناهج الدراسات الأدبية**، ص (٢٢٢).

(١٣) نفسه، ص (٢٣٢).

(١٤) أنظر د. عبد النبي اصطيف، في المصطلح النقدي: نظرية الأدب- مقدمة»، **البعث (دمشق)**، العدد (٦٨٥٢)، ٢٥/٨/١٩٨٥، ص (٨).

(١٥) من أجل مصطلح الشعرية أنظر:

1) Tzvetan Todorov,
Introduction to Poetics, Translation from the French by Richard Howard, Introduction by Peter Brooks, University of Minnesota Press, Minneapolic, 1981.

2) O. Ducrot and T. Todorove,
Encyclopedic Dictionary of the Sciences of Languages, Translated by C. Porter, B. Black well, Oxford, 1981, pp. 78-84.

(١٦) انظر شكري فيصل، **مناهج الدراسة الأدبية**، ص (٢٣٣).

(١٧) نفسه ص (٢٢٨).

(١٨) نفسه ص (٢٢٩).

(١٩) نفسه ص (٢٣٠).

(٢٠) أنظر، شكري فيصل، **تطور الغزل بين الجاهلية والإسلام من امرىء القيس إلى ابن أبي ربيعة**، ط ٤، دار العلم للملايين، بيروت، د. ت.

(٢١) أنظر شكري فيصل، **الصحافة الأدبية: وجهة جديدة في دراسة الأدب المعاصر وتأريخه**، معهد الدراسات العربية العالية، القاهرة، ١٩٦٠، ص (١٠).

(٢٢) نفسه، ص (٣).

(٢٣) نفسه، ص (١٤).

(٢٤) نفسه، ص (١٥).

(٢٥) نفسه، ص (١٦).

(٢٦) أنظر شكري فيصل، «قراءة جديدة لمعلقة النابغة»، **المعرفة**، العدد ١٣٧، تموز، ١٩٧٣، ص ص (٤٨-٧٢).

(٢٧) أنظر شكري فيصل - «التراث البلاغي والمعاصرة»، **المعرفة**، العدد ١٢٦، آب، ١٩٧٢ ص ص (١٧-٢٨).

- «نحو معرفة جديدة للنقد: نافذة على النقد الجاهلي العربي»، المعرفة، ١٣٦، حزيران، ١٩٧٣، ص ص (٧١-٨١).
- «نظرية مبكرة للشعر في النقد العربي القديم» **المعرفة**، ١٥١، أيلول، ١٩٧٤، ص ص (٧-٢٦).

(٢٨) أنظر شكري فيصل «التراث البلاغي والمعاصرة»، ص (١٨).

(٢٩) نفسه، ص ص (١٩ - ٢٠).

(٣٠) نفسه، ص (٢٥).

(٣١) نفسه، ص ص (٢٥-٢٦).

(٣٢) أنظر د. محمد مندور، **في الميزان الجديد**، ط٣، مكتبة نهضة مصر ومطبعتها، القاهرة، د. ت، ص (٨)

(٣٣) يقول أوفيد في العصر الحديد وعصر الصلب الفتاك :

«وأخيراً جاء عصر الحديد، فانبثق من فوره خسيساً دنيا، كله سوء فلاذت بالفرار صفات «الحياء» و «الحق» و «الإخلاص»

وحل محلّها الكيد والخداع

والعنف وشهوة الكسب المجرمة، ...

ثم جاء عصر الصلب الفتاك، ثم الذهب وهو أشد فتكا،

فاتخذت الحرب من المعدنين سلاحاً،

وأخذت تهز سلاحها المدوي بيد تلطخها الدماء

وأصبحت الغنائم للعيش مورداً فلا الضيف من مضيفه

ولا القريب من قريبه بات آمنا،

وانظر الهامش رقم (٢)

ثانياً : مع الكتب

معجم شعراء أساس البلاغة

من حرف الباء- الى حرف الزاي

للأستاذ عرفان عبد الباقي الأشقر

٩٢- بدر بن عامر الهذليّ

خيط- مهن

من بني خُناعة سكن مصر، خرج إليها في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه عن الأغاني ٢٤/١٩٩ وفي الإصابة ١/١٧١ «ذكر أبو الفرج أنه شاعر مخضرم، وأسلم في عهد عمر رضي الله عنه، ونزل هو وابن عمه مصر».

الشاهد في «خيط» في الأغاني ٢٤/٢٠١ لبدر بن عامر الهذليّ باختلاف بسيط في الرواية، والشاهد في «مهن» ورد منسوباً إلى الهذليّ، انظر الهذلي «مهن».

٩٣- البُريق الهذليّ

ركض- نعم

عياض بن خويلد الهذليّ حجازيّ مخضرم عن «معجم الشعراء للمرزباني» ص ١١٢

٩٤- بَشامة بن الغدير

عمل

ورد اسمه بشامة بن الغرير بالراء وهو خطأ مطبعيّ، والبيتان في الحيوان ٢/٩٦. وهو بشامة بن الغدير، أو بشامة بن عمرو، شاعر جاهلي، وهو خال زهير بن أبي سلمى وعدّه ابن سلاّم في الطبقة الثامنة من الإسلاميين انظر طبقات ابن سلاّم ص «٧١٨».

٩٥- بشر بن أبي خازم الأسديّ

أدم(1)- أطر(2)- بقي- بهر- ثمد(3)- حرر(4)- حفل(5)- حوط(6)- حيل(7)- رفع- ركو- روب- سجد- سرع- سقط- شمر- صبب- صبح- صمع- صمم- ضبب- ضيف- طوف- ظمي- عرف- عقق- عول- عيب- غرز- غني- فرط- قذع- قرر- قلم- قمع- نجذ- نجو- نشأ- نصل- نفض- هجر- هرش(8)- هول- وذف- وفي

شاعر جاهليّ من بني أسد، وأبو خازم اسمه عمرو «ديوان بشر» ص ١٦ تحقيق د. عزة حسن.
الشواهد وردت منسوبة إلى بشر دون تحديد ما خلا في «بقي» و «بهر».

٩٦- بشر بن سلوة

أمر

يقال له أيضاً بشر بن سوادة من تغلب، وسلوة أمة، «عن الاختيارين» ص ١٨٤ والشاهد فيه ص ١٨٤ وذكر: «أو قالها عمرو بن حني التغلبي» ١ هـ وفي معجم ما استعجم ١ / ٣٠ : بشر بن سَوَادة بن شِكوة التغلبي.

٩٧- بشر بن المعتمر

لطع

بشر بن المعتمر الهلالي البغدادي، أبو سهل، فقيه معتزليّ ت/ ٢١٠/هـ «عن الأعلام ٢ / ٥٥»

انظر (١) في د/ ٢١٠-(٢) د/ ٧١-(٣) د/ ٢١٢ - (٤) د/ ٨٦-(٥) د/ ٧-(٦) د/ ٦٨-(٧) د/ ٢٢١ (٨) - الشاهد ومطلعه:

«مهـــارشة العنـــان كأن فيهـــا»

ورد غير منسوب وهو لبشر بن أبي خازم. انظر التاج «هرش» والديوان «٧٤».

٩٨- بشير بن النّكث

كحـل

شاعر يربوعي ضبط في اللسان «دعا» بُشَيْراً بالتصغير خلافاً لما في القاموس وما نص عليه الآمدي في المؤتلف والمختلف «عن الكتاب» ٤ / ٤١، ح٢، وهو معاصر لجرير وفي تبصير المنتبه ١ / ٩٢ «بُشير بن النُّكث اليربوعي راجز ويقال: بشر بلا ياء» ١ هـ.

٩٩- البَعيث

بسر - تلو - حدث - حنف - خنس - خول - ركض - سلل - طبل - عرض - فرس - قتب - كبح - كذب - كفف - نحو - نزع ×

خِداش بن بشر والبَعيث لقب له «عن طبقات فحول الشعراء «٤٥٠» وهو معاصر للفرزدق وجرير.

١٠٠- بلال بن جرير

شسـع

في الشعر والشعراء في ترجمة جرير «.... وكان له عشرة من الأولاد.... منهم بلال بن جرير وكان أفضلهم وأشعرهم ويُكنى أبا زافر» ص٢٨٤ وفي الأعلام ٢ / ٧٢ شاعر هجّاء ت / ١٤٠ هـ.

١٠١- بيهس

برطل - ظهر - مطو - نقض

هناك أكثر من شاعر اسمه بيهس منهم:

١ - بيهس بن هلال الفزاري شاعر جاهلي أحمق يلقب بالنّعامة

٢ - بيهس بن صريم

٣ - بيهس العذريّ

٤ - بيهس بن صهيب

انظر خزانة الأدب ٣/٢٧٢ ومجمع الأمثال للميداني ١/١٥٢ والشواهد وردت منسوبة إلى بيهس دون تحديد لكنّ الشاهدين في «ظهر» و «نقض» يشيران إلى أنهما لبيهس الفزاريّ وذلك أن قوماً أغاروا على إخوة الشاعر وقتلوهم جميعاً فلم يزل يحتال حتى أدرك ثأره

١٠٢- تأبط شراً

حشث - حسو - خرب - خزي - رعل - صوح - عبأ - عذل

ثابت بن جابر بن سفيان د/١١ والشعر والشعراء ١٧٤.

١٠٣- تُبّع

ثرب - جزر

ورد الشاهدان منسوبين إلى تُبّع دون تحديد ويبدو أنهما لـ «تبان أسعد أبو كرب فالشاهد في «ثرب» له في تاريخ الطبري ٢/٩٧

١٠٤- توبة بن مُضَرِّس

شفـر

....السعديّ أحد بني مالك بن ربيعة، يُلقب بالخنُّوت «عن المؤتلف والمختلف ص٦٨-٦٩»، وهو شاعر إسلاميّ معاصر لتوبة بن الحمير، عن «شرح أبيات مغني اللبيب ٢ / ٢٦» وفي الإصابة «٣ / ٤٩٦» ذكر: كان في زمن معاوية ومن بعده وكان شاعراً فاتكاً.

١٠٥- ثعلبة بن أوس الكلابيّ

بهرج- طرح

لم أجد ترجمة له

١٠٦- ثعلبة المازنيّ

ثقـل

ثعلبة بن صُعَير بن خُزاعي المازني، شاعر جاهليّ قديم، والبيت من قصيدة في المفضليات/ ١٣٠. وذكر المحققان: ويشتبه ثعلبة هذا بثعلبة بن صعير بن عمرو بن زيد العذريّ، فهذا متأخر لم يذكر له شعر وشتان ما بين المازنيّ والقضاعيّ» ا هـ. لكنني وجدت في تاريخ ابن عساكر «عبادة بن أوفى- عبد الله بن ثوب» في ترجمة عبد الله بن ثعلبة العذري عن طبقات ابن سعد وبعد أن يسوق ترجمته ما نصه .... وكان أبوه ثعلبة بن صعير شاعراً..» وفي الكتاب نفسه ص ٤٧٧ » عن الدارقُطني « .... ثعلبة بن صعير بن عمرو الشاعر، وابنه عبد الله بن ثعلبة لهما جميعاً صحبة ورواية عن النبي» ا هـ وفي صفحة « ٤٧٩ » من الكتاب نفسه «ويقال ابن أبي صعير المازنيّ» ا هـ.

١٠٧- ثمامة السدوسيّ

ورقْ

ثمامة بن المحبّر السدوسيّ، والشاهد في مجالس ثعلب ٢/٥٧٨، وفي اللسان «ورق» و «لوث».

١٠٨- جابر بن حَني التغلبيّ

أتــيْ

شاعر جاهلي قديم كان صديقاً لامرىء القيس، والشاهد في المفضليات / ٢١١/ وانظر في «بشر بن سلوة».

جبّار بن جزء بن ضرار

انظر في حيان

١٠٩- جُبيهاء الأشجعيّ

خــرش

شاعر مقل بدويّ من مخاليف الحجاز نشأ وتوفي أيام بني أمية «الحيوان ٤/٢٦» ح(٣)، اسمه يزيد بن حميمة بن عبيد «المفضليات ص/١٦٧/». وورد اسمه في «التنبيه على حدوث التصحيف» لحمزة الأصفهاني/١٠١/ «جبهاء»، وفي «المؤتلف والمختلف» /١٠٤/ جبهاء وهو يزيد بن عُبيد أحد بني عقيل شاعر خبيث.

١١٠- جثامة الكلبيّ

هــزل

الشاهد في الحيوان ٤ / ١٧٥ وفيه ثمامة الكلبي.

١١١- جِران العود

برح- حنف- سوف- قور- لوح- مأق.

عامر بن الحارث من بني نمير «التاج» «جرن» وفي الأعلام ٣ / ٢٥٠. «وادرك الاسلام».

١١٢- جرير

أنس- بذخ- بكىٰ- بلو- بوح- بيت- ثري- جحف- حصر- حكم- حلف- خدع- خزر- خضع- خور- ذوق- رزم- رضع- رقأ- رمل- روع- ريش- زهر- ستر- سجم- سرح- سفع- سمو- شبح- شبك- شرف- شكل- شكم- شكو- شور- صدق- صلق- صيف- ضبر- طرد- طلع- طير- عرق- عرك- عصر- عصم- عصى- علق- علو- عنن- عهد- عيص- غرض- غلف- غمر- غور- غول- فعي- فيل- قرأ- قرو- قعد[1]- قنن- كبل- كرب- كفل- متن- مدر- مرر- مزع- فتح- نجو- نحل- ندس- نصب- نعم- نفذ- نفس- نقل- نهم- نهىٰ- نوم- وبر- ورد- وشظ- وضأ- يبس

---

(١) نسبته في التاج إلى «الفرزدق».

١١٣- جسّاس

غسق

ورد الشاهد منسوباً إلى جسّاس دون تحديد.

١١٤- الجُلَيح

حطب- مرح

الشاهد في «مرح» ورد منسوباً إلى «الحليج» بالحاء والجيم من بني ثعلبة ويبدو أنه تصحيف، والحليج هو ابن شديد الثعلبي من بني ثعلبة بن سعد بن ذبيان رهط الشماخ ورفيقه. انظر ديوان الشماخ/ ٣٥٣ / ونقائض جرير والفرزدق ٢/ ٩٢٧.

الجموح الظفريّ

رود- سود

الشاهد في «رود» ورد منسوباً إلى الهذليّ دون تحديد انظر الهذليّ «رود» والشاهد في «سود» ورد منسوباً إلى «راشد» دون تحديد وهو للجموح الظفريّ في اللسان «سود» انظر «راشد».

١١٥- جُميح الأسديّ

نتــج

منقذ بن الطماح الأسديّ، أحد فرسان الجاهلية شهد يوم جبلة وبه قتل «عن معجم

الشعراء للمرزباني/ ٣٢٩/» ويوم جبلة كان قبل الإسلام بـ (٤٥) سنة «عن المفضليات ص/٣٤/».

١١٦- جميل

جدي[١]- رعف[٢]- رقب[٣]- رمث[٤]- قلل[٥]- نشر[٦]- نقر[٧]- هلك[٨]

١١٧- جُنْدب بن ضمرة

طفف

يبدو أنه جندب بن ضمرة النهشليّ المعاصر للفرزدق انظر النقائض/ ٩٥٢.

١١٨- جندل الراجز

عضه

الشاهد بعضه في اللسان «جلب» دون نسبة وفي «عضه» كذلك دون نسبة وكذا في التاج ويبدو أنه جندل بن المثنىٰ الطهوي التالي.

---

(١) الشاهد في ديوان جميل بن معمر/٢١٩/ عن الأساس. (٢) د/١٣٠ عن الأساس وهو في الأساس «ضمغ» دون نسبة (٣) د/٣١/ عن الأساس. (٤) د/٩٣ عن الأساس وفي اللسان والتاج.

«تمنيت من حبي علية أننا على رمث في الشرم ليس لنا وفر»

نسبه إلىٰ أبي صخر الهذليّ وذكر في الحاشية: أنه في الصحاح «في حبي بثينة» (٥)، د/١٨٩ (٦) لم أجده في الديوان (٧) د/١٩١. (٨) د/١٨٧.

جندل الطّهَويّ

بعق- خشب[1]- خيس[2]- سحل[3]- طحن[4]- عرب- قرب[5]- كري[6] لفف[7]- محل[8] - هدب[9]، وسق[10]

جندل بن المثنىٰ الطهويّ من تميم شاعر راجز معاصر للراعي «الأعلام ٢ / ١٤٠»

١١٩- جنوب أخت عمرو ذي الكلب

سكـب

شاعرة جاهلية من هذيل والبيت في اللسان «سكب» ورسالة الصاهل والشاحج / ٢٩٧ / وذكر اسمها «عمرة أخت ذي الكلب» باختلاف بسيط في رواية الشطر الثاني

١٢٠- جهم بن خلف المازنيّ

ذرب

راوية عالم بالغريب والشعر في زمان خلف والأصمعي له شعر في الحشرات والجارح والطير من آل أبي عمرو بن العلاء «الفهرست / ٧١».

---

(١) نسبة إلى جندل دون تحديد وهو في التاج (خشب) لجندل بن المثنىٰ.
(٢) الشاهد في «خيس» هو نفسه في «لفف» وهما في المادتين لجندل دون تحديد وكذا في التاج واللسان.
(٣) نسبة إلى جندل دون تحديد والشطر الأول في اللسان لجندل الطهويّ باختلاف في الرواية.
(٤) نسبة إلى جندل دون تحديد وهو في اللسان «طحن» لجندل بن المثنىٰ الطهوّي.
(٥) نسبة إلى جندل دون تحديد وهو في اللسان والتاج دون تحديد.
(٦) نسبة إلىٰ جندل دون تحديد وبعض الشاهد في اللسان والتاج «كرا» دون نسبة.
(٧) تقدم في «خيس».
(٨) نسبة إلى جندل دون تحديد وفي اللسان «محل» بعضه لجندل الطهويّ
(٩) نسبة إلى جندل دون تحديد.
(١٠) نسبة إلىٰ جندل دون تحديد وكذا في اللسان «وسق» والتاج.

١٢١- حاتم

أهل[١] - بأو- برد- حشر[٢] - حقب- حلم- خمص - سقف[٣] - ضرم- ضمم- عرد- فحو- فلل- قرع- قصر- وحد[٤].

الظاهر أنه حاتم الطائي المعروف.

١٢٢- حاجب بن زرارة

دوم

١٢٣- حاجز بن الجُعيد الأزديّ

نصص

حاجز بن عوف بن الحارث شاعر جاهلي مقل وهو أحد الصعاليك «الأغاني ١٣/٢٠٩» وفي «معجم ما استعجم ١/٣١» حاجز الأزدي أزد شنوءة أحد بني سلامان وفي ص/٦٣٨/ منه حاجز بن الجعد اللص.

---

(١) في الأغاني ١٧/٣٨٦ لحاتم الطائي باختلاف يسير في الرواية.
(٢) عجز بيت صدره في الأغاني ١٧/٣٨٥ لحاتم الطائي.
(٣) الشاهد في «سقف» نفسه في «ضمم».
(٤) الشاهد في الأغاني ١٧/٣٨٥ لحاتم الطائي باختلاف يسير في الرواية.

١٢٤- الحادرة بن أوس «الحويدرة»

حرص- سجر- هشم

يقال له الحُوَيْدِرة واسمه «قطبة بن أوس الغطفانيّ» اللسان والأغاني ٣/ ٢٧٠ وفي المفضليات /٤٣/ ح «قطبة» بن محصن بن جرول ... وهو شاعر جاهلي مقل» اهـ. الشواهد في «حرص» و «سجر» نسبها إلى الحويدرة وفي «هشم» إلىٰ الحادرة.

١٢٥- الحارث بن ثعلبة الأزديّ

ثبو

لم أجد ترجمة له

١٢٦- الحارث بن حرجة الفزاريّ

حقب- ذكر- شمل- فيأ- كبر- هلك

الحارث بن عمر بن حُرجة الفزاري شاعر جاهلي «تبصير المنتبه» ١/ ٢٤٧ والشاهد في «حقب» مع أبيات أخرىٰ في حماسة ابن الشجري ١/ ١٧٠ وذكر في حاشية الكتاب أنها منسوبة في الوحشيات إلى «شتيم بن خويلد». الشاهد في «فيأ» ورد منسوباً في الأساس إلى «الحريث بن حرجة».

١٢٧- الحارث بن حلزة اليشكريّ

رقح- نتج

١٢٨- الحارث بن عُباد

زجر

..... ابن قيس حكيم جاهليّ شاعر شجاع ت نحو/ ٥٠/ق. هـ عن الأعلام ٢ / ١٥٦ .

١٢٩- الحارث بن مرارة الحنظليّ

أثـر

لم أجد له ترجمة

١٣٠- حارثة بن بدر

أنى

«..... ابن حصين بن قطن الفداني أدرك النبي وله أخبار في الفتوح وذكر المبرد أنه غرق سنة/ ٦٤/هـ البيان والتبيين ٢ / ١٨٧ ح.

ترجم له في الأغاني ٨ / ٣٨٤.

١٣٤- - الحارثي

فتن- نفذ

١٣١- حبيب بن الأعلم

حنن- صعد

حبيب بن عبد الله أخو صخر الغي الهذليّ من العدائين عن «ديوان الهذليين» ٢ / ٧٧ الشاهد في صعد ورد منسوباً إلىٰ الهذليّ انظر الهذليّ «صعد».

١٣٢- حبيب بن جُدرة الهلاليّ

درر

في البيان والتبين ١ / ٣٤٦ و ٣/ ٢٦٤ «... «ابن خُدرة» بالخاء وذكر الجاحظ أنه من خطباء الخوارج وعلمائهم وشعرائهم من بني شيبان، وفي القاموس والتاج «خدر» «... ابن خدرة تابعي محدّث» وانظر «التنبيه على حدوث التصحيف» لحمزة الأصفهاني ص/ ٩١ /.

١٣٣- الحجّاج

قصب

لم أعثر على الشاهد

١٣٤- حَجْل الباهليّ

عيل

«حَجْل بن نَضْلة الباهلي شاعر يبدو أنه من شعراء الجاهلية» اهـ عن الأصمعيات / ١٣٨ / ح والشاهد فيها باختلاف يسير في الرواية.

١٣٥- حذافة بن غانم

نجج

..... ابن عامر من بني عدي بن كعب «الاشتقاق» لابن دريد ص/ ١٤٠ /.

حذيفة بن أنس الهذليّ

انظر الهذليّ «جرض»

١٣٦- حَرام بن وابصة الفزاريّ

حدب - هرر

شاعر فارس عن المؤتلف والمختلف/ ٣٠٤ /.

١٣٧- حرب بن أمية

صلح

جد معاوية بن أبي سفيان .

١٣٨- حسان

بأس - بهل - بوق - ثأر - جرب(١) - جوف(٢) - جيش - حذذ - حمي(٣) خزع(٤) - خصر - ذود - رقص - رقم - سجح - صعر - صيد - عزل - عمم - فوز - قتل - قلل - كفأ - لفف - معد - نجس - نحب(٥) - نطق - نفح - هكم - ودع

---

(١) الشاهد لعباس بن مرداس في السيرة والروض الأنف ديوان حسان/ ٥١٧ .

(٢) أورد الزمخشري شاهدين الأول نسبه إلىٰ حسان وذكر بعده شاهداً آخر وهو :

حار بن كعب ألا أحلام تزجركم عنا وأنتم في الجوف الجماخير

دون نسبة وهو لحسان د/ ٢١٩

(٣) الشاهد في السيرة لعون بن أيوب ديوان حسان ٤٨٣

(٤) الشاهد في السيرة لعون بن أيوب الأنصاري ديوان حسان ٤٨٣

(٥) الشاهد من قصيدة للنعمان بن بشير ولم ينسبه إلى حسان غير «الأساس» ديوان حسان/ ٤٤٣ .

....ابن ثابت الأنصاريّ والأبيات في ديوانه على ترتيب المواد ٣١٤- ٩٩- ٣١٩- ٩٦ - ٥١٧ - (١٨-٢١٩)- ٩٠ - ٢٧٨ - ٤٨٣ - ٤٨٣ - ٤٨٨ - ٢٥ - ٧٥ - ٧٥ - ٢١٩ - ٤٨٨ - ٣٥ - ٤٤ - ٧٥ - ٥٢٣ - ٧٥ - ٣١٦ - ١٨ - ٥١٧ - ٤٦٢ - ٤٦٦ - ٤٣٣ - ١٠٦ - ٤٥٣ - ٢٣٢ - ٨٩.

١٣٩- حسان بن نُشبة

كثر

الشاهد في اللسان «كثر» وفيه «ابن نُشبة» وكذا في التاج «كثر» وفي شرح الحماسة للتبريزي ١/١٧٦ «حسان بن نُشبة العدوي أخو بني عدي قال أبو محمد الأعرابي هذا الاسم مصحف والصواب: جساس بن نشبة» ١ هـ.

١٤٠- الحطيئة

أنف - أنىٰ - تلب - جحر - جزي - حفظ - حقف - خشر - خلج - دين - زفر - سجل - سوس - شلل - صلح - صلل - صنع - عدد - عرف - عنج - عنن - فتك - قرد - كري - كسو - لحم - لفع - نضج - نكس - هرس - هلك - وهق

١٤١- الحكم الخُضْريّ

جنن

..... ابن معمر الخضري إسلامي متقدم في الشعر هجاء خبيث اللسان، لج الهجاء بينه وبين ابن ميادة» ١ هـ انظر ديوان ابن ميادة ص ٤٣.

١٤٢- حكم بن زُهْرة «الأصم الفزاريّ»

مـــزج

«زهرة أمهُ وهو الحكم بن المقداد من فزارة وكان فارساً شجاعاً شهد الحرب المعروفة بينات قين عن «المؤتلف والمختلف» ص ٤٣ ، طبعة القدسي.

١٤٣ - حكيم بن مُصْعَب

نضـــخ

أبو جَنّة الأسديّ، واسمه حكيم بن عُبيد ويقال حكيم بن مصعب خال ذي الرمة، وكان بينه وبين عُمارة بن عقيل ملاحاة. عن «المؤتلف والمختلف» / ١٤٦ .

الحماسيّ

زرب × – علف – لقب – مجد – هدن – يقظ – نتج

الشواهد وردت منسوبة إلى «الحماسيّ» دون تحديد والشاهد في «نتج» ذكر قبله: «بيت الحماسة».

والأبيات هي:

في «زرب» شاهدان هما:

ترى رائدات الخيل حول بيوتنا   كمغزى الحجاز أعوزتها الزرائب

وهو في شرح الحماسة ٢ / ١٢٣ للأخنس بن شهاب.

والثاني:

ونحن بنو عم على ذاك بيننا   زرابيّ فيها بغضة وتنافس

وهو في حماسة التبريزي ١ / ٢٠٨ لأرطاة بن سهية.

والشاهد في علف :

إذا كنت في قوم عدي لست منهم   فكل ما علفت من خبيث وطيب

وهو في الحيوان ٣ / ١٠٣ لخالد بن نضلة .

والشاهد في « لقب » :

أكنيه حين أناديه لأكرمه   ولا ألقّبه والسوأة اللّقبا

في شرح الحماسة للتبريزي ٣ / ٧٨ لبعض الفزاريين وكذا في حماسة المرزوقي ، وخزانة الأدب ٤ / ٦ .

والشاهد في « مجد » :

أتيناه زوارا فأمجدنا ناقِري-   من البث والداء الدخيل المخامر

في شرح الحماسة للتبريزي ٢ / ١٧٧ لعبد الملك بن عبد الرحيم الحارثيّ وهو في شعر عبد الملك في الشعراء الشاميون / ٢٨٢ .

والشاهد في « هدن » :

ولا يرعون أكناف الهوينا   إذا حلوا ولا روض الهدون

في شرح الحماسة للتبريزي ١ / ١٧ لأبي الغول الطهويّ .

والشاهد في « يقظ » :

إذا نحن سرنا بين شرق ومغرب   تحرك يقظان التراب ونائمه

في شرح الحماسة للتبريزي ٢ / ٩٤ لأبان بن عبده وذكر التبريزي أنه في نسخة أخرى لعبيدة « أبو هلال عبده بن عيار بن مسعود بن جابر بن عمرو بن جزء » .

والشاهد في « نتج » :

هم أنتجوك تحت الليل سقبا   خبيث الريح من خمر وماء

في شرح الحماسة للمرزوقي ١٤٨٦ لأبي صعترة البولاني .

١٤٤- حُميد الأرقط

أرض - ثبو - نشط

.... ابن مالك الأرقط والأرقط لقب لآثار كانت بوجهه وهو شاعر إسلامي مجيد، عده أبو عبيدة من بخلاء العرب «معجم الأدباء» ١١ / ١٣

الشواهد في «ثبو» في معجم الأدباء ١١/ ١٣ باختلاف في الرواية، والشاهد في «نشط» ورد لحميد دون تحديد، وهو لحميد الأرقط في اللسان «عزم»

١٤٥- حُميد بن ثور

بعث- تبع[1]- حضن- حفد- خبأ[1]- ذري- رأد[1]- رتج- سأر - شخص- صبر[1]- ضأن[1]- ضجع[1]- طرف- عنن- غبب- فغر- قبص[1]- قذي- قرأ- مزق[2] نير[1]- وحش[1]- وسن.

ذكر العلامة الميمني في مقدمة ديوانه، «وحميد في عوران قيس، وروى المرزباني أنه توفي في خلافة عثمان ولكن تجد في هذا المجموع في اللام ثلاثة أبيات له في عبد الملك أو عبد الله بن جعفر وقد اتفق كلامهم على أنه طال عمره» ١ هـ ديوان حميد بن ثور ص (٥)

وفي الأعلام ٢ /٢٨٣ أبو المثنى مخضرم.

---

(١) وردت الشواهد في المواد منسوبة الى حميد دون تحديد وهي:
في «تبع» ديوان حميد بن ثور/ ١٠٤ / ٢ وفي «خبأ» لم أجده، وفي «ذري» د/ ١٣٣ دون أن يقطع بنسبته إلى حميد بن ثور فهو عن الأساس، وفي «رأد» لم أجده، في «صبر» د/ ٩٤، وفي «ضأن» د/ ٧١، في «ضجع» د/ ١٣٤ دون أن يقطع بنسبته إليه، وفي «قبص» لم أجده، في «نير« د/ ٦٥ دون أن يقطع بنسبته إليه، في «هول» في البارع/ ١٠٥- ١٠٦ / لحميد بن ثور وفي «وحش» في د/ ١٠٤

(٢) الشاهد الثاني ورد مسبوقاً بقوله وقال، ومطلعه: فجاؤا بشوشاة ... وهو لحميد بن ثور د/ ٢١.

١٤٦ - الحنان الهذليّ

سجس

لم أجد ترجمة له

١٤٧ - حيان بن جَزْء بن ضرار

عضد

كذا ورد الاسم في الأساس «حيان» وهو شاعر إسلاميّ وهو ابن أخي الشماخ الشاعر والشاهد في ديوان الشماخ الأراجيز الأرجوزة/ ٢٤/ ص/ ٣٨٩/ وذكر الاسم «جبار بن جزء» وكذا ورد في خزانة الأدب ٢/ ١٧٤ وفي المؤتلف والمختلف/ ١٣٧/ وتبصير المنتبه ١/ ٢٣٥ وذكر جبار بن جَزْء بن ضرار بن حرملة الذبياني ابن أخي الشماخ.

١٤٨ - خالد بن زهير

سير

... الهذليّ ابن أخت أبي ذؤيب والبيت في اللسان «سير» باختلاف في الرواية وكذا في ديوان الهذليين ١/ ١٥٧ وفي معجم الشعراء في لسان العرب: شاعر أموي.

١٤٩- خالد بن الصقعب

حلف - نبح

شاعر جاهليّ يُكنى أبا ليلى. عن معجم ما استعجم ١/ ٤١» والشاهدان في «نبح» في الحيوان ١/ ٣٥٠ لخالد بن الصقعب النهديّ

خالد بن نضلة

علف

الشاهد ورد منسوباً إلى الحماسيّ انظر الحماسيّ «علف» وهو في الحيوان ٣/ ١٠٣ لخالد بن نضلة الأسديّ. وفد على المنذر الأكبر اللخميّ وكان نديماً له وقتله المنذر بالسم عن نوادر المخطوطات «أسماء المغتالين» / ١٣٣ /.

١٥٠- خِداش بن زهير

ذوي- رحل- شدد- طبل- ميز- نطق

خداش بن زهير بن ربيعة بن عمر... من شعراء قيس المجيدين في الجاهلية «الشعر والشعراء ٤٠٩».... الأصغر العامري أدرك الإسلام ولم يسلم عده ابن سلام في الطبقة الخامسة من فحول الجاهلية «أشعار العامريين / ٩ /. ورد الشاهدان في «ذوي» و «رحل» لخداش دون تحديد، والشاهد في «ذوي» لخداش بن زهير في أشعار العامريين الجاهليين/ ٤٥ / والشاهد في «رحل» في الشعر والشعراء/ ٤١٠ / وأشعار العامريين الجاهليين/ ٢٦ /.

١٥١- خِراش بن عمرو

بـدر

الشاهد ورد في اللسان «بدر» لخِراشة بن عمرو العبسيّ وذكر اسمه في المفضليات ص/ ٤٠٤ / خُراشة بن عمروٍ العبسيّ.

١٥٢- يخرنق

أزر

... بنت بدر بن هفان، أخت غير شقيقة لطرفة بن العبد «الديوان» / ٤ » والشاهد فيه ص/ ٢٩/

١٥٣- خطّار بن مزاحم

خضـع

لم أجد له ترجمة

١٥٤- خفاف

بحح- صرد- ضري- وعد

أبو خراشة خفاف بن نَدْبة وهي أمه، صحابي وأحد فرسان قيس وشعرائها «شرح أبيات مغني اللبيب» ١/ ١٧٤.

الشواهد وردت منسوبة إلى خفاف دون تحديد، وهي لخفاف بن ندبة، فالشاهد في «بحح» في اللسان لخفاف بن ندبة، وفي «صرد» في اللسان والتاج له، وفي «وعد» الأول ورد منسوباً إلى خفاف وهو لخفاف بن ندبة في الأختيارين/ ٥٠٨ / باختلاف يسير في الرواية وكذا في الأصمعيات والثاني ذكره دون نسبة واكتفى بـ وقال: والشاهد هو:

إذا ما استحمت أرضه من سمائه   جرىٰ وهو مودع وواعد مصدقِ

وهو في اللسان «صدق» لخفاف بن ندبة وفي الأختيارين/ ٥٠٨ / و «الاقتضاب شرح أدب الكتاب» / ٣٩٩ /.

١٥٥- خلف بن خليفة

نقـد

.... الأقطع شاعر إسلامي مقل مجيد كان في زمن جرير والفرزدق وهو من شعراء الحماسة «الحيوان» ١ / ٣٥٥ح. وعده الجاحظ من الشعراء المطبوعين المولدين عن «البيان والتبيين» ١ / ٥٠.

١٥٦- الخليل بن أحمد

سخـو

..... الفراهيدي، والشاهد في وفيات الأعيان ٢ / ٢٤٦ باختلاف يسير في الرواية.

١٥٧- الخنساء

بطن - جنب- درك- رعي- شبر- شرو -صغر- طرد- عتق- عرش- عور- عول- قنو- كدس- نذر- نسل.

١٥٨- حُنيش بن مالك

نبـأ

الشاهد في اللسان «نبأ» نسبة إلى حنش بن مالك، وفي النقائض/ ٢٦٦ / حنش بن مالك من تغلب.

الخيبريّ

تيه

الشاهد في «اللسان والتاج» «تيه» دون نسبة.

١٥٩- داود بن رزين

ضيق

شاعر عباسي كان في زمن الرشيد ومعاصراً لبشار بن برد «انظر الأساس» «ضيق» وزهر الآداب ١/ ٣٢٣.

١٦٠- درهم بن زيد

طعن

.... ابن ضبيعة من بني عوف «البيان والتبين» ٣/ ١٠١ح، وفي «شرح ما يقع فيه التصحيف والتحريف للعسكريّ/ ٤١٤ / من شعراء الأنصار من بني النجار، وهو شاعر جاهلي والشاهد في طبقات فحول الشعراء ط٢ ص/ ٢٩٥ / باختلاف يسير في الرواية.

١٦١- دريد بن الصّمة

أمر - جلس - ردي - زمع - شرح - شلل - عكظ - غضب - نمر - وكب

.... من جُشم ويُكنى أبا قُرّة من فخذ بني غَزيّة أدرك الإسلام ولم يسلم «الشعر والشعراء» / ٤٧٠ /

١٦٢- دُكين

هـدد

دُكين بن رجاء الفقيميّ، والبيتان في ديوان القتال الكلابيّ/ ٧٧/ والأول في اللسان (جون) للقتال الكلابيّ باختلاف في الرواية.

١٦٣- الدّيان الحارثيّ

قصد

البيت في اللسان والتاج دون نسبة

وفي البيان والتبين ١/ ٣٦٢ ذكر الديّان بن عبد المدان الحارثيّ شريف كاهن وهو جاهليّ قديم. وفي الأعلام ٣/٦ الديّان بن قطن الحارثيّ وقيل إنّ اسمه يزيد، والديّان لقبه، وفي النقائض/١٥١/ يزيد بن عبد المدان الحارثيّ وكان شاعراً شريفاً توفي بعد /١٠/هـ وفي التاج «دين» والديّان لقب يزيد بن قطن بن زياد الحارثي.

الذهليّ

يتم

١٦٤- ذو الإصبع العدوانيّ

خزي - زيد - عضل

حُرثان بن عدوان بن عمرو بن قيس وكان جاهلياً «الشعر والشعراء» ٤٤٥ وفي المؤتلف والمختلف/١١٨/ «حرثان بن حارثة بن محرث ويقال الحارث بن ثعلبة وهو أحد الحكماء والشعراء» ا.هـ.

١٦٥- ذو الرمة

أيه - بثث - بجج - بحر - بخع - برد - بطح - بكر × - بلد - بنق - تعب - تفل - تلو - توم - ثبج - ثكل - ثني - جبي - جسر [١]- جعد - جلس - جمح - جمع - جمهر - جيش - حدث - حرج - حرر × - حشش - حصل - حقب - حلب - حور - ضبط - ختع - خذل- خرج - خشع - خصص - [٢]خضر - خطم - خلع - خمش - خوص - خون - خيط - خيل - دبب - دعج - دعو × - دفع - دلص - دمج - دنو - دوم - ذبر - ذكي - ذلل- ذنب - ذوب - ذوي - رأب - ربب - رتج × - رثم - رجح - رجع - رجف - رخم - ردف - رسم - رشأ - رشف - رشق - رقد - × رقق × - ركز - ركض - ركع - رمح - رمم - رمي - رنق - رهم - رهو - روح × - روز - روع - رهش [٣] - رهق - زجج - زرب - زعر - زعم - زلج - زلل - زمم [٤]× - سبب - سبط - سبي - سجح - سجع - سحر - سرب - سرد - سطع - سفر - سفن - سفه × - سقط × - سلف - سلل × - سلم - سمك - سهو - سوف × - سيح - شتو - شرب - شرر - شرف - شطب - شعب - شغف[٥] × - شفي - شكك - شلل - شمس - شمل - شهب - شهر - شيم - صبو × - صدر - صدع × - صري - صعد - صعلك - صفر - صهب - صهل - صيب - ضبر - ضرب - ضرج × - ضري - ضنن - طبق - طبي - طحل - طرح - طرد × - طرف × طرق - طعم - طفل - طلق - طنب - طهم - طوح - عدل - عدو - عذب - عذر - عذو - عرض - عرف - عري - عسف - عصب -

---

(١) الشاهد في ديوان ابن ميادة /١٣٤/ وهو في ملحق ديوان ذي الرمة عن الأنساب والفائق

(٢) الشاهد الثاني سبق بقوله : وقال أيضا : ومطلعه «وجدت بها الدمقاء.....» وهو في ديوان ذي الرمة /١٤٥٤/

(٣) الشاهد الثاني سبق بقوله : وقال أيضا : ومطلعه أفانين مكتوب لها ....» وهو في ديوان ذي الرمة/١٥٣/

(٤) أورد لذي الرمة خمسة شواهد منها اثنان ذكر قبلهما وقال أيضا ومطلعهما «تزم بي الأركوب ...» وهو في ديوان ذي الرمة /١٤٧٩ ، ومطلع الثاني «وكاني ورحلي فوق ...» وهو في ديوان ذي الرمة ٨٤١ .

(٥) الشاهد الثاني سبق بقوله : وقال ومطلعه «وشغفن عن أجياد.....وهو في ديوان ذي الرمة /١٤٥/

عصفر - عضد - عطف - عطو - عقد - عقص × - عقل × - عمم - عنف - عوج - عيد - غرب - غرر(٦)× غشي - غلف - غلو - غمض - غول - فتر - فتق × - فحل - فدى - فرخ - فرق - فضح - فضض - فضل - فضو - فعل × - فلك - فلي - فوه - قبص - قدح - قدم - قرض - قرن - قزع × - قسس - قشب - قفر - قفو - قلس - قمص - قنو - قوت(٧) × قود - قور - قوس - قيص - قيظ - كتب - كرع - كسر - كشح - كعم - كفل - كون - لبأ - لحب - لحد - لحن -لعب -لغب- لفظ - لفف - لقط - كلك- لمح - لمع - مخط - مرر - مرة - مزق - مسس - مشق - معج - ملأ- منح(٨) × - مهل - موت × - موه - نأج - نأى - نبط - نبك - نبل - نتج - نجع - نحب - نحز - نخو - نزر - نزك - نسج - نسم - نصب - نصل - نضل - نطق (٩) - نعم - نغب - نغش - نفج - نفنف - نقب - نكب - نهب - نهز × - نوع - نول × (١٠) - هبل - هجر - هجم × هجن - هدى × هرأ - هشش - هضب - هفف - هلك × - همم - هيض - وأب - وجه - وسج - وشع - وصب - وصل - وصي - وضح - وضع - وطيء - وعس - وقع - وكب - ولي × يري - يسر - يفخ

١٦٦ - راشد

سود

ورد البيت منسوباً إلى راشد دون تحديد، والبيت في اللسان «سود» للجموح الظفريّ باختلاف في الرواية وفي اللسان «عذر» ويقال هذا الشعر لراشد بن عبد ربه وكان اسمه غاوياً فسماه النبي ﷺ راشداً، وفي التاج للجموح الظفري وكذا في شرح أشعار الهذليين /٨٧١/

---

(٦) الشاهد الأخير سبق بقوله: وقال، ومطلعه : « وهاجرة غراء....» وهو في ديوان ذي الرمة /٨٧٨/ باختلاف يسير في الرواية.

(٧) الشاهد الثاني سبق بقوله: وقال، ومطلعه : «فقلت له ارفعها ....» وهو لذي الرمة في التاج « قوت» .

(٨) الشاهد الثالث سبق بقوله: وقال أيضا، ومطلعه : «إذا ما استدرته....وهو في ديوانه /٨٧١/

(٩) الشاهد الثالث سبق بقوله: وقال، ومطلعه: « تنطقن من رمل....» وهو في ديوانه / ١١٠٣

(١٠) الشاهد الثالث سبق بقوله: وقال أيضا، ومطلعه: «تصابيت واستعبرت ...وهو في ديوانه /١٦٢٤/، وانظر في «زهير بن أبي سلمى « خوف» .

١٦٧ – راشد بن شهاب

خـدع

راشد بن سهاب «بالمهملة» بن جهبل بن عبده كذا ضبطه المفجع البصريّ وقال: من قاله بالمعجمة فقد أخطأ «عن التاج» «سهب» وهو شاعر جاهليّ من بني يشكر «عن المفضليات ٣٠٧» والشاهد في المفضليات /٣٠٨ باختلاف في الرواية.

١٦٨ – الراعي

أدي – برد – بطن – بني – تيح – ثمن – ثوب – جبر – جرز – جزع – جسم – حدب – حدد – حذذ – حرب – حرم – حسر – حشو – خدد × خصر – خطر – خلو – دمج – ذبح – ذخر – ذرع – ذكي – ربع – ربو – رجز – رخد – ردف – رزم – رفع – رقل – روض – روق – ريث – زفر – سخر – سرد – سرق – سقط × – سمد – سوف – سوى – شبك – شرب – شرف[1] شكر × – شكم × – شيع – صحف – صفق – صيح – ضرب – ضفن – ضنن – طبق × – طرد – طوىٰ – ظهر – عثن – عذل – عرف – عري – عصي – عقل – عند – فحل – فخر – فلل – فيض – قبض – قذف – قصب – قنع – كبر – كحل – كرف – لصق – لغو – لمس – لهم – متع – مدر – مذل – مرح – مرض – مرع – مشق – ملل – مهد – ميل – نبذ – نتج – نجو – نحر – نزع – نسب – نسل – نفس – نكب – نهأ – نهم – هدج – هطل – ودع – ورد – وعىٰ – وفق – ومس

---

(١) الشاهد الثاني في شرف ومطلعه: «أسعيد إنك في بني مضر....» سبق بقوله: وقال، وهو للراعي في ديوانه ص /٢٠/ بتحقيق الحاني وص /٩/ بتحقيق راينهرت وفيهما «أسعيد إنك من قريش كلها».

١٦٩- رافع بن هُريم اليربوعيّ

رزم

شاعر قديم أدرك الإسلام وأسلم «البيان والتبين» ١/١٨٥ ح، لا ذكر له في كتب الصحابة «الأعلام» ٣/١٣

١٧٠ - الربيع بن الحُقَيق

لطـط

... ابن أبي الحُقيق جاهليّ يهوديّ من بني النضير، والشاهد في طبقات فحول الشعراء ط (٢) ص / ٢٨٢ /.

١٧١ - ربيعة بن مقروم

حبب[1] - ظلف - قتل

من ضبة جاهليّ إسلاميّ شهد القادسية وجلولاء وهو من شعراء مضر المعدودين «الشعر والشعراء» ١٨٠.

١٧٢- رُشيد

زلـم

رُشيد بن رُميض من عنزة شاعر مخضرم «شرح ابيات مغني اللبيب ٣/٣٣٣-٣٣٤/ والشاهد في شرح الحماسة للتبريزي ١/١٨٤ لرشيد بن رميض، وفي اللسان «حطم» للحطم القيسي ويروىٰ لأبي زغبة الخزرجي يوم أحد، ويروىٰ لرشيد ١ هـ.

(١) البيتان في المفضليات / ٣٧٦ / والشاهد الثاني فيه «ومشجوجة» بدل «ومسحوطة».

١٧٣- الرَّكَّاضُ الدُّبَيريُّ

خيط - ربد - شكك - هضب.

راجز، ذكر في معجم الشعراء في لسان العرب «ركاض بن أباق الدبيريّ» وكذا في «التاج» «ركض».

١٧٤- رؤبة

بخق - برم - بضض - بغي - بكأ - بله - جرض - جنن - جهد - حقق - حوش - حيد - خشب - خيل - دسق - دلم - ذبح - رذى - رسن - رعث - رعل - رقش - رقن - رمق - رمك - زرب - سرح - سوف - شقق[1] - صبح - صدق - ضبع - ضجع - ضعف - طوس - عته - عرد - عري - عزز - عضض - عطس - عهد - غدن - فتق - فسق - فطن - فلز - فوت - قبض - قتم - قذذ - قسم - قصب - قضض - قمم - قهب - قور - كرز[2] - كفف - لغب - لهق - مأق - متن - مجج - مصع - نشط - نفض - نقل - نوح - هتك - هذذ - هضب - وحي - وفد - وقي - ولع - ولق - ويل - يوم.

---

(١) الشاهد الثاني في «شقق» ورد غير منسوب وهو «لو صخبت حولاً وحولاً... وهو في ديوان رؤبه «١٠٧» باختلاف في الرواية.

(٢) البيتان وهما:

«لما رأتني راضياً بالإهماد // كالكرز المربوط بين الأوتاد

وقد جاءا بعد الشاهد الأول وسبق بقوله: وقال، هما لرؤبة في ديوانه /٣٨/، والبيت الثاني في معجم مقاييس اللغة ٥/ ١٦٩ لرؤبة وذكر في الحاشية في اللسان «كرز» والمعرب للجو اليقي / ٢٨٠ / والجمهرة ٢/ ٣٢٥.

١٧٥- رُويشد الفزاريّ

بوق - رضو

لم أجد ترجمة له

١٧٦- ريحان بن معقل

نســق

لم أجد له ترجمة

١٧٧- زبّان بن سيّار الفزاري

دفع - ركل ؛ طرح - قرح

ذكره الزمخشري زبّان بالباء في «طرح» و «قرح» وبالياء في «دفع» و «ركل»، وهو شاعر جاهليّ، وهو صهر النابغة الذبياني، وذكر في الحيوان ٣/٤٤٧ أنه «زبان بن سيار بن عمرو» بالباء وفي البيان والتبين ٣/٣٠٤ «زبان بن سيار بن جابر» وهو في اللسان بالباء في «درر» و «كلي» و «زياد» في «جنف» و «ضنك» وفي الوحشيات «زبان» بالباء.

١٧٨ - الزبرقان

قنـع - لعــب

الشاهدان في اللسان، وذكر اسمه في «ألقاب الشعراء» /٣٠٤/ حِصن بن بدر وفي «كنى الشعراء» /٢٩٣/ كنيته «أبو عيّاش» و «أبو شذرة».

١٧٩- زَفَيان

سـدن

الزَّفَيان الراجز التميميّ، أحد بني عُوَافة، واسمه عطاء بن أسيد ويقال أُسيد وهو إسلاميّ «عن معجم الشعراء للمرزباني» ١٥٩ وكنيته: «أبو المرقال» عنْ القاموس المحيط «رقل»، والبيتان في اللسان باختلاف في الرواية.

١٨٠- الزمخشريّ

طمر - فقر - نطع - حبل - جنى - سرع

البيتان في «حبل» سبقا بقوله: أنشد الزمخشري بنفسه، قال: أنشدتهما بزورد والشاهد في «جنىٰ» سبق بقوله: «وقع لي»، وفي «سرع»، مما أنشده والد الزمخشريّ.

١٨١- زُمَيْل بن أم دينار الفزاريّ

بضع - حضن - فحل

زميل بن أُبَيْر «من نسب إلى أمه من الشعراء» ص١٩٢ أو «ابن وبير» عن «أسماء المغتالين» ص ١٥٦، أو «ابن دبير» عن الإصابة وفيها... ابن عبد مناف من مازن كان حياً في عهد عثمان بن عفان رضي الله عنه، والشاهد في «بضع» ورد منسوباً إلى زميل دون تحديد، وهو «لخارجة بن ضرار» في اللسان.

١٨٢- زنباع بن محراق

نظر

لم أجد ترجمة له

١٨٣- زهير بن أبي سُلمٰى

أرىٰ - أبي - تبل - بجل - برم - بزل - بطن - بلو - بنى - تلو - جدر - جذر - جرو - جون - حبك [1] × - حرض - حكم - خبط - خرج - خصر - خلف [2] - خوف [3] - خون - ضيم - دفع - دفف - ذري - ذعن - ذكي - ذود - رحم - رجو - رحل × - رخو - رسو - رغم - ركل - رهق - زجر - زرق - سجل - سمر - شأم - شجج - شرب - شرك - شمل - صدق × - ضأل - ضري - طحل - طرق - طفل - طمح - ظلم - ظمأ - عرش - عرف - عشو - عقم - غفر - غول - غوي - فتت - فخر - فكك - قدح - قذل - قزع - كشف - كلأ - كلف - كنز - لؤلؤ - لحظ - لسس - لطم - لعن - لقم - لهو - مرج - مشي - مقل - مني - ميل - نتخ - نجم - نضو - نظر - نفض - هكم [4] - همم - وتر - درك - وسط - وشج.

١٨٤- زهير بن جناب الكلبيّ

قبـــب

شاعر جا هليّ سيد بني كلب وقائدهم في حروبهم من المعمرين «مختار الأغاني» ١٧٠/٤.

---

(١) الشاهد الثاني ومطلعه «هم يضربون حبك .....» لم ينسبه وهو لزهير د /١٥٩.

(٢) الشاهد الثاني ومطلعه «غفلت مخالفها السباع ....» سبق بقوله: وقال أيضا، وهو لزهير د/٢٧٤.

(٣) الشاهد مختلف فيه فهو في ديوان ابن مقبل /٤٠٥/ ولعبد الله بن العجلان، ولقعنب، ولذي الرمة، ولابن المزاحم الشماليّ.

(٤) بعض شطر.

١٨٥- زهير بن حِزام الهذليّ

صيــخ

كذا أورده «ابن حِزام» بالمعجمة.

زهير بن حرام = الداخل بن حرام = عمرو بن الداخل، انظر ديوان الهذليين، القسم الثالث ص /٩٨/ ففيه قصيدة لعمرو بن الداخل والبيت الخامس فيها، هو الشاهد الذي ذكره الزمخشري باختلاف بسيط في الرواية، وذكر في ح (١) في الصفحة نفسها «أورد السكري في مقدمة القصيدة ..... وقال الأصمعي: هذه القصيدة لرجل من هذيل يقال له الداخل واسمه زهير بن حرام، احد بني سهم بن معاوية.

١٨٦- زهير بن مسعود

سود - شيأ

.... الضبيّ الأعسر، شاعر جاهلي من شعراء الفروسية والوصف، عاصر عنترة وزيد الخيل «قصائد جاهلية نادرة» ص/٨٥/والبيت في «شيأ» في الكتاب السابق ص /٩٤/.

١٨٧- زياد الأعجم

شكر - نعم

انظر «ميسرة»

زياد غُلبة السهميّ

كظــم

أبو الحنّان، والبيت ورد منسوباً إلى الهذليّ، انظر الهذليّ «كظم».

١٨٨- زياد بن منقذ

ثمــد

شاعر إسلاميّ حنظليّ عدويّ، وهو اخو المرّار بن منقذ لا المرار بن منقذ كما ورد في الأعلام والخزانة ومعجم الشعراء وفي لسان العرب وغيرها، ويبدو أن الوهم جاء مما ذكره البغدادي في الخزانة وشرح أبيات مغني اللبيب عن زهر الآداب من أنه المرار بن منقذ فلربما كانت النسخة التي أطلع عليها البغدادي من زهر الآداب قد سقط منها، ففي المطبوعة ص /١٠٦٤/ وأنشد أبو عبيدة لزياد بن منقذ الحنظلي وهو [أخو المرار العدوي] ، وفي شرح ما يقع فيه التصحيف والتحريف للعسكري ص/٤٠٧/ «ومن شعراء بلعدوية زياد بن حمل بن منقذ وهو أخو المران بن منقذ» ١ هـ وربما كان «المران» «والمرار» فصحف، والشاهد في «ثمد» من قصيدة لزياد بن حمل ويقال لزياد بن منقذ يذم فيها صنعاء، وفي القصيدة بيت يشير فيه زياد إلى أخويه «المرار» و «الحكم» والبيت هو:

نحو الأميلح من سمنان مبتكراً   بفتية فيهم المرار والحكم

وفي «المصون في الأدب» للعسكري ص /٧١/«أنشدني.... أحمد بن يحيىٰ لزياد بن منقذ أخي المرار...»

١٨٩- زيد بن جُندب الإياديّ

رمــح

.... الأزرقيّ خطيب الأزارق وأحد شعرائهم. الأعلام ٣/٥٧ .

١٩٠- زيد الخيل

ضحو – ودج

زيد بن مهلهل، سماه الرسول ﷺ «زيد الخير» توفي ٩/هـ وقيل بل مات في آخر خلافة عمر رضي الله عنه «شرح أبيات مغني اللبيب» ٤/ ٧٧.

ثالثاً : تعليقات ومناقشات ومطارحات

المجمعيّ الدبلوماسي ابراهيم القطّان

للدكتور عبد الهادي التازي

كان علينا أن نحضر المؤتمر الثقافي العربي الرابع في الإقليم السُّوري من الجمهورية العربية المتحدة في أواخر غشت ١٩٥٩، وبوصولنا إلى دمشق عرفنا أن اللّقاء تأجّل إلى اليوم الخامس من شتنبر، وهنا وردت علينا فكرة القيام برحلة للمملكة الأردنية الهاشمية لزيارة معالمها وخاصة بيت المقدس أنقذه الله من الرِّجس...

وبما أننا ننتسب إلى أسرة التعليم فقد فكّرنا في أن نؤدّي الزّيارة بادىء الأمر لوزارة التربية والتعليم في عمان...

أحاول أن أعرف اليوم البناية التي دخلناها والتي كانت تحتضن قادة التعليم ورؤساء الأقسام في ذلك العهد، لكنّي لم أنجح في الوقوف على آثار ذلك المنطلق... إن عمان اليوم غدت عملاقاً عظيماً تتلاشى معه وأمامه سائر صور الماضي!

كان الأستاذ ابراهيم القطّان أوّل من استقبلنا قبل أن ندخل لمكتب سماحة الشيخ محمد الأمين الشّنقيطي... ومنذ اللحظات الأولى شعرنا أننا أمام إخوةٍ لنا كأننا كنّا على معرفةٍ سابقة قديمة بهم...

ما أزال أذكر عرض الأستاذ القطّان عن حالة التعليم بالمملكة أنذاك وحماسه في إعطائنا صورةً كاملةً عن الحالة التربوية في البلاد.

وقبل أن نودّع الوزارة إلى فندق (فيلّاديلفيا) قدَّم إلينا أعضاء الوفد الأردني للمؤتمر الذي سينعقد في دمشق وكان يتألف من الأساتذة: الاستاذ عبد الهادي التازي رئيس

الوفد المغربي للمؤتمر الثقافي العربي الرابع المنعقد بدمشق، ومحمد نوري شفيق و فائز الغول و الأستاذ طلعت السيفي. فعل ذلك ليكسبنا أصدقاء في المؤتمر قبل الموعد.. أطرف من هذا أنه ذكر لنا إسماً أردنياً رابعاً قال: إنه سيلتحق بكم من القاهرة ضمن وفد الأمانة العامّة لجامعة الدّول العربية، ولم يكن هذا الأردّني غير الدكتور ناصر الدين الأسد الذي ما يزال أمام عيني إلى الآن وهو في عنفوان الشباب تعلوّ رأسه وفرة غُدَافية اللّون !

لقد كان أجملَ معروف قدمه إلينا الأستاذ القطّان تسهيل زيارتنا إلى المسجد الأقصى... الأمر الذي تَمَّ في أحسن الظّروف حيث كان هناك في استقبالنا الشيخ مصطفى الأنصاري رئيس سدنة المسجد الأقصى آنذاك ولقد كان من أبرز ما سجلته ذلك اليوم الأربعاء ٢٨ صفر الخير ١٣٧١هـ، ٢ شتنبر عام ١٩٥٩ م ما يتصل بالتحفة المغربية الثمينة التي توجد في خزانة المتحف الإسلامي بالقدس الشريف، ويتعلق الأمر بالمصحف الذي وقفت عليه هناك مما خطه بيده أحد الملوك المغاربة في العصر الوسيط...

إنه من الواجب عليّ أن أعترف هنا بأنني منذ ذلك التاريخ وأنا أعيش مع الشيخ القطان كلّما فتحت صفحة للبحث حول تاريخ ذلك المصحف وتحقيق القول فيه ومقارنته مع المصاحف المماثلة المرسلة لجهاتٍ أخرى من العالم الإسلامي...

سيظل ما كتبتُه عن هذا الاثر الشريف طوقاً في عنقي أدين به للشيخ القطان أسبغ الله عليه من رحماته...

نحن نعلم أنّ المغاربة ظلّوا عبر تاريخهم الطويل على صلة بهذه البقاع: علماؤهم ومرابطوهم ومجاهدوهم ظلّوا يعنون إلى أداء واجبهم هناك، وقد كان في الهدايا التي كانت ترسل من أقصى بلاد المغرب مصاحف نفيسة خطت بعناية ودقّة...

وحتى يعبّر ملوك المغرب أنفسهم عن تعلّقهم بتلك الرّحاب قاموا بنسخ مصاحف كبرى بخط أيديهم ليجعلوها في خزائن تلك العتبات المقدسة تذكيراً بأهمية التّربة وتعبيراً عن التشبث بها.

وهكذا فبعد المصاحف الجليلة التي أهديت إلى الحرمين الشريفين[1] قام السلطان أبو الحسن أيضاً عام ٧٤٥هـ (١٣٤٥ - ١٣٤٦م) بانتساخ مصحف برسم أن يكون خاصاً بالمسجد الاقصى، كتبه بيده وجمع الوراقين لتنميقه وتذهيبه، كما أحضر القراء لضبطه وتهذيبه، ووضع له (رِبْعَة)[2] أي ظرفا ممنوعا من الإبْنوس (L,eb,ene) والعاج والصندل وغشاه بصفائح الذهب وغلفه من فوق برقاع من الحرير والديباج... وبعثه مع أبي المجد: نجل أبي الفضل محمد بن أبي مدين السابق قبل أن يبتدىء بنسخ مصحفٍ خاص لمقام ابراهيم الخليل أكمله بعده ابنه السلطان أبو عنان[3].

وقد وهم ابن خلدون عندما ذكر أن أبا الحسن أدركته وفاته قبل الفراغ من نسخ المصحف المقدسي، فقد بعث بهذا المصحف الجميل بواسطة أحد سفرائه اللامعين هو أبو المجد المذكور.. لكن النسخة التي لم يُتمها هي النسخة التي كانت برسم المقام الخليلي[4].

---

(١) لقد قام سلطان بني مرين أبو يعقوب (٦٥٥ - ٧٠٦هـ) بإرسال مصحف إلى مكة المكرمة كان بخط ابن حسني ثم قام السلطان أبو الحسن بكتابة مصحف، بذات يده وحبسه على المسجد النبوي بالمدينة المنورة، وكان ابتداءً برسم أن يكون بشالّة بضريح جدّه يعقوب بن عبد الحق لكنه فضل أن يرسله مع ركب الأميرة مريم سنة ٧٣٨ هجرية، وكان من ضمن رجال الوفد أبو الفضل محمد بن عبد الله بن أبي مدين والقاضي أبو اسحاق ابراهيم التازي، وقد كان المصحف الثاني الذي خطه السلطان أبو الحسن عام ٧٤٢ هـ هو الذي بعث به إلى الحَرم المكي - علاوةً على المصحف السابق الذي كان بخط ابن حسني. وقد حبس عليه من الأموال سائر دكاكين (فندق البركة) بحيّ القطّانين من (فاس)، وبعثه مع أبي الفضل محمد بن أبي مدين السالف الذّكر. ابن مرزوق: المسند الصحيح الحسن، تحقيق د. ماريا خيسوس بفيرا، الجزائر ١٤٠١ هـ - ١٩٨١م، ٤٧٥ - ٤٧٦. الإستقصاء. ١٤٠ - ١٤٧

(٢) الرُّبَيْعَة: الظّرف من خشب ونحوه ويقول المغاربة في تصغيرها«الرُّبَيْعَة» وقد عرف من الأمثال الشّعبية في طائفة من المدن المغربية حكاية عن اليهود: أنّهم «يهزُّون الرُّبْعة» أي إنهم «يحتالون» والأصل فيه أن بعض الإسكافيين منهم كانوا يحملون رِبْعتهم ويقصدون المدينة لممارسة عملهم... غير أن منهم من كان يستعمل «الربعة» تحيُّلًا لأغراضٍ أخرى... فأصبحت «الربعة» الحيلة وكان منها المثل الشعبي الآخر:«كلّ يوم برِبْعته» أي كلّ يوم أو كلّ ظرف له حيلته.

(٣) يراجع ما ورد في الرسالة التي بعث بها أبو الحسن بتاريخ ٢٦ صفر ٧٤٥ يتحدث فيها عن «المصحفين الأكرمين للحرمين الشّريفين كما يراجع الخطاب الذي أجاب به إسماعيل بن قلاوون عن «المصحفين المخصصين للحرمين» ويلاحظ السكوت عن المصحف المخصص للمدينة حيث إن هذا قد عهد بالعناية به لوالد ابن مرزوق... الناصري: الاستقصا ٣ / ١٤٠ - ١٤٧ الخ...

(٤) ابن خلدون: كتاب العبر، المجلد السابع، دار الكتاب اللبناني ص ٥٥٤، ابن مرزوق: المسند الصحيح الحسن ص ٤٧٧.

وقد ذكر المقري، صاحب نفح الطيب، أنه رأى المصحف، الذي ببيت المقدس ورأى ربْعَته وهي في غاية الصنعة [١].

وقد استمر هذا المصحف ببيت المقدس إلى السنوات الأخيرة حيث وقفت عليه يوم الأربعاء ٢٨ صفر الخير ١٣٧١ الموافق ل ٢ شتنبر عام ١٩٥٩، على ما أسلفت.

لقد كان **المصحف المريني المقدسي** ويدعى بالرّبعة المغربية- يتكون من ثلاثين جزءاً وهو على ما يؤكد الأستاذ السيد مروان أبو خلف والأستاذ نظمي أمين الجعبة، أمين المتحف الاسلامي [٢] **من أروع المصاحف التي يحتضنها المسجد الأقصى، حيث إن مُعْظَم أجزائه مكتوبة على رق الغزال** وكل من هذا المُعْظَم مجلد بجلد سميك أيضا من رق الغزال وعلى كلا الوجهين هناك زخارف هندسية وكتابية، وكلّ وجه محاط بشريط زخرفي عبارة عن خيوط ذهبية وفضية متداخلة محددة من الخارج والداخل بزوجين من الخطوط الفضية، أما الوسط ففي داخله دائرتان فضيتان متحدتا المركز، وان كلا من الشريط والدوائر يحتوي على زخارف كتابية وقد كان مما كتب في الشريط الزخرفي ما يلي: «كتب هذه الربْعَة وبخطه ووقفها على التلاوة فيها ببيته المقدس شرفه الله، عبد الله عليّ أمير المسلمين بن أمير المسلمين أبى سعيد بن أمير المسلمين أبى يوسف بن عبد الحق، وكملت في أواخر ذي الحجة خمسة وأربعين وسبعمائة فمن بدله بعدما سمعه فإنما إثمه على الذين يبدلونه إن الله سميع عليم». وقد نصت الكتابة التي على الصفحتين الأخيرتين على ما يلي:«كمل الجزء الأول من هذا المصحف الكريم المجزأ ثلاثين [٣] جزءاً وكتبت جميعها بخط عبد الله عليّ أمير المسلمين بن امير

---

(١) المقري: نفح الطيب نشر د. إحسان عباس: مجلد ٤، ص ٤٠٠.

(٢) قدّم أبو خلف بحثاً مهماً بعنوان:«المتحف الإسلامي بالحرم الشريف وتاريخه ومحتوياته «إلى المؤتمر الدولي الثالث لتاريخ بلاد الشام (فلسطين) الذي انعقد بالجامعة الأردنية- جمادى الآخرة ١٤٠٠هـ = أبريل ١٩٨٠م، كما أن الأستاذ نظمي، أمين المتحف نشر بحثاً بعنوان «فن كتابة المصحف الشريف وتجميله في مجلة هدى الاسلام (القدس) السنة الثانية، العدد السادس جمادى الآخرة ١٤٠٤ هـ أذار ١٩٨٤ ص ٣٠ - ٤٥.

(٣) جرت عادة المغاربة على توزيع تلاوة المصحف حزبين، كلّ يوم، أحدهما يتلى صباحاً والثاني مساءً وهناك أوقاف إلى اليوم على الذين يتلون القرآن على هذا الطريق إثر صلاة الصبح وبعد صلاة المغرب.

المسلمين ابي سعيد عثمان بن أمير المسلمين أبي يوسف يعقوب بن عبد الحق ملك المغرب نفعه الله ووقفها على التلاوة فيها بالمسجد الأقصى شرفه الله كما يجب فيه من ثواب الله نفعه الله وغفر له ولوالديه ولمن دعا لهما بالرحمة آمين، وذلك في أواخر ذي الحجة سنة خمس وأربعين وسبعمائة بحضرة فاس حرسها الله، والحمد لله وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه وسلم تسليماً».

لقد شَعَرْتُ منذ ذلك التاريخ بآصرة رحمٍ ربطتني بأخي ابراهيم، وهكذا فلم تكد تمضي سنة على لقاء عَمان حتى تم لنا لِقاء ثانٍ ولكن على أرض مدينة فاس العاصمة الأولى للإسلام بالمغرب الأقصى.

هناك وفي شهر أكتوبر من عام ١٩٦٠ كان لنا موعد مع الإحتفال بذكرى مرور أحد عشر قرناً على ميلاد جامع القرويين الذي يعتبر من أقدم الجامعات الإسلامية في العالم...

لقد كان على المغاربة وعلى رأسهم المغفور له الملك محمد الخامس — أن يؤدُّوا بعض ما عليهم من واجبات نحو هذا المعهد العظيم الذي نقدِّر جيداً دوره في الحفاظ على الحرف العربي بالغرب الإسلامي، وكان من الطبيعي أن تشاركنا فرحتنا بهذا العيد سائر الدول التي كان لها ملة معنا من قريب أو بعيد..

وقد كان في صدر هذه الدول المملكة الاردنية الهاشمية التي أوفدت عنها إلينا الشيخ ابراهيم القطّان الذي أبى إلّا أن تكون تحيّته لجامعة فاس قصيدة شعرية رفيعة بعنوان: «مواكب المجد» قوطع إنشادها بعاصفة من التصفيقات:

عيد الفخار وعيد العلم والأدب ... حفّته إليك وفود الغرب والعرب
جاءوا لجامعة كالنجـم عاليـة ... شابت نواصي الليل وهي لم تشب
أفنت قروناً ومرت في حوادثها ... تزري بهن ولم تسأل عن النُّوَب
مواكب المجد في أرجائها احتشدت ... في مسمع الدهر لم تخفت ولم تغب

يا ايها الحرم الزاهي نجمه ... تلألأ المجد في أرجائك الرحب
وقفت حرباً على الباغي بصادقة ... من العزيمة والتصميم والدأب
وحلت بين الذي يبغيه من ضرر ... للدّين واللغة الفصحى ومن كرب

من مواطن الوحي في الأقصى وصخرته ... أرض النبوءة والاسراء والحسب
مهد الخليل وعيسى في قداسته ... جئنا بأشواقنا للمغرب العربي
نهدي التحيات والأشواق لاهبة ... إلى بنى عمنا والاخوة الغلب
وقد تركنا نفوساً كلها أمل ... يهزها الشوق لم تيأس ولم تخب
نحمي الحدود بعزم صادق ويد ... على الجهاد لصدّ الغاشم الكَلِب
يا أهل فاس لقد فُزتم بمكرمة ... تاهت على الكون في الدنيا من العجب
فزتم بجامعةٍ كالشمس مشرقة ... قد خلدتكم مدى الأزمان والحقب
سقياً لشعبكم، سقيا لجامعتكم ... سقيا لموطنكم من موطن خصب

لقد كان عطاء الشيخ ابراهيم في هذا اللّقاء عطاءً جزلًا ... فعلاوةً على قصيدته التي تركت صداها قدم إلينا كلمة تاريخية أسهم بها سماحة الشيخ محمد الأمين الشّنقيطي وزير التربية والتعليم بالأردن وكانت تحمل عنوان: «جامعة القرويين بين القديم والحديث» ...

وان الذين يعرفون – كما أسلفته – عن دور هذا الجامع في سائر الجهات التي تقع جنوب المغرب ليدركوا معنى ودلالة حديث الشيخ الشّنقيطي بالذات عن إشعاع جامعة فاس سيما والشيخ الشنقيطي يمثل أسمى تمثيل فكرة أنّ لا حدود بين أفراد المجموعة الإسلامية !!

ولقد أتبَعنا الشيخ القطان الكَرامة حيث مال، كما يقول الشعراء.. لذلك وجدناه يقوم بتغطية هذا المهرجان الذي حضره مندوبون عن القارات الخمس، في مجلة هدى الإسلام الاردنية حيث قرأنا وصفاً حيّاً أنذاك لسائر التظاهرات التي تمت بهذه المناسبة ...

وقد افترقنا وكأننا على موعد للحضور في القاهرة في يناير ١٩٦١ لحضور اجتماعات الدّورة الرابعة عشرة للجنة الثقافية التابعة لجامعة الدول العربية، كانت هناك فرصة أخرى لصلة الرحم بالشيخ ابراهيم القطان الذي اجتمعنا به هذه المرة صحبة طائفة من رجال الفكر وأقطاب العلم.

لقد ارتفعت الكلفة بيني وبين الشيخ وكان بالامكان أن نظلّ هكذا على اتّصال بيد أنه في الوقت الذي كانت الاقدار تدخر له مقاماً طويلًا في المغرب بمناسبة تعيينه سفيراً لبلاده منذ يوم ١٣ - ٥ - ١٩٦٦ إلى يوم ١١ - ٤ - ١٩٧٣ في هذا الوقت بالذات حكمت الأقدار بأن أرحل عن المغرب إلى المشرق لأمثّل بلادي أيضاً في أرض الرافدين...

ومع ذلك فقد استمرت المراسلات بيننا منتظمة تناولتْ مختلف الموضوعات وكان فيها ما يحتوي على المفاكهة في القول والمباسطة في الخطاب وهذا جانب طَريف في حياة الفقيد العزيز ينم عن أريحيةٍ وكرمِ نفس... وقد كان من أبرز تلك المراسلات ما يتصل بالتعليق والتعقيب على ما نتهاداه من بحوث ومؤلفات.. وما أزال أذكر ايثاره لي باهدائي النسخة الأولى من كتابه بعنوان: «عثرات المنجد في الآداب والعلوم والأعلام»

لقد كانت النظرة الاولى على هذا الكتاب مدعاةً للإشادة بهذا العمل الفذ الذي يدلّ على اطلاع واسع وعلى علم جم إلى جانب الدأب والنَّفَس الطويل بالاضافة إلى ما يعبر عنه من غيرة زائدة على العربية وحرص كبير على سلامة المعلومات المقدمة لأجيالنا الصّاعدة...

لقد بلغ عدد المفردات التي حققها أو ضبطها أو أوضحها **ألفين وأربعمائة وأربعاً وثلاثين مادّة**، كما بلغت صفحات الكتابة ستمائة وأربعاً وستين صفحة! إنه منجد آخر!!

وقد حبب إليّ وأنا بالمغرب أن أقوم بجردٍ للائحة المفردات التي تمسّ بلادي المغرب ممّا كان حظه في المنجد على غير ما ترتضيه الحقيقة المنشودة... مثل ما ورد عن مدينة اسنى وأنها بكسر الهمزة، وما ورد عن الاشراف العلويين من أنهم حُسَيْنيّون مع أنهم حسنيون..! وما ورد عن الجزولي وحزب البحر ومولاي بوشتى وأنّه شفيع الموسيقيين.!

لم يكن ذلك أول ولا آخر بحثٍ عرفته لقاضي القضاة الشيخ القطان الذي كان حركة لا تنضب، فقد أتحفني منذ أربع سنوات وأنا هنا في عمان بعمله الجليل الذي قام به تحيةً لمطلع القرن الخامس عشر الهجري، ويتعلق الأمر بكتابه: «تيسير التفسير» الذي جعل له (مقدمة) ينبغي أن يجعلها المهتمون بدراسة القرآن الكريم ورقة عمل يعتمدونها قبل المضي في محاولة استكشاف معاني كتاب الله، إن استخدام آيات القرآن لتأييد الفرَق والمذاهب والخلافات المذهبية واستنباط العلوم الكونيّة والمعارف النظرية الحديثة من بعض الآيات وكذلك حمله على مذهب اقتصادي معين... كلّ هذه المحاولات مما ينبغي أن ينزه القرآن عنها فلندع للقرآن عظمته وجلاله ولنحفظ عليه قدسيته ومهابته «يقول الشّيخ القطّان».

إن المقدمة التي تعمَّد الأستاذ القطان أن يجعلها بين يدي القارىء كانت نتيجة، دون شك، لحضورٍ دائم للشيخ سواء في المؤتمرات التي عالجت الموضوع أو في المؤلفات التي أخذت تتناول مثل هذه المعلومات..

وقد كان آخر لقاء لي بالفقيد العزيز في القاهرة عندما حضرنا الاحتفال بالعيد الخمسيني لميلاد مجمعنا الموقّر حيث ظللت معه على صلة مستمرة، وكان آخر يوم ودّعته فيه هو الذي تناولت معه فيه طعام الغداء على مائدة واحدة في فندقٍ ضخمٍ قريب من منطقة الأهرام...

وقد شاءت الأقدار أن تجمع به «علاوة على مجمع اللغة العربية بالقاهرة» في مَجمع اللغة العربية الأردني منذ مارس ١٩٨٠ حيث أصبحنا منتسبين لأسرةٍ واحدة على نحو ما تعززت هذه الزمالة عندما سعدت بالإنتماء إلى مؤسسة آل البيت: المجمع الملكي لبحوث الحضارة الإسلامية

رحم الله الزميل العزيز رحمة واسعة،.. لقد كان يملأُ المجالس بعلمه ويغمرها بفضله وكانت خطواته مسخّرة لِخدمة الناس وخدمة الصالح العام.

كانت خلاله، رحمه الله، نسيجُة وحدها، ولذلك فإنه إذا كان لي ما أرجوه بهذه المناسبة فهو أن يهتم أبناؤه وزملاؤه بما خلّفه من مذكرات ومؤلفات.. لا أقصد هنا فقط نتاجه الفقهي واللغوي والأدبي ولكن أقصد كذلك لما حرّره، أو على الأصح بعض ما

حرره مما يتصل بحياته الدبلوماسية فما كان لي أن أبحث في وزارة الخارجية الأردنية في تقاريره، ولا في تحليلاته للأحداث من منظوره هو... ولكنني مؤمن بأن التفسير إذا كان يتوفر على رصيد أدبي وعلمي وفقهي في حجم ما كان يتوفر عليه الشيخ القطان فإن تقاريره وتحليلاته ستكتسي حلة أخرى قشيبة وستكون مثلًا في الرأي الراجح والإدراك المتّزن كما أنها ستكون من جهة ثالثة عامل بناء في طريق العلاقات، وليست عامل هدم أو تثبيط،وستكون، كما أعتقد، لبِنَةً في مد الجسور بين الناس وليس إلى نسفها...

لقد كان مثلًا في دماثة الخلق وفي حصافة الرأي... وإنّه فعلًا جدير بتكريم المملكة الأردنية له، فقد كان ابنها البار الذي أعطى وما بخل والذي ظل إلى آخر لحظة من حياته وفيّاً لِرجالها وقادتها ومبادئها... وإنّ دولةً تحتفي بعلمائها على هذا النحو، وتجيب عن ذلك الولاء بهذا الوفاء، وتستقبل تلك اللوذعية بهذه الأرْيَحية لجديرة بأن تظلّ دولةً شامخةً في سماء الخلق الرفيع وجديرة أن تعد في صدر الامم الواصلة التي تعرف كيف تحافظ على استمراريتها بإنصاف الذّاهبين والإغداق على العاملين وتمهيد الطريق للنّاشئين، إن الدولة بذلك تبرهن على أصالة محتد، وعلى صدق في الرسالة وثقة في المستقبل.

إن مثل هذه الالتفاتات مع الرَّاحلين هي التي تجعل منهم قوماً خالدين وهي التي تفتح الآفاق للحاضرين، ليمضوا في خطواتهم آمنين مطمئنين...

مصطلحات الاتصال الجماهيري في اللغة العربية: تعريب أم تغريب؟

للدكتور عصام سليمان الموسى
جامعة اليرموك

يقوم الاتصال الجماهيري بدور رئيسي في حياة الانسان الحديث. فعن طريق وسائله التي أصبحت بمتناول اليد، يتزود المرء بالمعلومات والأخبار، ويستمع الى الموسيقى والأغاني، ويشاهد الأفلام والمسلسلات، ويقرأ الكتب والمجلات والصحف. ولذا، فانه من الصعب تخيل الحياة الحديثة دون وسائل الاعلام، هذه الوسائل التي تصلنا بالعالم وأحداثه، وتساعد في تنمية معارفنا، وتقدم لنا المادة الترفيهية فيمر الوقت خفيفا سريعا.

ولقد كان اختراع المطبعة في القرن الخامس عشر (في ألمانيا) ايذاناً ببدء عصر جديد، هو عصر الاتصال الجماهيري. وتميز العصر الجديد بانتشار المعرفة بفعل المطبعة على نطاق واسع لم يسبق له مثيل. غير ان اختراع الاجهزة الالكترونية، كالتلفزيون والهاتف، في منتصف القرن الماضي، قد أعطى دفعة قوية لصناعة الاتصال الجماهيري، بما اتاحته الاختراعات الجديدة من امكانية لنقل الرموز (مثل اللغة) بسرعة عبر الأثير مباشرة. ونجم عن تلك الاختراعات تطوير الاذاعة والتلفاز. هاتان الوسيلتان الاعلاميتان اللتان انتشرتا انتشارا واسعا بين الناس قاطبة.

علم الاتصال الجماهيري

لقد أدى تطور الاتصال الجماهيري، وشيوع استعمالها بين الناس، الى نشوء ظاهرة الاتصال الجماهيري. ولقد أصبحت هذه الظاهرة في القرن الحالي محط انظار الدارسين والباحثين المختصين، تعبيرا عن اهتمامهم بوسائل الاعلام، وبما تخلفه من آثار اجتماعية ونفسية مختلفة على المتلقين. ولهذا الغرض، انشئت كليات ودوائر الاعلام

والصحافة في الدول الغربية، وخاصة أميركا، لدراسة تلك الظاهرة وتدريسها. ويدرّس علم الاتصال الجماهيري حالياً باعتباره احد ميادين العلوم السلوكية الانسانية والاجتماعية. ويُعرّف البحث في الاتصال الجماهيري بانه الدراسة العلمية لسلوك الاتصال الجماهيري عند الانسان، هذه الدراسة التي تتم، في الاغلب، في أحوال تستدعي جمع المعلومات الكمية (quantitative) من مصادرها الأولية، بما يعالج أوضاع المرسل الاعلامي ووسائل الاعلام، ومضمونها من الرسائل والجمهور المتلقي [١].

الاتصال الجماهيري في الوطن العربي

تأخر دخول الصحافة الى الوطن العربي بسبب ظروفه السياسية، حتى مطلع القرن الماضي [٢]. وفي القرن الحالي، اخذت محطات الاذاعة العربية في الانتشار اعتبارا من العشرينيات، ومحطات التلفزيون العربية اعتباراً من الخمسينيات.

وبسبب انتشار الوسائل الاعلامية في أقطار الوطن العربي، خاصة منذ منتصف القرن الحالي، كان لا بدٌ من اهتمام المؤسسات الرسمية والجامعات العربية بتدريس مادة الاتصال الجماهيري. ولا يقل عدد الكليات والدوائر الجامعية والمعاهد العلمية التي تدرس الاتصال الجماهيري، عن خمس عشرة مؤسسة تنتشر في مختلف ارجاء الوطن العربي [١].

مشكلة تعريب المصطلحات

تواجه الدارس العربي، الباحث والطالب والقارىء على حد سواء، لدى الاطلاع على ابحاث الاتصال الجماهيري وكتبه التي تصدر باللغة العربية، وتدرس في الجامعات والمعاهد، مشكلة بارزة، تتجلى في عدم وجود مصطلح موحد متفق عليه. ويؤدي هذا الى استعمال مصطلحات متباينة للمصطلح الاجنبي الواحد بين الكتّاب العرب أنفسهم، والى تباين استعمال المصطلح الواحد عند الكاتب نفسه في بعض الاحيان.

ويبدو ان هذه المشكلة جزء من مشكلة أكبر وأعم، لا تنحصر في علم الاتصال الجماهيري، بل تتعداه الى العلوم الانسانية والاجتماعية كافة في الوطن العربي.

فالمصطلحات التي تستعمل في تدريس هذه المواد «تختلف من بلد الى آخر، بل من جامعة الى أخرى»(٤).

ان تفاقم المشكلة على هذا النحو، يؤدي – في أبسط الأحوال – الى ايجاد التشويش والتشتت الفكري عند القاريء. بل ان تعدد المصطلحات المستعملة في الكتاب الواحد وتباينها بالنسبة إلى المصطلح الاجنبي الواحد، قد يدفع القاريء الى الاستهانة بما يقرأ أو يتعلم. ولذا فلا بد من معالجة المشكلة بايجاد المصطلحات العلمية المناسبة، وتعريبها»... وتشذيبها، وتوحيدها، وجعلها حية نامية، تواكب تقدم العلم وخطواته الواسعة»(٥). وهذا يحتم على الباحثين العرب ضرورة التصدي لهذه المشكلة من خلال اتاحة الفرصة لهم للادلاء بدلوهم في هذا المجال، ودعوتهم الى المساهمة بما قد يتجمع لهم من آراء حول المصطلحات المناسبة، ضمن قواعد عامة تتبناها مجامع اللغة العربية.

اهداف الدراسة ومنهجها

في هذه الدراسة، سيتم ايراد عدد من الأمثلة، التي تؤيد ما ذهبنا إليه، ألا وهو وجود تباين في المصطلح العربي المستعمل في ابحاث الاتصال الجماهيري وكتبه الصادرة باللغة العربية، وأحيانا في البحث أو الكتاب الواحد.

وستتم مناقشة هذه المصطلحات بالرجوع الى تعاريفها الاصلية باللغة الانجليزية، حيثما تستدعي الضرورة ذلك. كذلك، سيتم ترجيح أحد المصطلحات، أو اقتراح البديل المناسب له، بالرجوع الى المعاجم العربية المختلفة، للاهتداء بالمعاني التي تقدمها لذلك المصطلح. وسيعتمد هذا الترجيح على المنطلقات والقواعد العامة التي يهتدي بهديها مجمع اللغة العربية الأردني(٦).

أخيرا، فان هذه الدراسة ستقتصر على عدد محدود من مصطلحات الاتصال الجماهيري الاساسية. وهي لذلك لن تخرج عن ان تكون دراسة استكشافية أولية في الحدود المرسومة لها.

المصطلحات ومناقشتها

١ . اتصال وتواصل

تميل غالبية الباحثين العرب الى استعمال كلمة الاتصال للتدليل على مقابلتها الانجليزية (Communication). غير ان بعض الباحثين لا يميزون بين مصطلحي «اتصال» و «تواصل»، فنجد أن أحدهم يقول مثلاً: «وبالرغم من ان منهج «الاتصال» أو «التواصل» في البحث...»(٧). وفي الحقيقة، فان هنالك فرقا بين المصطلحين. ولقد ناقش هذه المسألة الباحثان غسان يعقوب وجوزف طبش في كتابهما «سيكولوجيا الاتصال والعلاقات الانسانية»، وعملا على تباين الفروق بين «اتصال» و «تواصل»، بموجب أسس لغوية وعلمية، على النحو التالي:

«نقول في اللغة العربية واصل وتواصل (فاعل، تفاعل) والمصدر هو «وصال» و «مواصلة». ويشير فعل «تواصل» الى حدوث المشاركة في الفعل بين الطرفين، ويكون نقيض «تواصل» في تهاجر وتنافر وتقاطع. ويعني الوصال الرغبة في اقامة العلاقات مع الآخر، وعادة تكون هذه العلاقة ذات طابع جنسي أو عاطفي. ان «التواصل» يعني اذن استمرار العلاقة المتينة بين الأثنين، أو بتعبير آخر، انفتاح الذات على الآخر في علاقة حية لا تنقطع حتى تعود من جديد.... في «الاتصال»، هناك رغبة من احد الطرفين باتجاه الاخر، وهذا الاخر قد يستجيب ويتفاعل مع تلك الرغبة، أو قد يرفض وينغلق. أما في التواصل، فان التفاعل أو الرغبة في المشاركة تحدث من كلا الطرفين. واذا بحثنا في موضوع الاتصال والتواصل من الناحية الأجتماعية والعلمية، فاننا نلاحظ ان حياتنا المعاصرة... تقوم على الاتصال وليس على التواصل. ان وسائل الاعلام... تفرقنا يوميا في خضم الانباء المحلية والعالمية، وتغزونا من كل حدب وصوب، وكأننا جهاز استقبال في معظم الاحيان. نحن على اتصال دائم بالعالم كله ولكن من طرف واحد...»(٨).

وبناء على هذه المناقشة، فان استعمال مصطلح الاتصال – كما في الاتصال الجماهيري – يفي بالغرض العلمي، على أساس ان العلاقة القائمة بين المرسل والمستقبل هي علاقة أحادية، تقوم على توجيه الرسائل الى المتلقين، وان دور هؤلاء، في الأغلب، يقتصر على استقبال المعلومات التي تبثها وتنشرها وسائل الاعلام. لكن هذا لا ينفي حدوث التفاعل والمشاركة، فيتحول الاتصال الى عملية تواصل. وهكذا يصبح التواصل هو الهدف الذي نسعى اليه من تحقيق الاتصال.

٢ . اتصال وجاهي

يستعمل الباحثون العرب مصطلح «الاتصال بين فردين» أو «الاتصال الشخصي» أو «الاتصال المواجهي» للتعبير عن المقابل الانجليزي لمصطلح (Interpersonal Communication). ومن الأمثلة على ذلك. قول الدكتورة جيهان رشتي: «والاتصال بين فردين أو الاتصال الشخصي هو العملية التي تحدث يوميا حين نعطي ونتلقى أوامر، أو ندخل في مناقشة.... والاتصال الشخصي يحدث حينما يكون هناك تفاعل بين نظامين ذاتيين أو أكثر»(٩). لقد استعملت هذه الباحثة مصطلحين مختلفين هما: «الاتصال بين فردين» و «الاتصال الشخصي» للتعبير عن المصطلح الأجنبي الواحد. والحقيقة، ان الباحثة قد نقلت بنفسها صحة استعمالها لمصطلح» الاتصال بين فردين»، حينما ذكرت في نهاية جملتها المقتبسة أن الاتصال قد يكون بين «أكثر» من شخصين. وتلجأ الباحثة الى استعمال مصطلح ثالث للمصطلح الاجنبي نفسه، غير المصطلحين السابقين اللذين استعملتهما، وفي مكان آخر من كتابهما، هو «الاتصال المواجهي» (١٠).

ويستعمل الدكتور ابراهيم امام تعبير الاتصال الشخصي(١١)؛ في حين يستعمل الدكتور أحمد بدر الاتصال المواجهي(١٢)، والاتصال الشخصي(١٣)، في الكتاب نفسه.

وواضح ان كلمة «شخصي» هي ترجمة لكلمة (Personal) الانجليزية – وهي لذلك لا تفي بالغرض المقصود منها في هذا المجال، ذلك ان الكلمة المقصودة هي (Interpersonal).

ولتحديد معنى المصطلح بدقة، فان الباحث (بارنلند) يقول ان هذا النوع من الاتصال يحدث حين يلتقي شخص بآخر، أو أكثر، وجها لوجه، فيتبادلون الرموز (اللفظية وغير اللفظية) و المعلومات، مباشرة دون وسيط آلي، فيحدث التفاعل بينهم، لانهم أعطوا جُلّ انتباههم بعضهم لبعض (١٤).

وبناء على هذا، فان المصطلحات السابقة الذكر جميعا، باستثناء مصطلح الاتصال المواجهي، لا تؤدي الى اعطاء المعنى المناسب الذي يتوافق مع هذا التعريف.

أما مصطلح الاتصال المواجهي، فيظل أقربها وانسبها لاعطاء المعنى المناسب، على الرغم من التحفظ عليه، بسبب عدم سهولة لفظه. وهذا يترك المجال مفتوحا لاقتراح مصطلح جديد، قد يكون أكثر مناسبة من سابقيه، وهو مصطلح «الاتصال الوجاهي». ومما يعزز من صحة هذا المصطلح وملاءمته أكثر من غيره، اعتماد المحاكم الأردنية لتعبير «وجاهي»، لدى نشر المذكرات التي تتعلق ببعض الدعاوى في الصحف المحلية، على نحو يكاد يكون يوميا. ومن مثل ذلك ما يرد في نص الحكم على النحو التالي: «... فان الحكم الذي سيصدر في الدعوى يعتبر بمثابة الوجاهي، أو يكون «قرارا وجاهيا بحق المدعي وبمثابة الوجاهي بحق المدعى عليه».

ومن ناحية لغوية، فاننا نقول في اللغة العربية «واجه فلان فلانا»، أي لقيه وجاها ومواجهة. وفي معجم «متن اللغة» فان كلمة (واجهه) تعني قابله، أي لقيه وجها لوجه، ولقيه وجاها ومواجهة، كذلك، فان معجم «محيط المحيط» يذكر ما يلي: «واجهه مواجهة ووجاها أي قابل وجهه بوجهه، ويقال لقيه مواجهة ووجاها».

من هنا، فان شيوع استعمال تعبير «وجاهي» في المصطلح المعمول به في القضاء الأردني، وبسبب صحة استعمال القاموس لهذا المصطلح، وقربه من المعنى الذي حدده (بارنلند) أكثر من بقية المصطلحات، فاني أرى استعمال مصطلح «الاتصال الوجاهي»، ليعني ذلك الاتصال الذي يحدث وجاهيا، أي حين يقابل المتصلون (المرسلون والمتلقون) بعضهم وجها لوجه، أو مواجهة.

٣ . رجـــع

ولتعريب مصطلح (Feedback)، يستعمل الباحثون العرب مصطلحات متعددة، مثل الصدى»[١٥]، أو «التغذية الراجعة»[١٦]، أو «التغذية الارتجاعية»[١٧]، أو «رجع الصدى أو التأثير المرتد»[١٨].

ويعرف الباحث (شرام) مفهوم الـ (Feedback) بانه رجوع المعلومات عن الرسالة الى المصدر الذي ارسلها[١٩].

وفي اللغة العربية، فان «المعجم الوسيط» يبين ان (الراجعة) تعني نوعا «من الحمى تذهب وترجع». وفي معجم متن اللغة تعني (الراجعة): «الناشغة من نواشغ الوادي أي المجرى من مجاريه... والناقة تباع بثمن ويشترى بثمنها مثلها، فالثانية راجعة ورجعية». وفي معجم «محيط المحيط»، يعني رجع الصدى «ما يرده عليك المكان الخالي اذا صوّت فيه».

بالمقابل، فاننا نكتشف في «المعجم الوسيط» (رَجْع) بمعنى «جواب الرسالة». وفي تقديري ان هذا هو المصطلح الذي نريده في اللغة العربية، خاصة أن معناه يتفق تماما مع التعريف السابق.

٤ . متصـــل

يستعمل بعض الباحثين العرب مصطلح «القائم بالاتصال»[٢٠] لمقابله الانجليزي -(Communicator)- للشخص الذي يبادر الى تبادل الرموز والمعلومات مع الآخرين، سواء أكان ذلك الشخص مرسلا أم مستقبلا.

وفي هذا الصدد، فان معجم «محيط المحيط» يبين ان «المتصل» هو «ذو الاتصال».

وفي تقديري، أن «المتصل» هو المصطلح المناسب الواجب استعماله. وفي هذا المجال، يصبح «المتصل» الشخص الذي يرسل المعلومات والرموز، أو الشخص الذي يستقبلهما، سواء بسواء.

٥ . صورة نمطية

يشير مفهوم الـ (stereotype) الى «اتجاه الانسان لنسبة صفات الى شخص معين باعتماد الطبقة أو الفئة التي ينتمي اليها ذلك الشخص»[٢١] . ومن مثل هذا ، اعتبار ان جميع الايرلنديين يتصفون بطبع متفجر ، أو ان السود كسالى . وعلى الرغم من ان مثل هذه التعميمات تحظى بقبول الناس لها ، الا انها ليست صحيحة .

وفي مواجهة هذا المصطلح ، نلاحظ تخبطا واضحا عند الباحثين الاعلاميين العرب . فمنهم من يستعمل «صور منطبعة»[٢٢]، أو «الأنماط الجاهزة الجامدة»[٢٣] أو «القوالب المطبوعة»[٢٤] أو «أنواع الاستريو»[٢٥] .

وفي اعتقادي ان المصطلح المناسب لهذا التعبير هو «الصورة النمطية» ، على أساس ان هذه تعني ان المرء يحمل صورة في ذهنه تجعله يعمل على تنميط الاشياء ، أو الأشخاص ، ضمن قوالب تعبيرية جاهزة . ومما يعزز هذا الاعتقاد ان الـ (Stereotype) هي نوع من الـ (image)، أي الصورة العقلية التي يحملها المرء من شيء ما أو شخص ما . وفي حين أن الأولى تكون صورة ضعيفة باهتة لا تستند الى معرفة واسعة فتدفع بصاحبها الى التنميط ، فان الثانية تكون ، للمعنى الذي تمثله ، أوسع واشمل ، وتعتمد في تشكيلها على معلومات وافية .

خاتمـــة

تتميز المصطلحات التي أوردناها (الاتصال ، التواصل ، الاتصال الوجاهي ، الرجع ، المتصل ، الصورة النمطية) بدقة معناها الذي تمثله ، وباقترابها كثيرا من المعنى الحقيقي للمصطلح الاجنبي ، علاوة على انها نابعة من التراث العربي القاموسي الصحيح . وبالاضافة الى هذا ، فان استعمال مصطلح مثل «الرجع» أو «المتصل» يؤدي الى اقتصاد في الالفاظ ، اذ يتم استعمال كلمة واحدة بدلا من كلمتين اثنتين (تغذية راجعة ، وقائم بالاتصال) لكل منهما ، وهذه دلائل ناصعة على تميز لغتنا وجزالة الفاظها .

ان العبرة التي يمكن ان نخرج بها من استعراض هذه المصطلحات ومناقشتها ، هي أن الباحثين العرب في ميدان الاتصال الجماهيري لا يبذلون الجهد الصادق في التنقيب

في المعاجم العربية عن مصطلحات محددة تعبر عن واقع المصطلح المراد تعريبه ، تعبيرا صحيحا ودقيقا . ومن هنا تأتي ضرورة قيام المجامع العربية بالتعاون مع الجهات المختصة ، مثل الجامعات للعمل على ايجاد المصطلحات المناسبة ، وتعميمها في قوائم على المعاهد الاعلامية العربية المختلفة للالتزام بها .

الهوامش

(1) Agee, Warren R., phillip H. Ault, and Edwin Emery. **Introduction to Mass Communication**, New York: Harper & Row publishers. 1985, pp. 364-5.

(٢) أديب مروة. الصحافة العربية: نشأتها وتطورها. بيروت: دار مكتبة الحياة، ١٩٦١، ص ١٤٢.

(٣) د. مصطفى المصمودي. النظام الاعلامي الجديد. الكويت: سلسلة عالم المعرفة، ١٩٨٥: ص ٢٤٠.

(٤) د. محمود ابراهيم. «تعريب العلوم الانسانية»، مجلة مجمع اللغة العربية الأردني، العدد المزدوج ٥-٦، ١٩٧٩، ص ٤٦.

(٥) د. عبد الكريم خليفة. «دور التراث العلمي في تعريب العلوم والتقنيات»، مجلة مجمع اللغة العربية الأردني، العدد المزدوج ٣-٤، ١٩٧٩، ص ٧.

(٦) د. محمود السمرة. «تجربة مجمع اللغة العربية الأردني في تعريب العلوم»، مجلة مجمع اللغة العربية الأردني، العدد المزدوج ١٥-١٦، ١٩٨٢، ص ١٠٠، حيث يتم ذكر المنطلقات التي يهتدي بها مجمع اللغة العربية الأردني في التعريب، كما استنتجها الباحث من الممارسات العملية وهي:

«١ - أن يكون المقابل العربي معبرا تعبيرا دقيقا عن المصطلح الاجنبي.

٢ - أن يكون المقابل العربي معبرا عن الوظيفة التي يدل عليها المصطلح الاجنبي، اذا كان النقل الدقيق لالفاظه يخرج به، في العربية، عن وظيفته.

٣ - أن يكون المقابل العربي للمصطلح الاجنبي عربيا تراثيا، كلما كان ذلك ممكنا.

٤ - أن يكون المقابل العربي للمصطلح الاجنبي هو المصطلح الاجنبي، مع تحوير يجعل له جرسا عربيا، اذا اعيانا وضع المقابل العربي بطريقة من الطرق السابقة.

٥ - أن يكون المقابل العربي للمصطلح الاجنبي هو نفسه، اذا كان من الشيوع والذيوع بحيث أصبح علماً.

(٧) د. زكي الجابر. «نظرية الاتصال والتكامل العربي»، مجلة شؤون عربية، العدد ١٧، ١٩٨٢، ص ٢١١.

(٨) د. غسان يعقوب وجوزف طبش. سيكولوجيا الاتصال والعلاقات الانسانية. بيروت، دار النهار للنشر، ١٩٧٩، ص ١١-١٢.

(٩) د. جيهان رشتي. الأسس العلمية لنظريات الاعلام. القاهرة، دار الفكر العربي، ١٩٧٥، ص ١٠٩.

(١٠) المصدر السابق، ص ٥٥١.

(١١) د. ابراهيم امام. الاعلام والاتصال بالجماهير. الجيزة، ١٩٨١، ص ٢٨.

(١٢) د. أحمد بدر. الاتصال بالجماهير بين الاعلام والدعاية والتنمية. الكويت، وكالة المطبوعات، ١٩٨٢، ص ٢٣٠.

(١٣) المصدر السابق، ص ٥٧.

(14) Barnlund, Dean, ed. **Interpersonal Communication: Survey and Studies.** Boston: Houghton Mifflin Co., 1968, p.6.

(١٥) د . ابراهيم امام، مصدر سابق، ص ١٣٣ .

(١٦) د . غسان يعقوب وجوزف طبش، مصدر سابق، ص ٦٦ .

(١٧) وارن أجي، فيليب اولت، ايدوين ايمري . وسائل الاعلام: صحافة، اذاعة، تلفزيون . ترجمة ميشيل تكلا . القاهرة : مكتبة الوعي العربي، ١٩٨٤، ص ٢٠ .

(١٨) د . جيهان رشتي، مصدر سابق، ص ١٢٣ .

(19) Schramm, Wilbur. **Men, Messages, and Media.** New york: Harper and Row Publishers, 1973, p. 51.

(٢٠) د . جيهان رشتي، مصدر سابق، ص ٥٨ ؛
د . أحمد بدر، مصدر سابق، ص ٥٩ .

(21) porter, Richard E. "An Overview of Intercultural Communication," in **Intercultural Communication: A Reader,** Larryy Samovar and Richard Porter, eds., Belmont: Wadsworth Publishing Co., 1972, p, 8.

(٢٢) د . جيهان رشتي، مصدر سابق، ص ٥٣٤ .

(٢٣) د . احمد بدر، مصدر سابق، ص ١٣٣ .

(٢٤) د . احمد بدر، مصدر سابق، ص ١٣٠ .

رابعاً : أخبار مجمعية

صندوق الاستثمار
لمجمع اللغة العربية الأردني

لما كانت موازنة المجمع لا تفي بتحقيق أهداف المجمع التي نص عليها قانونه، فقد أنشأ صندوقا أطلق عليه اسم (صندوق الاستثمار لمجمع اللغة العربية الأردني) على أمل أن يغطي ريع الاموال، التي ستتوافر في هذا الصندوق، جزءا من النفقات المترتبة على أعمال المجمع.

أرسل المجمع رسائل الى بعض المؤسسات والجمعيات والى من يتوسم فيهم حب الخير والغيرة على مصلحة الأمة العربية، والحرص على تراثها الحضارى والمحافظة على هويتها وابراز شخصيتها، وتعزيز مكانة لغتها الشريفة في نفوس أبنائها، وجعلها مواكبة لمتطلبات العصر، لكي تصبح لغة العلم والتقنيات الحديثة في جامعاتنا العربية ومؤسساتنا العلمية. يحثهم فيها على التبرع السخي لهذا الصندوق مما سيكون له أكبر الأثر في تحقيق أهداف المجمع، وضمان استمراره في أداء رسالته، وأرفق بها نشرة تعرف بهذا الصندوق، والهدف من انشائه: وفيما يلي نص هذه التعليمات:

تعليمات صندوق الاستثمار لمجمع اللغة العربية الأردني:

المادة الأولى تسمى هذه التعليمات تعليمات صندوق الاستثمار لمجمع اللغة العربية الأردني.

المادة الثانية: يؤسس في مجمع اللغة العربية الأردني صندوق استثمار برأسمال مقداره مليون دينار، يغطى خلال عامين.

المادة الثالثة: يتألف رأسمال هذا الصندوق مما يقدمه الأشخاص والمؤسسات من هبات وتبرعات دعماً لهذا الصندوق.

المادة الرابعة: يشكل المجمع لجنة من أعضائه تتولى أمر استثمار رأسمال هذا الصندوق، بالطرق المناسبة.

المادة الخامسة ينفق على مشروعات المجمع من ريع استثمار رأسمال هذا الصندوق، الذي يقدر بمئة الف دينار سنوياً، ويبقى رأسمال الصندوق ثابتاً باستمرار.

المادة السادسة: يصدر المجمع شهادة تسمى «براءة زمالة مجمع اللغة العربية الأردني» لكل من يتبرع بعشرة الاف دينار أو أكثر، ينص فيها على اسم المتبرع، ومقدار الدعم المالي الذي قدمه لهذا الصندوق، اعترافاً من المجمع بفضل المتبرع، وتقديراً لدعمه.

وفد المنظمة العربية للعلوم الادارية

قام في التاسع من شهر اب لعام ١٩٨٦م وفد من المنظمة العربية للعلوم الادارية بزيارة مجمع اللغة العربية الاردني، وقد ضم الوفد عددا من الاداريين في كل من الجزائر والصومال وموريتانيا ممن شاركوا في ندوة «مشروع تدعيم استخدام اللغة العربية في الادارة في دول المغرب العربي والصومال» بدعوة من المنظمة العربية للعلوم الادارية في عمان.

التقى الوفد الضيف برئيس المجمع الاستاذ الدكتور عبد الكريم خليفة، واستمع منه الى شرح مفصل عن اعمال المجمع وانجازاته في خدمة اللغة العربية، وتعريب التعليم العلمي الجامعي، واكد الاستاذ رئيس المجمع على أن المجمع الأردني يمثل ارادة الاردن في تعزيز لغتنا العربية التي شرفها الله بأن جعلها لغة القرآن الكريم، وأن اللغة العربية هي مرآة الامة، وقد مرت لغتنا العربية بتجربة حضارية، وكانت لعدة قرون، لغة العلم والحضارة، وأن الواجب يفرض علينا أن نعتني بأمر لغتنا عناية بالغة لأمور كثيرة من بينها: أنها هي الاساس في تحرير الامة، وفي ابداعها ومشاركتها الاصيلة في بناء الحضارة العالمية، وأنها هي لغة الاسلام التي تجمعنا، وأن اعداءها هم اعداء الاسلام.

واطلع الوفد الضيف على منشورات المجمع وعلى وحدة الحاسوب والمكتبة فيه. وتأتي هذه الزيارة ضمن التعاون العلمي القائم بين المجمع والمنظمة العربية للعلوم الادارية.

ندوة اتحاد المجامع اللغوية العلمية العرب

من ١/٢٧ - ١٩٨٧/١/٢٩

فانطلاقا من ايمان مجمع اللغة العربية الأردني بأن قض[illegible] المعادلات والرموز العلمية بالحروف الأجنبية تشكل مشكلة جوهرية في عملية نقل العلم والتقنيات الحديثة الى اللغة العربية، لأن للرموز ايحاءات خاصة لا تنتقل بانتقال الرمز من لغة الى لغة أخرى، ولأن الترجمة برموز أجنبية انما هي مجرد ترجمة ولي[illegible]ت تعريبا للعلم ونقلا له الى اللغة العربية.

ومن أجل هذا، وفي سبيل التغلب على مشكلة [illegible] الرموز العلمية بالحروف الأجنبية، فقد عهد المجمع منذ عام ١٩٨٢ الى [illegible] من الاساتذة الأردنيين المتخصصين في الرياضيات والفيزياء والكيمياء للعمل على [illegible] مشروع متكامل للرموز العلمية باللغة العربية.

بدأت اللجنة عملها منذ عام ١٩٨٢م، [illegible] عدد [illegible] رسمت اللجنة خطة عملها، والأسس المنهجية التي ستعتمدها في [illegible] هذا المشروع، ثم عقدت ندوة في مجمع اللغة العربية الأردني، دعي اليها [illegible] المتخصصين من الأردن، وعرضت اللجنة مشروعها، ثم جرت [illegible] الأساسية لهذا المشروع، واستفادت اللجنة من ملاحظات وآراء العلماء [illegible] الندوة من أجل تقويم عملها والاستمرار فيه.

وبعد أن انتهت اللجنة من وضع هذا المشروع [illegible] رئيس مجمع اللغة العربية الأردني هذا الموضوع في الاجتماع الذي عقده [illegible] اللغوية في القاهرة بتاريخ ١٩٨٥/٣/٩م برئاسة الأستاذ الجليل الدكتور [illegible] رئيس الاتحاد ورئيس مجمع القاهرة الشقيق، ورأى مجلس الاتحاد أن [illegible] أن تعقد له ندوة خاصة بغية النظر في أمر توحيده وتعميمه في أرجاء [illegible] أوصى بأن يدعو مجلس الاتحاد الى عقد ندوة في مقر مجمع [illegible] الأردني، يكون موضوعها «مشروع الرموز العلمية العربية الذي وضعه مجمع [illegible] العربية الأردني» وذلك خلال عام ١٩٨٦، وقد رحب المجمع بعقد هذه الندوة [illegible] في الأردن، ولكن

ظروفا حالت دون عقدها خلال عام ١٩٨٦، وستعقد هذه الندوة صباح يوم الثلاثاء ١٩٨٧/١/٢٧، ولمدة ثلاثة أيام، يليها يوم زيارة لأضرحة الصحابة في الأغوار الشمالية.

وكان المجمع قد بعث نسخ من هذا المشروع الى خبراء متخصصين في وزارة التعليم العالي، ووزارات التربية والتعليم والمجامع اللغوية والمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، والجامعات العربية والمؤسسات العلمية في الوطن العربي من أجل دراسته وتقديم الملاحظات والمقترحات حوله بغية مناقشتها في هذه الندوة.

وسيشارك في هذه الندوة رئيس اتحاد المجامع اللغوية الأستاذ الدكتور ابراهيم مدكور، والأستاذ الدكتور محيي الدين صابر المدير العام للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم وعدد من الخبراء المتخصصين من البلدان العربية.

مجمعيان راحلان

١ - الأستاذ الدكتور محمد أحمد سليمان في ذمة الله

فقد الجمع زميلا عزيزا، وعالما جليلا بوفاة المرحوم الأستاذ الدكتور محمد أحمد سليمان، العضو المؤازر في مجمع اللغة العربية الأردني، وعضو مجمع اللغة العربية بالقاهرة، وعضو المجمع الملكي لبحوث الحضارة الاسلامية، اثر نوبة قلبية صباح يوم الاثنين ١٤٠٦/٢/١٧هالموافق ١٩٨٦/١٠/٢٠م، في عمان، عاصمة المملكة الأردنية الهاشمية، اذ كان استاذا في قسم الطب الشرعي في كلية الطب في الجامعة الأردنية، ونقل جثمانه الطاهر الى جمهورية مصر العربية حيث دفن هناك.

وقد بعث رئيس مجمع اللغة العربية الأردني ببرقية التعزية الى الزميل رئيس مجمع اللغة العربية بالقاهرة وهذا نص البرقية:

بكل لوعة وأسى ننعى اليكم وللعالم العربي والاسلامي العالم الجليل والمؤمن الصادق، الفقيد الكبير الأستاذ الدكتور محمد أحمد سليمان، واننا نضرع الى الله تعالى أن يتغمده بوافر رحمته، ويسكنه فسيح جناته، وأن تكون سيرته الطيبة وجهاده المتواصل نبراسا لمن بعده. ولا حول ولا قوة الا بالله، وإنا لله وانا اليه راجعون.

رئيس وأعضاء مجمع اللغة العربية الأردني

كما بعث رئيس مجمع اللغة العربي الاردني بالرسالة التالية الى أسرة الفقيد:

فان الله- جلّت قدرته- أوجد الحياة والموت، وجعل الحياة بداية الانسان في هذه الدنيا، والموت نهايته منها، وانتقاله الى الدار الآخرة، ونعم مثوى المتقين، «**وما كان لنفس أن تموت الا باذن الله كتابا مؤجلا**» تلك سنة الله، سبحانه وتعالى، «**ولن تجد لسنة الله تبديلا**».

لقد كان مصابنا بالفقيد الراحل، رحمه الله رحمة واسعة، عظيما، فجعنا به جميعا، وفجعت به منابر الرأى الحر، والفكر المبدع، ومناهل العلم والمعرفة، واغتمت له اللغة العربية الشريفة، لغة القرآن الكريم، والبيان الرفيع.

كان المرحوم بين ظهرانينا صديقا وفيا، نصيرا للدين، لا تأخذه في الحق لومة لائم، مؤمنا تقيا، طاهر نقيا، نقي السريرة، حسن الطوية، محبا للخير، عالما جليلا يجتهد فيصيب، ويناقش فيجيد، ويبتكر فيبدع، تعلو محياه اشراقة المؤمن، ويملأ قلبه صفاء التقوى، كان غيورا صادق الغيرة على دينه وتراث أمته والعمل على خدمة قضاياها وتحقيق أهدافها.

تلك كانت من شمائل فقيدنا الكبير، فقيد العلم والعربية، رحمه الله رحمة واسعة، وأسكنه فسيح جناته، ونفعنا جميعا بما خلّفه لأهله ولنا من ذكر حسن وعلم مفيد، احتوته مؤلفاته الجليلة، ونقله عنه طلابه الكثيرون.

لقد كان لوفاة شيخ العلم والعربية أصداء حزينة في نفوس أبناء العربية في كثير من أرجاء الوطن العربي، نعاه الكثيرون على صفحات الصحف، عددوا مناقبه، وذكروا بالخير مآثره، وكم هي كثيرة في دنيا العلم والمعرفة، وعالم الخلق والسلوك القويم...

وانني وأعضاء مجمع اللغة العربية الأردني لنضرع الى الله أن يرحم الفقيد رحمة واسعة، وأن يجعل أجره في الآخرة كأجر الصديقين والشهداء، انه سميع مجيب.

أرجو أن أبعث باسمي واسم أعضاء مجمع اللغة العربية الأردني بأحر التعازي الى جميع أفراد أسرة الفقيد الكريمة، رحم اللهالفقيد رحمة واسعة، وألهمكم بعده الصبر والسلوان، انا لله وانا اليه راجعون.

رئيس المجمع
الدكتور عبد الكريم خليفة

وفيما يلي نبذة عن الحياة العلمية والعملية للفقيد الغالي :

ولد الفقيد الأستاذ الدكتور محمد أحمد سليمان في مصر سنة ١٩١٥م، وحصل على بكالوريوس الطب والجراحة من كلية الطب بجامعة القاهرة سنة ١٩٣٧م، ودبلوم الطب الشرعي وعلم السموم من جامعة القاهرة سنة ١٩٤١م. ودكتوراه في الطب الشرعي وعلم السموم (M.D) من جامعة القاهرة ١٩٤٣م.

وشغل الفقيد، رحمه الله، عدة مناصب تعليمية وادارية في حياته، وهي :

- استاذ منتدب بكلية الشريعة جامعة الأزهر ١٩٤٣م.
- استاذ منتدب بكلية البوليس ١٩٥٠م.
- استاذ منتدب بمعهد الدراسات السودانية، جامعة القاهرة ١٩٥٤م.
- استاذ ورئيس قسم الطب الشرعي وعلم السموم بكلية طب جامعة القاهرة منذ سنة ١٩٥٤م.
- أمين المجلس الأعلى للجامعات من عام ١٩٥٩ – ١٩٦٢م.
- وكيل جامعة الأزهر، ومدير الجامعة بالنيابة عام ١٩٦٢ – ١٩٦٥م.
- وكيل جامعة القاهرة للدراسات العليا والبحوث من عام ١٩٦٥ – ١٩٦٩م، وكان مشرفا على قسم الطب الشرعي وعلم السموم بكلية طب جامعة الأزهر منذ سنة ١٩٦٧م.
- مدير جامعة القاهرة بالنيابة من ١٩٦٨ – ١٩٦٩م.
- وقد عمل استاذا زائرا بكلية طب جامعة دمشق ١٩٦٠م، واستاذا زائرا بجامعة بغداد ١٩٦٤، ١٩٦٩و ١٩٧٣م، واستاذا زائرا بجامعة الخرطوم ١٩٦٧م. واستاذا زائرا بجامعة الموصل في العراق ١٩٦٨، ١٩٧٩م. وأستاذاً ورئيسا لقسم الطب الشرعي بجامعة الرياض ١٩٧٤ – ١٩٧٩م. واستاذ الطب الشرعي بكلية الطب في الجامعة الأردنية منذ ١٩٧٩م الى أن انتقل الى رحمة الله.

وانتخب المرحوم عضوا في عدد من المؤسسات والجمعيات العلمية العربية والدولية، فقد كان عضوا في الجمعية الطبية المصرية منذ عام ١٩٤٣ وعضوا في الأكاديمية الدولية للطب الشرعي والطب الاجتماعي منذ عام ١٩٥٠م، وعضوا في المجلس

الاستشاري الأعلى للطب الشرعي منذ عام (١٩٥٤-١٩٦٣م)، ونائبا لرئيس الأكاديمية الدولية للطب الشرعي والطب الاجتماعي (١٩٥٦ - ١٩٦٠)م،

وعضوا منتخبا بمجمع اللغة العربية بالقاهرة منذ عام ١٩٦٢م، وخبيرا باللجنة الطبية لمجمع اللغة العربية بالقاهرة (١٩٥٥ - ١٩٦٢م)، وعضوا في اتحاد الجامعات العربية، ورئيسا للمكتب المؤقت للاتحاد (١٩٦٤ - ١٩٧٠م)، وعضوا مؤازرا بمجمع اللغة العربية الأردني منذ ١٩٨٠م. وعضوا في المجمع الملكي لبحوث الحضارة الاسلامية(مؤسسة آل البيت) منذ عام ١٩٨٣م.

وكان المرحوم شيخا من شيوخ العربية، ويجيد الانجليزية والفرنسية ويلم بقدر من الألمانية، غزير الانتاج العلمي، نشر عددا كبيرا من البحوث العلمية في موضوعات الطب الشرعي وعلم السموم والوراثة وفصائل الدم، وألف مؤلفات قيمة من بينها:

«أصول الطب الشرعي وعلم السموم باللغة العربية» صدرت الطبعة الأولى منه سنة ١٩٥٩م، والثانية سنة ١٩٦٣م، ويقع في ٤٥٠ صفحة من القطع المتوسط، وكتاب« الطب الشرعي وعلم السموم « باللغة الانجليزية في جزأين وطبع عدة طبعات، كما أشرف على أكثر من عشرين رسالة دكتوراه وماجستير في الطب الشرعي، وفي طب الصناعات، وفي علم السموم، وفي الانتربولوجيا الفيزيائية.

وقد كشف المرحوم اختبارا جديدا للحمل باستعمال ذكر الضفدع المصرى عام ١٩٥٢م.

لقد خسر العلم بوفاة المرحوم عالما جليلا كثير العطاء، رحمه الله رحمة واسعة.

وانا لله وانا اليه راجعون.

٢ - الأستاذ الدكتور حسني سبح،
رئيس مجمع اللغة العربية بدمشق، في ذمة الله

تلقى المجمع بتاريخ ١/١/١٩٨٧ برقية النعي التالية من الأستاذ الدكتور شاكر الفحام، نائب رئيس مجمع اللغة العربية بدمشق:

الأستاذ الدكتور عبد الكريم خليفة، رئيس مجمع اللغة العربية الأردني ننعى اليكم، بمزيد الأسى واللوعة، فقيد العلم والأدب، الأستاذ الدكتور حسني سبح رئيس مجمع اللغة العربية بدمشق، الذي وافته المنية صباح يوم الأربعاء ٣١/١٢/١٩٨٦، وانا لله وانا اليه راجعون.

نائب رئيس المجمع
الدكتور شاكر الفحام

وقد بعث رئيس مجمع اللغة العربية الأردني ببرقية التعزية التالية الى الأستاذ الدكتور شاكر الفحام:

فقد تلقينا نبأ وفاة المرحوم الأستاذ الجليل الدكتور حسني سبح، شيخ العلم والعربية ببالغ الحزن وعظيم الأسى.

ان مصابنا بالفقيد الراحل عظيم، فجعنا به جميعا، وفجعت بوفاته منابر الرأي الحر، ومناهل العلم والمعرفة.

أرجو أن أبعث اليكم والى أسرة الفقيد الكريمة باسمي واسم أعضاء مجمع اللغة العربية الأردني بأحر التعازي، واننا لنضرع الى الله العلي القدير أن يرحم الفقيد رحمة واسعة، وأن يسكنه فسيح جناته ... وأن يلهمكم بعده الصبر والسلوان. **انا لله وانا اليه راجعون.**

كما بعث بالبرقية التالية الى رئيس اتحاد المجامع اللغوية العلمية العربية :

سيادة الزميل الأستاذ الدكتور ابراهيم مدكور، حفظه الله

آلمني فقد الأخ الكريم والعالم الجليل المرحوم الأستاذ الدكتور حسني سبح، رئيس مجمع اللغة العربية بدمشق، وصاحب الرأي القويم في تأسيس اتحاد المجامع العربية.

وان مصابنا بالفقيد الراحل عظيم، فجعنا به جميعا، وفجعت به منابر الرأي الحر، ومناهل العلم والمعرفة، لقد كان جليلا في علمه، صادق الغيرة على تراث أمته ولغتها مؤمنا برسالة مجامعنا اللغوية، حريصا على تحقيق أهدافها، رحم الله الفقيد رحمة واسعة، وأسكنه فسيح جناته.

وأرجو أن أبعث اليكم باسمي واسم أعضاء مجمع اللغة العربية الأردني بأحر التعازي بوفاة الفقيد، تغمده الله بواسع رحمته، سائلين المولى، سبحانه وتعالى، أن يحفظكم وأن يمد بعمركم.

انا لله وانا اليه راجعون.

رئيس المجمع

الدكتور عبد الكريم خليفة

وفيما يلي نبذة عن الحياة العلمية والعملية للفقيد الغالي :

ولد الفقيد في دمشق سنة ١٣١٧هـ/١٩٠٠م، تلقى العلوم الابتدائية والثانوية في مدارس دمشق الخاصة، وانتسب بعد المسابقة الى المدرسة الطبية العثمانية في دمشق سنة ١٩١٣م، وأنهى دراسة الطب في المعهد الطبي العربي سنة ١٩١٩م، ثم عين مساعدا فيه سنة ١٩٢٣م، وأصبح أحد أعضاء هيئة التدريس فيه، وسافر الى أوروبا سنة ١٩٢٤م، ونال شهادة الدكتوراة من جامعة لوزان سنة ١٩٢٥م.

عين المرحوم استاذا للامراض الباطنية وسريراتها في المعهد الطبي العربي، (كلية الطب) في الجامعة السورية سنة ١٩٣٢م، وعميدا له سنة ١٩٣٨م، ورئيسا للجامعة

السورية للمرة الأولى سنة ١٩٤٣ م، وانتخب عضوا عاملا في المجمع العربي بدمشق سنة ١٩٤٥ م، وعيّن للمرة الثانية، رئيسا للجامعة السورية سنة ١٩٤٧ م، واستقال منها سنة ١٩٤٩ م، ثم عين استاذا للامراض الباطنية وسريراتها في كلية الطب سنة ١٩٥١ م، وانتخب عضوا مراسلا لمجمع اللغة العربية في القاهرة سنة ١٩٥٦ م، ثم أحيل على التقاعد، ومددت خدمته حتى آخر سنة ١٩٦٠ م، وعين مجددا استاذا في كلية الطب، ومددت خدمته خمس سنوات متتابعة، وانقطع عن التدريس بتاريخ ١/٧/١٩٦٧ م، وانتخب رئيسا لمجمع اللغة العربية بدمشق سنة ١٩٦٨ م، وبقي رئيسا له حتى وافته المنية يوم الأربعاء ٣١/١٢/١٩٨٦.

نال المرحوم عدة أوسمة تقديرا لجهوده العلمية المثمرة وهي: وسام الاستحقاق السوري من الدرجة الممتازة ووسام الجمهورية (مصر) من المرتبة الثانية، ونيشان المعارف (مصر) من الطبقة الثانية، ووسام الكوكب الأردني من الدرجة الثانية، ووسام المعارف الايراني من الدرجة الأولى.

كان المرحوم شيخا من شيوخ العربية، ويجيد الانجليزية والفرنسية، وكان غزير الانتاج العلمي، صنف عدة تصانيف ذات مستوى علمي رفيع، وقد تنوعت موضوعاتها بين معجمات للمصطلحات الطبية، ومؤلفات قيمة في علم الطب ومنها:

١ . اطروحة عن نمو الغشاء البشري المشيجي في الانسان، طبعت في باريس سنة ١٩٢٥ م. بالفرنسية

٢ . معجم الالفاظ والمصطلحات الفنية لامراض الجملة العصبية.

٣ . معجم الالفاظ والمصطلحات الفنية للامراض الانتاجية والطفيلية.

٤ . معجم الالفاظ والمصطلحات الفنية لامراض جهاز التنفس.

٥ . مبادىء الامراض الباطنة.

٦ . موجز مبادىء الامراض طبع ست مرات.

٧ . مبحث الاعراض والتشخيص طبع خمس مرات.

٨ . فلسفة الطب طبع مرتين.

٩ . علم الامراض الباطنية في سبعة أجزاء:

– الجزء الاول : امراض الجملة العصبية.

– الجزء الثاني : الامراض الانتاجية والطفيلية .

– الجزء الثالث : امراض جهاز التنفس .

– الجزء الرابع : امراض جهاز الهضم .

– الجزء الخامس: امراض جهاز الدوران .

– الجزء السادس: امراض جهاز البول وامراض الدم.

– الجزء السابع: امراض الغدد الصم والتغذية والتسممات .

١٠– موجز علم الامراض الباطنة في جزأين .

١١– موجز امراض الجملة العصبية .

١٢– امراض الغدد الصم والتغذية والتسممات طبع ثلاث مرات .

١٣– نظرة في معجم المصطلحات الطبية .

ونشر عددا من المقالات الطبية في المجلات الفرنسية ومجلة المعهد الطبي العربي ومجلة المجمع العلمي العربي ، ثم مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق .

لقد خسر العلم واللغة العربية ومجامعها شيخا من شيوخها وعالما فذا من علمائها ، رحمه الله رحمة واسعة .

انا لله وانا اليه راجعون .

أعضاء جدد في المجمع

١ – الدكتور عبد اللطيف سليمان عربيات

استنادا الى الفقرة (أ) من المادة التاسعة من قانون مجمع اللغة العربية الأردني، قانون مؤقت رقم (٤٠) لسنة ١٩٧٦م، وافق مجلس المجمع في اجتماعه المئة والثاني والسبعين المنعقد بتاريخ ١٨/٥/١٩٨٦م بالاجماع على تعيين الدكتور عبد اللطيف سليمان عربيات، عضوا عاملا في مجمع اللغة العربية الأردني بناء على تزكية خطية من عضوين عاملين من أعضاء المجمع، وقد صدرت الارادة الملكية السامية بالموافقة على قرار مجلس المجمع بتاريخ ٢٤/٩/١٤٠٦هـ الموافق ١/٦/١٩٨٦م كما عيّن الدكتور عبد اللطيف سليمان عربيات أمينا عاما للمجمع بتاريخ ٢٨/٩/١٤٠٦هـ الموافق ٥/٦/١٩٨٦م.

٢ – الأستاذ الدكتور رضوان ليولين رونج

استنادا الى الفقرة (ب) من المادة (٩) من قانون مجمع اللغة العربية الأردني، رقم (٤٠) لسنة ١٩٧٦م، وافق مجلس المجمع في اجتماعه المئة والثاني والثمانين بتاريخ ٤ ربيع الأول ١٤٠٧هـ الموافق ٥/١١/١٩٨٦م على تعيين الأستاذ الدكتور رضوان ليولين رونج عضوا مؤازرا في المجمع تقديرا لفضله وخدمته الجليلة للغة العربية في بلاده الصين، والأستاذ رضوان أحد أعضاء مجلس الجمعية الاسلامية الصينية، ويعمل الان مستشارا للجمعية الصينية لدراسة اللغة العربية وتدريسها.

مناقشة رسائل دكتوراه وماجستير

جرت في قاعة الندوات والمحاضرات في مجمع اللغة العربية الاردني مناقشة الرسائل الجامعية التالية : -

١ . بتاريخ ٣/٣/١٩٨٦م جرت مناقشة رسالة ماجستير بعنوان : «الاسلام والتعريب في الشمال الافريقي في القرون الثلاثة الأولى للهجرة» للطالبة نورى الهدى بوخالفة ، وتألفت لجنة المناقشة من السادة : -

الأستاذ الدكتور عبد العزيز الدوري (المشرف)	رئيسا
الأستاذ الدكتور نبيه عاقل	عضواً
الأستاذ الدكتور عوض خليفات	عضواً
الأستاذ الدكتور محمد حتاملة	عضواً

٢ . وبتاريخ ٣٠/٤/١٩٨٦م جرت مناقشة رسالة ماجستير بعنوان : «شعر الجهاد في الاندلس في ظل بني الأحمر» للطالب جمال عبد الجابر عبد المعطي ، وتألفت لجنة المناقشة من السادة : -

الأستاذ الدكتور عبد الكريم خليفة (المشرف)	رئيسا
الأستاذ الدكتور محمود ابراهيم	عضوا
الدكتورة عصمة غوشة	عضوا

٣ . وبتاريخ ٤/٨/١٩٨٦م ، جرت مناقشة رسالة دكتوراة بعنوان : «النظم القراني في سورة البقرة» للطالب حسين احمد علي الدراويش وهي أول رسالة دكتوراة تقدم في الجامعة الاردنية ، وتألفت لجنة المناقشة من السادة : -

الأستاذ الدكتور ابراهيم السامرائي (المشرف)	رئيسا
الأستاذ الدكتور عبد الكريم خليفة	عضوا
الأستاذ الدكتور صبحي الصالح	عضوا
الأستاذ الدكتور فضل عباس	عضوا

٤ . وبتاريخ ١٢/٨/١٩٨٦م جرت مناقشة رسالة الدكتوراة الثانية في الجامعة الاردنية وهي بعنوان: «حركة الشعر في اليمانيين، في الجاهلية الأخيرة» للطالب داود غطاشة، وتألفت لجنة المناقشة من السادة: —

الأستاذ الدكتور هاشم ياغي (المشرف)	رئيسا
الأستاذ الدكتور عبد الرحمن ياغي	عضوا
الأستاذ الدكتور نهاد الموسى	عضوا
الأستاذ الدكتور نصرت عبد الرحمن	عضوا

٥ . وبتاريخ ١/٩/١٩٨٦ جرت مناقشة رسالة ماجستير بعنوان: «أدب الرسائل في الاندلس في القرن الخامس الهجري» للطالب فايز عبد النبي القيسي، وتألفت لجنة المناقشة من السادة: —

الأستاذ الدكتور عبد الكريم خليفة (المشرف)	رئيسا
الأستاذ الدكتور محمود ابراهيم	عضوا
الدكتور عبد الجليل عبد المهدي	عضوا

٧ . وبتاريخ ٢٧/١٢/١٩٨٦ جرت مناقشة رسالة ماجستير بعنوان: «صورة المرأة الأردنية في الرواية الأردنية (١٩٤٨—١٩٨٥م) للطالبة أروى عبيدات، وتألفت لجنة المناقشة من السادة: —

الأستاذ الدكتور محمود السمرة (المشرف)	رئيسا
الدكتور سمير القطامي	عضوا
الدكتور خالد الكركي	عضوا

من منشورات مجمع اللغة العربية الأردني لعام ١٩٨٦م

صدر عن المجمع خلال هذا العام المنشورات التالية :-

١ . مصطلحات سلاح المدفعية، وهو الكتاب الخامس من سلسلة المصطلحات العسكرية التي أقرها المجمع اذ أصدر المجمع مصطلحات سلاح الجو، ومصطلحات سلاح التموين والنقل ومصطلحات سلاح المشاة ومصطلحات سلاح الصيانة وذلك بالتعاون مع خبراء عسكريين من القوات المسلحة الأردنية. يقع الكتاب في ست وستين صفحة من القطع الكبير، ويشتمل على عدد من المصطلحات الأجنبية وما يقابلها باللغة العربية في مجال سلاح المدفعية.

٢ . فهرس مخطوطات كلية الدعوة وأصول الدين، من اعداد الدكتور أحمد العلمي مدير مكتبة كلية الدعوة وأصول الدين في القدس، وهذا هو الكتاب السادس من سلسلة فهارس المخطوطات التي اعتنى المجمع بنشرها من مكتبات مساجد مدن فلسطين المحتلة، بهدف الحفاظ عليها من عبث العدو اليهودي ولتيسيرها للدارسين والباحثين، وكان المجمع قد نشر منها: مخطوطات فضائل بيت المقدس، وفهرس مخطوطات الحرم الابراهيمي في الخليل، وفهرس مخطوطات مكتبة الحاج نمر النابلسي في نابلس وفهرس مخطوطات المكتبة الاسلامية في يافا، وفهرس مخطوطات المكتبة الاحمدية في عكا.

٣ . تيسير العربية بين القديم والحديث، تأليف الأستاذ الدكتور عبد الكريم خليفة، رئيس المجمع، ويتألف الكتاب من تمهيد وثلاثة فصول وخاتمة، يقع في مئة وست وعشرين صفحة من القطع الكبير، ويتضمن معلومات قيمة عن المحاولات التي جرت لتيسير النحو العربي في القديم والحديث، كما يشتمل على آراء ذات أهمية كبيرة واقتراحات جوهرية في التأليف النحوي الحديث وتيسيره.

٤ . كتاب الموسم الثقافي الرابع لمجمع اللغة العربية الأردني لعام ١٩٨٦م.

وقد تضمن الكتاب ثلاث محاضرات وندوتين، كانت المحاضرة الأولى بعنوان:

«دور الحاسوب في تعريب العلوم» للأستاذ الدكتور محمود مختار، عضو مجمع اللغة العربية بالقاهرة، وكانت الثانية بعنوان: «التركيب والانشاب في علم الفلاحة عند العرب» للأستاذ الدكتور محمد زهير البابا، أستاذ علم العقاقير والنبات الطبي في كلية الصيدلة بجامعة دمشق، وأستاذ تاريخ الطب والصيدلة وعلم النبات في معهد التراث بجامعة حلب. والرابعة بعنوان: «دور عضو هيئة التدريس في تعريب التعليم العلمي الجامعي» للأستاذ الدكتور احسان عباس، عضو مجمع اللغة العربية الاردني.

أما الندوة الأولى فكانت بعنوان: «تعريب تعليم الزراعة في الوطن العربي بين الواقع والتطلع» أدارها الأستاذ الدكتور عبد الكريم خليفة، رئيس المجمع، وشارك فيها الدكتور عبد اللطيف عربيات أمين عام المجمع، والدكتور سليمان عربيات والدكتور محمد علي حميض من أعضاء هيئة التدريس في كلية الزراعة بالجامعة الاردنية والدكتور عبد الله جرادات من أعضاء هيئة التدريس بجامعة اليرموك.

وكان عنوان الندوة الثانية: تعريب العلوم الانسانية في الجامعات العربية» أدارها الأستاذ الدكتور عبد الكريم خليفة، وشارك فيها الأستاذ الدكتور محمود ابراهيم عضو مجمع اللغة العربية الأردني، والأستاذ الدكتور محمد صقر، والأستاذ الدكتور عمر الشيخ وجميع المشاركين في هذه الندوة من أعضاء هيئة التدريس في الجامعة الاردنية.